تسهيل الوصول

إلى الثلاثة الأصول

رتبها

العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري

المولود سنة ١٢٩٦ والمتوفى سنة ١٣٦٣

ويليه

تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول

نظمها

الشيخ عمر بن إبراهيم البري المدني

المولود سنة ١٣٠٩ والمتوفى سنة ١٣٧٨

اعتنى بهما

مجد بن أحمد مكي



دار نور المكتبات

دار البشائر الإسلامية

تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول

ويليه

تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار نور المكتبات
السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريدي: ٢١٤٩٩

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤ - ٥٩٥٥

تسهيل الوصول
إلى الثلاثة الأصول

رتبها

العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري

المولود سنة ١٢٩٦ والمتوفى سنة ١٣٦٣

رحمه الله تعالى

ويليه

تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول

نظمها

الشيخ عمر بن إبراهيم البري المدني

المولود سنة ١٣٠٩ والمتوفى سنة ١٣٧٨

رحمه الله تعالى

اعتنى بهما

محمد بن أحمد مكي

دار البشائر الإسلامية

دار نور المكتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة النّاشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإنَّ العقيدة الإسلامية هي الأصل الأصيل، والأساس المتين، الذي تقوم عليه دعائم الدين.

والمؤلفات في أصول الإيمان ـ على منهج أهل السنَّة والجماعة ـ لا تُحصى كثرة، وقد أُلِّفَت لِتَسُدَّ حاجة الناس إلى تعليمهم حقائق التوحيد ومبادىء الدين.

ومن هذه المؤلَّفات: رسالة صغيرة الحجم، كبيرة النفع، اشتهرت باسم: «الأصول الثلاثة وأدلَّتها»، كتبها صاحب النهضة الإصلاحية في شبه الجزيرة العربية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المتوفَّى سنة ١٢٠٦هـ، رحمه الله تعالى.

وقد اشتملت على الأصول الثلاثة التي يتوقف عليها سعادة المسلم في دنياه، ونجاته في أُخراه.

وهذه الأصول هي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيّه محمدًا ﷺ.

وقد كتبها بألفاظ سهلة، واستدلَّ لكلٍّ ما أورده بأدلة القرآن الكريم وسنَّة سيِّد المرسلين ﷺ.

وتَوَخَّى في تأليفها السهولة واليسر لتعليم عامة المسلمين، وليسهل حفظها على صغار الطلبة.

وقد انتشرت هذه الرسالة الصغيرة، وعَمَّ نفعها، ودُرِّسَت في المساجد، وقُرِّرَت في المدارس.

وَطُبِعَتْ عدَّة طبعات، منها طبعة مكتبة المنار سنة ١٣٤٠هـ بإشراف العلاَّمة الشيخ محمد رشيد رضا، ومنها طبعة المكتبة المنيرية، وعليها تعليقات يسيرة للشيخ محمد منير آغا الدمشقي، ومنها طبعة دار المعارف بمصر، بمراجعة وتصحيح العلاَّمة أحمد محمد شاكر.

وممن شرحها وعلَّق عليها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي، المتوفَّى سنة ١٣٩٢هـ، والعلاَّمة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ عن دار المسير في الرياض في ٨٨ صفحة، والعلاَّمة الشيخ محمد بن صالح

العثيمين، وصدرت الطبعة الرابعة سنة ١٤١٨هـ عن دار الثريا في الرياض في **١٦٨** صفحة.

وممن اعتنى بهذه الرسالة أيضًا العلاَّمة الشيخ محمد الطيب الأنصاري المدني، المتوفَّى سنة **١٣٦٣**هـ، ورَتَّبَها على طريقة السؤال والجواب؛ ليسهل فهمها وحفظها بيسر وسهولة.

وفي حديث جبريل المشهور في بيان الإسلام والإيمان والإحسان دليل واضح على هذه الطريقة المثلى في التعليم، فكان جبريل هو السائل البصير، وكان النبي ﷺ هو المجيب إجابة العالم الخبير، وفي بعض روايات الحديث قال ﷺ: «**هذا جبريل أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا**».

قال الأنصاري في مقدمة رسالته: «فرَتَّبْتُها على السؤال والجواب؛ تسهيلاً على ضعفة الطلاَّب، ولأشارك مؤلفها في الأجر، ولو بأضعف الأسباب، وسمَّيته: «**تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول**».

رَتَّبَ الأنصاريُّ هذه الرسالة عندما كان مُدَرِّسًا لعلم التوحيد في مدرسة الملك عبد العزيز آل سعود في المدينة المنورة.

وطبعت هذه الرسالة في المطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة **١٣٥١**هـ في **٢٠** صفحة، ومجموع الأسئلة فيها **٩٥** سؤالاً.

ثم طبعت عدَّة طبعات دون تعريف بِمُرَتِّبِهَا العلاَّمة

الأنصاري، ودون اهتمام بشرحها والتعليق عليها.

وقد رأى قسم النشر بدار نور المكتبات الاهتمام بهذه الرسالة، والارتقاء بها؛ لتكون مناسبة لمستوياتٍ عليا لطلاب تحفيظ القرآن الكريم ومعاهد العلوم الشرعية.

فلا يكفي في دراسة هذه الرسالة مُجَرَّدُ الحفظ دون فهم لما فيها من أدلة كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فأسند قسم النشر إلى الأستاذ الباحث الشيخ مَجْد مكي ـ وَفَّقَهُ الله ـ القيام بالعناية بهذه الرسالة، وبكتابة ترجمة موسعة لمؤلفها، وشرح مُفَصَّل لِأَدِلَّتِهَا، وتعليق نافع عليها.

فقام بالمهمة المنوطة به أحسن قيام، فتَرْجَم لِمُرَتِّبها الطيب الأنصاري، وقابل الرسالة على الأصول القديمة المطبوعة التي أشرنا إليها، وَعَلَّق عليها تعليقات ضافية، جديرة بأن تسمَّى بـ «**تحقيق المأمول في شرح تسهيل الوصول**»، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

ثم وقف أثناء شرحه لهذه «الأصول» على نظم لها بعنوان «**تسهيل الحفظ والوصول**» للعلاَّمة الشيخ عمر البري المدني، المتوفَّى سنة ١٣٧٨هـ، وهو من تلاميذ المؤلِّف الأنصاري، فقام بترجمة الناظم والتعريف به، واعتنى كذلك بضبط المنظومة، وشرح غريبها، والتعليق عليها.

وهاتان الرسالتان تمثِّلان طريقة من طرق الكتابة في المناهج التعليمية التي كانت تُدَرَّس منذ أكثر من سبعين سنة في مدارس المملكة.

فرأينا إحياءَ هاتين الرِّسالتين؛ إحياءً لآثار بعض علماء المدينة المنوَّرة من روَّاد التعليم الأوائل، وإبقاءً لتلك المناهج التعليمية، وتعميمًا لفائدتها.

وإذ نقوم بطباعة هاتين الرسالتين، نرجو أن تحققا الغاية منهما في تثبيت أصول الإيمان في القلوب، وترسيخ مفاهيم العقيدة في العقول، لتتحوَّل هذه المعاني إلى حقائق تتمثل في الأخلاق والسلوك، ولا تكون مُجَرَّد كلمات تُرَدَّدُ دون فهمٍ لمعناها، أو عباراتٍ تُحْفَظُ دون تحقيق لفحواها.

نسأل اللَّهَ سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الشرح المبارك، وأن يجزل لشارحه الأجرَ والثوابَ، وأن يوفِّقنا لخدمةِ كتابه الكريم، وسُنَّةِ مَن هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

والحمد لله رب العالمين.

دار نور المكتبات للنشر والتوزيع

العلامة الشيخ

محمد الطيب الأنصاري[1]

المولود سنة ١٢٩٦ والمتوفى سنة ١٣٦٣

رحمه الله تعالى

اسمه ونسَبه :

هو العلاَّمة المفسِّر النَّحْويّ المحقِّق محمد الطَّيِّب[2] بن إسحاق بن الزُّبير بن محمد الصالح بن محمد البشير ، وينتهي نسبه إلى قبيلة الخزرج من الأنصار ، وقد نَزَحَ أحد أجدادِهِ من المدينة المنورة إلى بلاد المغرب ، وبعد تجوالٍ في تلك النواحي استقرَّ ببلدة "السُّوق" المعروفة في معاجم اللغة

---

(١) مصادر ترجمته : ترجمته في مقدمة كتابه : "الدرة الثمينة في النحو" المطبوع في المطبعة الماجدية بمكة سنة ١٣٥٤ بقلم تلميذه محمد علي الحرْكان ، و"الأعلام" للزركلي ٦ : ١٧٨ ، ومقالات تلميذه وابن عمه العلامة الأديب عبد القدوس الأنصاري في "مجلة المنهل" السنة السادسة ، عام ١٣٦٥ ، وتصدير كتابه: "اللآلئ الكمينة في شرح الدرة الثمينة" بقلم تلميذه الشاعر الأديب الأستاذ ضياء الدين رجب ، بعنوان: "التربية الخلقية في أسلوب شيخنا المؤلف" صفحة : ن-ش ، وتصدير وتعريف بقلم تلميذه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، صفحة : ت-زَ ، ومنه استقيتُ أكثر المعلومات وكتبتُ هذه الترجمة .

(٢) الاسم الَّذي سمَّاه والده إسحاق كَانَ هو "الطيب" فقط ، وبعدما تتلمذَ على الشيخ المحمود ، أضافَ هذا إلى اسمه الأصلي اسم (محمد) فصار اسمه المشهور بعدها هو "محمد الطيب".

العربيـة بهـذا الاسـم ، والممتـدة في الصحـراء الكـبرى بشـمال إفريقيَّـة ، والقريبة من ساحل نهر النيجر[1] .

ولادته ونشأته :

ولد المُتَرْجَم في موضعٍ يُقالُ له (المراقد) من الصَّحراء الكبرى ، في شهر صفر سنة ١٢٩٦ ، ونشأ في كفالةِ والـده إسحاق ، في غايـةٍ مـن الصِّيانـةِ ومكارمِ الأخلاق ، وكان والده من أَجِلَّةِ العلماء في عشـيرته ، وكـانت لـه مكانة مرموقة بينهم ، لِما تحلَّى بِهِ مـن العلـم والـورع والزهـد في الدنيـا ، وتوفي والده سنة ١٣٠٣ ، وصاحِبُ الترجمةِ في السابعةِ من العمر ، فنشأ في حضانة والدته ، وقد حفظ القرآن الكريم على خاله الفقيه الشيخ محمد بـن أحمد ، ثُـمَّ اعتنـى بطلـبِ العلـم فصـبر في طلبـه ، حَتَّـى بـرعَ في كثـيرٍ مـن العلوم ، وكان للبيئةِ الَّتي وُلِدَ ورُبِّيَ فيها أثرٌ بارزٌ في سـرعةِ إتقانِـه العلـوم ، لاسيما علوم العربية ، وبالأخصِّ منها القواعد النحوية .

---

(١) وقد شاء الله لتلك المدينة العـامرةِ بالمسـاجد ، وحلقـاتِ العلـم أن تخرب علـى يـد بعض الطامِعين ، فَتَشتَّت شملُ سُكَّانِها ، وتفرقوا فيمـا حولهـا مـن البِقـاع ، وكـان جُلُّهُمْ من العلماء وطلبة العلم ، فغلب عليهم لقب السُّوقِيِّين بَعْدَ ذَلِـكَ تميـيزاً لَهُـمْ بالنسبةِ إلى البلدِ الَّذِي نزحوا منه ، وكان ما حـدث لمدينـة السُّوق مـن خـرابٍ في غضون القرن الحادي عشر الهجري .

وعلى صِغَرِ سنّه تولّى القَضاء في بعضِ تلك الأنحاء ، وهو ابن عشرين سنة ، فنفعَ أهلَ ذَلِكَ القطر ، وعلا مَجْدُهُ ، واشتهرَ ذِكرُهُ.

شيوخه :

وقد تلقَّى العلوم على عدَّةِ مشايخ ، في طليعتهم خاله وابن عمه المحدث الشهير الشيخ المبارك بن محمد المختار الأنصاري ، أخذ عنه الفقه المالكي ، والنحو واللغة ، والحديث ، والتفسير ، ومنهم أحمد بن عبد الهادي ، قرأ عليه علم المعاني ، والبيان ، والمنطق ، وتذاكر معه في الأصول ، ومنهم علامة المعقول الشيخ أحمد بن الأحمر ، دَرَسَ عليه علمَ الأصول ، ومنهم المحدث الشيخ محمد الأمين ، أَخَذَ عنه بالإجازةِ الكتبَ الستةَ ، وغيرها من كتب السُّنة ، وكلٌّ هؤلاء من عشيرته الأقرَبين.

ومِن مشايخه : النَّحوي الصَّرفي الفقيه إبراهيم بن محمد اليحيوي ، والناسك محمد أحمد بن زين العابدين اليحيوي ، والشيخ المحمود بن محمد السوقي ، والشيخ أحمد بن الشمس رحمهُم الله تعالى ، وقد أجازوه قبل هجرته إلى المدينة المنورة .

وأما مشايخه في المدينة المنورة الذين أجازوا له بعد هجرته :

فالعلامة المحدث الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الحَسني الفاسي المولود سنة

(١٢٧٤) والمتوفى سنة (١٣٤٥) ، والعلامة الصوفي الزاهد الشيخ أحمد ابن الشمس الشنقيطي ثم الفاسي المدني ، المتوفى سنة (١٣٤٢) ، والعلامة المشارك ألفا[1] هاشم الفوتي ثم المدني المهاجر ، المولود سنة (١٢٨٣) ، والمتوفى سنة (١٣٤٩) ، وكان الشيخ محمد الطيِّب الأنصاري يقتصر على أسانيد هؤلاء الثلاثة إلى مؤلفي الكتب السبعة[2] .

جهادُهُ وهجرته :

احتلَّت فرنسا بلاده احتلالاً عسكَرِيّاً ، غاشِماً ، فقام مع قومه بمقاومتها بِمَا في إمكانياتهم من عتاد غير متكافئ مع عتاد الغُزاة الطامِعين ، وقد استَبْسَل المترجَم له في إحدى المعارك الكبيرة الَّتِي خاضها ضد الجيوش الفرنسية الغازية ، فامتَطَى فرسَهُ ، وعبأ بندقيَّتَهُ ، وأغارَ مع المغيرين على سلاحِ المدفعِيَّةِ الرابض في خبثٍ هنالك ، فسلَّطَ هؤلاء عليهم قنابل مدافعهم المُدَوِّيَة ، وحصدوا منهم نفَراً استُشهِدوا في سبيل الله ،

---

(١) كلمة (ألفا) بمعنى الشيخ أو العالم باللغة الفوتية .

(٢) وأروي بالإجازة عن الشيخ الطيب رحمه الله تعالى من طرق كثيرة، منها : إجازة الشيخ محمد بن علي بن محمد ثاني المدرس في المسجد النبوي بالمدينة النبوية المشرفة ، عن شيخه العلامة الشيخ محمد بن علي بن محمد الحركان النجدي أصلاً المدني مولدًا ومنشأً (١٣٣٠-١٤٠٣) رحمه الله تعالى، عن شيخه العلامة المحقِّق محمد الطيب الأنصاري .

وقتل المجاهدون مَنْ وَصَلَت إليه نيرانُ بنادقهم ، ونصالُ سيوفهم ، ورماحهم من الفرنسيين.

وفي إبان احتدام المعركة صُوِّبَت طَلْقَة من مواقع الفرنسيين القريبة جداً إليه ، فأصابت فرَسَهُ فسقط في الميدان ، وسقط هو عنها بعدما أصيب بعيارٍ ناريٍّ آخر في لحمةِ ساقه ، ووقع مُضَرَّجاً بدِمائه ، وَمَا هو إلاَّ أن لمحَهُ صديقٌ له ، حَتَّى وَثَبَ من فوره إليه ، واحتضنه ، وحملهُ على فرسِهِ بين أزيز الطلقات ودويِّ القنابل ، وأنقذه الله من موتٍ محقَّق.

وبعدما أخفقت هذه المعركة الكبيرة في القضاء على الجيش الفرنسي المستعمر ، أجمعوا أمرهم على الهجرة حمايةً لدينهم ، وتركوا أموالهم وأقاربهم هناك ، وقدموا إلى المدينة المنورة.

هجرته إلى المدينة المنورة :

هاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٣٢٥ مع أسرته وبعض بني عمومته وبصحبة شيخه الشيخ المحمود بن محمد السُّوقي رحمه الله ، ومن أبناءِ عمومته الذين صحِبوه في الهجرة: صِنوه وابن أخته، القاسم بن محمد رحمه الله تعالى ، بَعْدَ أن أقاموا في مكةَ المكرمة زهاءَ سنةٍ ونصف السنة .

وقد استقرَّ المترجَمُ له في المدينة المنورة منزوِياً عن الناس ، معتكِفاً على العبادة ، منقطِعاً لها ، منطويًا على نفسه وعلمه ، يُؤْثر الصَّمت ، ويلتزم ذكر الله وتلاوة القرآن ، وما زال ذلك ديدنه حتى قامت الحرب

العالمية الأولى ، وكان هو وأقرباؤه وشيخهم يقيمون في إحدى دور محلة "ذروان" ، وتتابعت وفيات بني عمومته من جراء الجوع المتفشي ، والحصار الكارب ، وفي طليعة المُتَوَفَّين : الشيخ المحمود بن محمد السوقي ، فألقى عليه أعباء كفالة اليتامى الصغار الذين تركهم آباؤهم من ورائهم ، وقد نهض بالعبء الثقيل على خير ما يرام .

هجرته إلى مكة المكرمة :

ثم رأى أن يرحل بهم إلى مكة قبل أن يغتالهم الجوع والمرض ، وسار من المدينة مع جمع من أهلها ، وقد أقام بمكة بحي القشاشية ، المجاور للمسجد الحرام .

رجوعه إلى المدينة المنورة :

وما كان إلا أن يؤذن بانفراج الأمر في المدينة المنورة حتى يسارع في العودة إليها بعد غياب عشرة أشهر عنها .

وعادت الأسرة إلى المدينة ، وأناخت القافلة في الحارة "الرومية" ، ونزل الشيخ ومن معه في دار الشيخ محمد النجار ، ثم ابتدأ في إعطاء أبنائه الصغار وبعض تلاميذه الدروس الأولية في ركن منزوٍ بالمسجد النبوي .

ومن أوائل التلاميذ الذين لازموه وأحبوه الشيخ عمر بري[(١)] ، وصديقه إسماعيل بن مصطفى حفظي[(٢)] .

وقد أدرك الشابان المقبلان على دروس الشيخ مدى حاجتهما إلى التزوُّد من علومه بنصيب وافر ، وخاصة في علوم العربية .

وسَرعانَ ما اكتُشِفَت مواهبه ، فأقبل إليه الطلبةُ من كُلِّ حَدَبٍ وصَوبٍ ، وعَمُرَتْ حلقة تدريسه بالمسجد النبوي بناشئةِ المدينة وشبابها ، الذين أصبح الكثيرُ منهم علماءَ وأدباء وقُضاة ، وواظَبوا على طلبِ العلمِ لديه ، وانتفَعوا بعِلْمِهِ وحُسْنِ أسلوبه .

---

(١) من أخص تلاميذ الشيخ محمدّ الطيب ، وقد مدحه في كثير من أشعاره ، وستأتي ترجمته بعد قليل .

(٢) قال الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في المنهل ، السنة (٧) ، ص ٤٢٠ : "عرفت الصديق الكبير ، والمربي الإداري الحازم إسماعيل حفظي أول ما عرفته في حلقة الدرس أيام أواسط الحكومة الهاشمية ، حيث انتظم في سلك طلبة شيخنا العلامة محمد الطيب الأنصاري ، فكان من أثبت التلاميذ ثباتًا ، ومن أنجبهم نجابة ، ومن أوفاهم وفاء ، قرأ على الشيخ العلوم العربية قراءة استيعاب وانتفاع ، وقرأ غيرها من العلوم الدينية ... وكان رئيس ديوان إدارة المدينة المنورة ... وكان من ذلك الوقت إلى أن توفي مثال الوفاء النادر لهذا الشيخ الذي تلقى عليه العلم ، ومثال الوفاء النادر لزملائه من طلبة الشيخ" . توفي سنة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م – رحمه الله تعالى – .

زواجه وأولاده :

اقترن الشيخ في صدرِ شبابه بإحدى بناتِ عمِّه ، ثُمَّ فارقَها حينما أزمعَ على الهجرة ، ثُمَّ تزوجَ بعدها بنساءٍ أُخريات في المدينة ورُزِقَ من أغلبهن بنينَ وبنات ، لاقوا حتفهم في صغرهم ، ثُمَّ اقترن بزوجته الأخيرة عائشة بنت الشيخ علي شويل ، وقد توفي عنها بَعْدَ أن أنجبت له ابنَيه عبدالرحمن(١) وأم سلمة .

علومه :

كان إماماً في كُلِّ فنٍّ وعلمٍ من فنونِ النحو واللغةِ والبيان والمنطق ، ومن علومِ التفسير والحديثِ والفقه والأصول وغير ذلك ، وكان على منهجِ السَّلفِ الصالح في العقيدة ، وعلى مذهب الإمام مالك في الفقه ، لا يتنصَّل من هذه المذهبِية ، ولكنه يتلمَّس الدليلَ في الحديث ، ويسيرُ وراءَ الأرجح حجةً والأقوى دليلاً ، ولو في غير مذهبه ، وهو على درايةٍ تامةٍ

---

(١) ولد في المدينة المنورة عام ١٣٥٤ ، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالمدينة المنورة ، وحصل على الدكتوراه من جامعة ليدز ، ودرَّس في جامعة الملك سعود ، وله عناية بالدراسات التاريخية الأثرية ، وهو الآن عضو مجلس الشورى حفظه الله ورعاه . انظر ترجمته ومسيرة حياته في "الإثنينية" ٩ : ١٠١-١٥١ .

يالمذاهب الثلاثةِ الأُخَر ، فكـان يُـدَرِّس فيهـا ويفـتي ، وقـد درَّسَ تلميـذه محمد علي الحَرْكَان الفقهَ الحنبلي بأكمله ، حَتّى أصبح فقيهاً عـلاوةً علـى دراسته عليه مختلف العلوم .

تدريسه ووظائفه :

واظَـبَ علـى التدريـس في المسـجد النبـوي ، وبـدأت حلقـة دروسـه حوالي سنة ١٣٣٧ هـ ، وأخذت هذه الحلقة تتّسع تدريجياً وتكبر ، وأخذ طلاب المدرسة الهاشمية وغيرهم من ناشئة المدينة المنورة وشبابها تـرد هـذا المورد العذب ، وتَعُبُّ منه عبًّا .

وكانت أوقاتُ دروسه تشمل سائر الأوقات ، فيُدَرِّس بَعْـدَ الفجـر ، وبعد طلوع الشمس ، وقبل الظهر ، حيث يُدَرِّسُ علم التوحيد بالمدرسـة السعودية ، ويدرِّس بَعْـدَ الظهـر ، وبعـد العصـر ، وبعـد المغـرب ، وبعـد العشـاء ، ولا يعـود إلى منزلـه في الليـل إلاَّ بَعْـدَ أن تُغلَـقَ أبـوابُ المسـجد النبويّ الشريف ، وحينما يؤوبُ إلى البيتِ فليـس للراحـةِ ، فهنـاكَ أيضـاً مَن ينتظِرونَ دورَهُمْ من التدريس ، وهكذا إلى نهايةِ ثُلُثِ الليلِ الأول .

وكان إذا أرهقته الدروس والمطالعة والتأليف يخرج مـع بعض طلابـه على قدميه ، أو ممتطياً عربـةً إلى إحـدى ضواحـي المدينـة عنـد صديـقٍ أو تلميذ ، وقد يمكث الأيام ذوات العدد هناك إذا طابت له الحال ، وعندئـذٍ

ترى جموع الطلبةِ يفِدونَ إليه ، وَمَا هو إلاّ بعض حين ، حَتّى تنقلب النزهةُ والاستجمام إلى مدرسة تَعُجُّ بالمذاكرةِ والمدارسة ، ومختلف البحوث العلمية والدينية واللغوية.

وهكذا وَهَبَ نفسه وصحته للعلم إلى آخرِ قبسٍ من هذه الصحةِ ، وبقي مُنْكَبّاً على المطالعة والتدريس والمباحَثةِ والتأليف مع مهاجمةِ شَتّى الأمراض لجسمه الضعيف .

وقد عُيِّنَ في مناصب علمية ، كَانَ أولها رئاسة المدرسين بمدرسة العلوم الشرعية ، في أواخر عهد الحكومة الهاشمية ، ثُمَّ عُيِّنَ في عهدِ الحكومة السعودية مدرِّساً رسمياً بالمسجد النبوي ، ومراقِباً للدروس به ، إضافةً إلى تدريس علم التوحيد بالمدرسة الحكومية ، وتوفي – رحمه الله – وهو يشغل هذا المنصب العلمي .

منهجُه في التربيةِ والتعليم :

وكان يحضُّ طلَبَتَهُ على انطلاق الفكرِ في آفاقِ البحوثِ العلمية في استقلالٍ من الرأي ، ورزانةٍ من التفكير ، ولا يقبل منهم الكسلَ الذِّهْنِيَّ مطلقاً .

وكان يشجعهم على حرية البحث والاستنتاج ، وتحرِّي الحق والحقيقة ، واستعمال العقل والبعد عن الجمود .

وكان يعقد الاختبارات لَهُمْ في حلقاتِ دروسه ، وفي غير حلقاتِ دروسه ، ليستثير تفكيرهم ، ويتحسَّس مدى تأثُّرِهِمْ بالجوِّ العلمي الَّذِي هيَّأهُ لَهُمْ ، ويمنح المتفوِّق في مسألة جائزةً من عنده .

وكان يدعو طلبته إلى الثباتِ على التحصيل ، ويُطْنِبُ لَهُمْ في مزايا الثبات في كُلِّ أمرٍ حميد ، وينشدهم قولَ الشاعر:

لكلٍّ إلى شأوِ العُلا وثَبَاتُ ولكن عزيزٌ في الرجال ثَباتُ

وربَّى تلاميذه تربيةً سليمةً ، لم يستغلَّ فيها العصا ، ولم يلُك لسانه السِّباب أو الشتائم مطلقاً ، وكان أقصى ما يؤدبهم بهِ إذا طغَت بهم نزواتُ الطفولة أن يظهرَ لَهُمْ أنه غضبان ، فلا يَبَشّ في وجوههم ، فيتأثَّرون بذلك كُلَّ التأثُّر ، ويحاوِلون إصلاح ما أفسدوه حَتَّى يرضى عنهم .

وقد غَرَسَ في نفوسِ تلاميذه نزعةَ المثالية ، وتعيين الأهداف ، فكان لكلٍّ ناجحٍ منهم حقله الَّذِي يعمل فيه ، وهدفه الَّذِي يسعى إليه.

وقد كَانَ يرى أَنَّ خير العلم ما بُنِيَ على أساسٍ من الخُلُقِ الفاضل الرَّصين ، فكان يَنْتَهِزِ الفُرَصَ المناسبة ليَبْعَثَ في نفوسِ طلابه العمل بالعلم ، وإلهاب الحماسة لاستعادةِ المجد الإسلامي التَّليد ، ويقول لهم :

"فأنتم يا أبنائي الأعِـزَّاء حفـدَةُ أولئـكَ المجـاهدين الأبطـال ، وأبنـاءُ أولئـك العلماء العباقرة ، فجدِّدوا مجدَهم بالعلمِ القويّ ، والخُلُقِ القـويّ ، والعمـل القويّ ، فما يتجدَّد مجدٌ لأمة إلاَّ بالعلمِ الرشيد ، والعمل الرشيد".

ومع أَنَّ العلوم الَّتِي زاولَ الشيخ نشرها هي علوم الدين والعربية من : تفسيرٍ وفقـهٍ ، وحديـث ، ولغـةٍ ، وبيـانٍ ، وأدب.. فقـد سـاير طلابـه الناجحون النَّهضةَ العلمية الحديثةَ ، وللشيخ طريقةٌ حكيمـةٌ كَـانَ يقررهـا في مجالسـه الخاصةِ والعامـة ، فيقـول: "إنَّ هـذه العلـوم علـى اختـلاف أوضاعها هي عبارةٌ عن شجرةٍ ذات جذعٍ ضخم ، تُسقَى سـائرُ فروعِهـا الملتفة حولها بماءٍ واحد هو الجِدُّ ، والعناية بالتحقيق ، فمَن سَـمَتْ معرفتُـه في بعضِ فروع العلم هانَ عليه اقتطافُ الثِّمارِ من فـوقِ سـائر الغصـون ، إذا اتَّجه إلى ذَلِكَ في يومٍ من الأيام" (١) .

وَكَانَ يشجِّعُ نُبهاءَ تلاميذه على قَرْضِ الشعر الجيِّـد ، وينتقدهـم إذا أخطـؤوا في المبنـى ، أو أسَفُّوا في المعنـى ، ويرسُـمُ لَهُـمْ طـرقَ التَّفَـوُّق ، ومزاولةَ النَّثر الجيِّد ، ويسمع الشعر منهم باحتفالٍ وعناية .

---

(١) المنهل ، أعلام العلم والأدب في جزيرةِ العرب ، للأستاذ عبد القدوس الأنصـاري ، السنة السادسة (١٣٦٥) ، ص ٢٦٧.

يقول تلميذه الشاعر الأديب الأستاذ ضياء الدين رجب : "كنت أنظم الشعر وأعرضه عليه ، فألقى تشجيعه وإرشاده وتحبيذه حَتَّى استَدَّ ساعِدي ، وقويت لَهاتي ، وحينئذٍ أَخَذَ يتابِعُني بنقده القاسي المرير ، وكأنَّما انتهى عنده دورُ التشجيع ، وجاءَ دورُ التَّمحيص والتَّمْكِين ، فلا يُغْفِلُ الزَّلَّة ، ولا يقبل الضَّرورة ، ويناقش المعاني حَتَّى أني كثيراً ما جئتُهُ بالقصيدة ، وأنا واثقٌ أنها بالغةٌ حدَّها من المكانة والقوة ... فلا يزالُ يهزُّها هَزّاً ، حَتَّى أعود وكأنِّي لم أنظم شيئاً ، وكأني كنت أحمل إليه كومةَ هباء ... لا طاقةً معطَّرةَ الأشذاء ، كما كَانَ حسابي" [1] .

ولا غرو فقد كَانَ في صدرِ شبابه يتعاطَى قول الشعر في شَتَّى ألوانه ، وشعرُهُ كثير يمتاز بالسلاسة والسهولة والإقناع ، وقد هَجَرَ قول الشعر ، إلاَّ النظم العلمي بَعْدَ أن تقدم بِهِ العمر.

يقول تلميذه الأديب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري : "أستاذنا العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري رحمه الله ، كَانَ أحد دعائم التجديد في حَقْلَيِ التربية والتعليم بهذه البلاد ، في القرن الرابع عشر الهجري .

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢١) ، الجزء الخامس ، سنة ١٣٨٠ ، وتصدير مؤلفه "اللآلئ الكمينة" صفحة : ف.

وقد بدأت شجرةُ علمه الباسقة تؤتي ثِمارَهـا في المدينـة المنـورة فيمـا بين عامَي ١٣٣٥ و ١٣٦٣ ، ومَا توفي حَتَّـى كـانت ثمـار هـذه الشـجرة المباركة قد انتشرت في كُلِّ مكانٍ ، لا بالمدينة وحدَهـا ، ولكـن بالمملكـة العربية السعودية ، ثُمَّ بجزيرةِ العرب ، وبكثيرٍ من بلادِ العـالم الإسـلامي ، في شرق وفي غرب ، وفي جنوب ، وفي شمال" [1].

وقال تلميذه العلامة الشاعر الشيخ عمر بري يمدحه في عام ١٣٤١هـ بأبيات منها :

صَدَعَت بسيف سنائها الإظلاما ... شمس تـخيرَّت القلـوب مقامـا

سَفَرَت بأسفار العلوم وجمعت ... مـا كـان للأسـفار فيـه مرامـا

وجَلَتْ كؤوس القول من صَوبِ النُّهَى ... فَسَقَت بـه الأَفْهَـامَ منـه مُدامـا

وتقلّد المعقولَ والمنقولَ من ... إشراق بهجتها البهي وِسـاما

وبقاء مثلِكَ للشَّريعةِ والوَرَى ... نور فَدُم كهف العلوم دَواما

ويقول أيضًا :

علامـةُ العُلمـاء واللُّج الـذي ... تَرَكَ البِحَارَ جَدَاولاً إنْ أَقْدَمَا

الصَّائِبُ الرأي المنيرُ بصيرة ... الثَّاقبُ الفهمِ الفَصيحُ تَكَلُّمَا [2]

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢١) ، الجزء الرابع ، سنة ١٣٨٠.

(٢) ديوان عمر بري ، ص ٧١ - ٧٤ .

مؤلَّفاته :

أَخَذَ التدريسُ جُلَّ أوقات الشيخ ، وصرفه عن التفرُّغ للتأليف ، ولَمَّا رجاه بعض تلاميذه[1] أن يؤلف وأن ينحو النحو الجديد في البحث قَالَ له: إنَّ إماماً من الأئمةِ عندما طلب إليه أن يترك وراءه مؤلفات ، أجاب بأَنَّ مؤلفاته هي تلاميذه ، فكان يرى أَنَّ أبناءَه وتلاميذه صورة حية منه ، وَأَنَّ الوقتَ الَّذِي يصرفه في تعليم الناس وتأليف ذواتهم يعدُّ تأليفاً صحيحاً يفيدون منه ويستفيدون .

ومع أَنَّ التدريس استغرق وقته ، إِلاَّ أنه تَرَكَ بعض المؤلفات ، والميزةُ الَّتِي تتجلَّى في مصنَّفاته هي الدقةُ والوضوح ، فهو وإن يكن قد دَرَجَ على سَنَن مَنْ سبَقوه في التصنيف إِلاَّ أنه كَانَ أبرعَ من كثيرٍ منهم في فنِّ الإيضاح ، والدقةِ في العبارات .

وأَمَّا أهمُّ مؤلفاته فهي :

١ – **"الدُّرَّة الثمينة"** في النحو نظم بها كتاب شذور الذهب لابن هشام الأنصاري ، وتمتاز "الدُّرَّة" بجمالِ التعبير ، ووضوح الهدف ، وتحديدِ المراد ، وقد أَلَّفَها لصِغارِ طلاَّبِهِ في عام ١٣٣٥

---

(١) هو الأستاذ الأديب الشاعر ضياء الدين رجب ، (١٣٣٠ – ١٣٩٦) .

بالمدينة المنورة ، ودرَّسَها إياهم في المسجد النبويّ ، وهي مخطوطة ، ثُمَّ تألفت لجنةٌ من طلابِهِ فطبَعوها بالمطبعة الماجدِية بمكةَ المكرمة سنة ١٣٥٤ ، وقدَّمَ لَهَا تلميذه الشيخ محمد علي الحَرْكَان بمقدمة في ترجمة حياته.

٢ - **"اللآلئ الكمينة شرح الدرة الثمينة"** شرح وإيضاح للمنظومة المذكورة آنفاً ، وقد تم الشرح سنة ١٣٥٠ ، وطبع في مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٨٠ ، وقد صُدِّرَ الكتاب بمقدمةِ تلميذه الشاعر الأديب الأستاذ ضياء الدين رجب ، وتلميذه الأديب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري ، ثُمَّ نشر هذا التعريف والتصدير في مجلة المنهل ، المجلد ٢١ ، الجزء الرابع سنة ١٣٨٠.

٣ - **"تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول"** رتَّب فيه رسالة "الأصول الثلاثة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، على طريقة السؤال والجواب ، عندما كان مدرِّسًا لمادة التوحيد في مدرسة الملك عبد العزيز آل سعود بالمدينة المنورة ، وقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ ، في المطبعة الماجدية بمكة المكرمة . وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ .

٤ - "**البراهين الموضحات في نظم كشف الشبهات**" في التوحيد ، وقد طُبع في مطبعة جريدة المدينة المنورة سنة ١٣٥٧ ، نظمه بطلب من الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ المتوفى سنة (١٣٧٨) ، ثم أعيد نشره سنة ١٤١٣ ، طباعة دار لينة للنشر والتوزيع في المدينة المنورة .

٥ - "**الدلائل اليقينيات في الفرق بين كرامة الأحياء والأموات**" ، وقد طبع بمكة المكرمة سنة ١٣٦٠ .

٦ - "**تحبير التحرير في اختصار تفسير الإمام ابن جرير**" بدأ بِهِ في أثناءِ تدريسه لتفسير ابن جِرير بالمسجد النبويّ ، واستمر في تأليفه ، فسايرَ بِهِ الدرسَ ، وقد اختصرَهُ الشيخ مُقْتَصِراً على التفسير وحده ، وهو مخطوطٌ في عدَّةِ كراريس بخطِّه ، وبقي على إكمال هذا المختصر جزءان.

٧ - "**السِّراج الوهَّاج في اختصار صحيح مسلم بن الحَجَّاج**" لا يزال مخطوطاً.

٨ - "**التحفة البكرية في نظم الشافية**" أي : شافية ابن الحاجب ، نظمَها نظماً سهلاً أوضحَ عقدها على نمط "الدُّرَّة الثمينة" ، وسمَّاها:

"التحفة البكرية" نسبةً إلى تلميذه الخاص الشيخ أبي بكـر بـن محمـد أحمد السُّوقي التنبكتي المدرِّس بالمسجد النبوي ، ولا تزال مخطوطة.

صِفاته الخَلْقِيَّة :

كَانَ رحمه الله طويلاً ، أسمرَ اللـون ، مستطيلَ الوجـه ، بـارزَ عظـامِ الوجْنَتين ، أقنى الأنف ، وفي فتحتي أنفه سَعَة ، عريـضَ الجبهـة بارزَهـا ، واسعَ العينين أدعَجَهُما ، وَكَانَ خفيفَ العارضَين والذقن ، واسـع الفـم ، مُفَلَّج الأسنان ، ناصع بياضها لملازمته السواك ليل نهـار ، طويـل العنـق ، طويـل اليديـن والأصـابع ، سـبط الكفَّـين ، نحيـفَ الجسـم ، متناسـقَ الأعضاء ، جميلَ الصُّورة .

صِفاته الخُلُقِيَّة :

كَـانَ ليِّـنَ العريكـةِ ، سمحَ الطبيعـة ، سـهلاً يـألَفُ ويُؤلَـف ، سـليمَ الصدرِ ، لا يحمل حِقداً على أحدٍ ، ولا يرضى بغيبةٍ أو نميمة ، ولا يوافـق على كلمةِ السُّوء تُقالُ في مجلسه عن أحد ، بل لا يدع أحداً من جُلسـائِهِ يفعل ذَلِكَ ولـو بالإيمـاءةِ العـابرة ، بـل يغضَـبُ أشـدَّ الغضـب ، ويتجلَّـى غضبه ساعتئذٍ في أساريرِ وجهه ، وشرايين جبينه ، وَكَانَ أقصى ما يقولـه عمَّن يؤذيه: (الله يهديه) ، أمَّـا إذا جابهـه أحـدٌ بِمَـا يكـره فإنـه يقـول : (سلامٌ عليكم) .

وَكَانَ يحبُّ أن تَسُودَ الأُلفةُ والمحبةُ بين الناس ، فيسعى إلى الصلحِ بين الخصوم ، ويجهد نفسه على ذلك.

وقد راضَ نفسه على الزُّهد والورع واتّباعِ السنّة المحمديَّة الغرَّاء ، ومن ذلك : أنَّه استعمل العِمَامة المحنَّكةَ ولازَمَها إلى آخر حياته ؛ لأنه علمَ بأَنَّ تحنيكَ العمائم – بمعنى إرسال العمامة تحت الذقن – سنةٌ نبويةٌ ثابتة.

ومن ذَلِكَ أيضاً : أنه كَانَ لا ينصرف عن جليسٍ مهما أطالَ الحديث ، وأمَلَّ في الجلوس حَتَّى يكونَ الجليس هو المنصرف .

وَكَانَ شديدَ الاعتزاز بكرامَتِهِ مع شدةِ تواضعه ، وَكَانَ إذا صمَّم على أمرٍ من الأمور بَعْدَ التأمُّلِ ، مشى إليه كالسيلِ الطامي الجارف ، فلا يمكن لأيٍّ عقَبَةٍ أن تقفَ أمامه.

وَكَانَ صَبوراً جلْداً ، شجاعاً في الحق ، قويّ العزيمة ، لا يخشى في الله لومةَ لائم ، ولا يبالي ما يناله من أذى في سبيل إعلاء كلمةِ الحق.

وَكَانَ عَطوفاً شَفوقاً على أهله وذوي قُرباه ، يغمرهم بفيضِ إحسانه ، لا يمسك عنهم فَلساً ولا درهماً ولا ديناراً ، فما دَخَلَ بيته من النقود ، فهو يدخل ليفرِّقَ على المحتاجين والأقرِباء والطلاب والقاصِدين .

ويذكر تلميذه الشيخ إبراهيم العياشي قصة وقعت له أيام الطلب وشدة الحاجة والفقر ، فيقول : "... وكان الدرس في منتهى الصعوبة ، وإذا بأحد أهل الهند يشقُّ الحلقة ، ويتقدَّم إلى فضيلة الشيخ محمد الطيِّب ، ويجلس بين يديه ، ويقدِّم له هدية كانت من الريالات الفضية المجيدية ، ولم يقم - رحمه الله - حتى وزعها كلها علينا نحن الحضور ، ولم يُبْق لديه شيئًا منها"[1] .

وَكَانَ رجَّاعاً إلى الحق ، ذكر تلميذه الصفي الشيخ محمد المختار الكنتي إمام مسجد قُباء أنه كَانَ ذاتَ مرةٍ قرَّر لَهُمْ مسألةً من مسائل باب الزكاة ، وَكَانَ محمد المختار قد راجعها في كتاب الفقه قبيل الدرس ، وسَها الشيخ فقرَّر عكس ما في الكتاب ، وأبدى له محمد المختار ما يتضمَّنه المقرَّر في الكتاب ، ولكنه لم يقتنع ، ثُمَّ راجع الكتاب ، ووجد المسألة بعكس ما كَانَ قرَّره بالأمس ، وفي الدرس تحدث إلى الطلاب وَقَالَ لهم: يا إخواني إنَّ حقيقةَ المسألة هي كما ذَكَرَ أخونا محمد المختار ، وأنا كنتُ مخطِئاً ،

---

(١) المنهل ، العدد (١) ، سنة (٢٩) ، محرم ١٣٨٨هـ ، ويقول الشيخ العياشي في مفتتح كلمته : "وكنت ممن لازم الشيخ رحمه الله تعالى في البيت والمسجد ، وكان هاديًا مهديًا ، ربَّى مني الروح ، وهذَّب مني النفس ، أستمطر الله عليه وابل الرحمة ، غفر الله له ، وجزاه عنا خير الجزاء" انتهى .

وضربَ لَهُمْ مثلاً بأحد العلماء القُدامَى ، الّـذِي قـرر في أحـدِ دروسـه: أَنَّ النبيَّ ﷺ طلَّقَ وآلَى وظاهر!! ، واتفق أن كَانَ في حلقةِ الدرس عـالِمٌ جليـلٌ غير معروفٍ ، فسكتَ وذهبَ إلى الشيخ في داره ، وَقَالَ له: أنت قلـت أَنَّ النبي ﷺ ظـاهَرَ ، وقـد ورد في القـرآن عـن المظـاهِرين: ﴿**وإنّهُـمْ لَيَقولُـونَ مُنكَراً مـن القـولِ وَزُورا**﴾ ، وليـس ذَلِـكَ مـن صِفـاتِ النبيّ ﷺ ، فتـأثَّرَ الشيخ ، وفي الدرس التالي صارحَ تلاميـذه بأنـه كَـانَ بـالأمس مخطئـاً ، وأنَّ خطأه قد كشفه هذا العالم المجهول .

وَكَانَ إلى سماحةِ نفسه متحلّياً **بالإخلاص** فيما ينشره مـن علـمٍ ، ولا تشوبه شائبة من أغراضِ الدنيا.

لم تُلهِهِ الدنيا ولا مجـدُه العلمـي فيهـا ، ولا تقديـر الحكـام لـه ، عـن واجبه الديني الكبير ، فقد كَـانَ يبـذل النُّصـح لَهُـمْ جهـده ، زاهـداً فيمـا عندهم ، وهو بعيدٌ عن أبوابهم .

مفتاح شخصيته الصَّراحة والوضوح ، فهو لا يُداهن ولا ينافق ، وإن كَانَ يُدَاري ويُلاطف ، ولا يحبُّ الجدالَ والمراء .

عبادتُه :

وَكَانَ كثيرَ العبادةِ وتلاوةِ القرآن الكريم ، وَكَانَ صوتُه فيه رخيمـاً ، ومن دأبه القيام في آخر كل ليلة ، فيتوضَّأ ويتهجَّـد ، حَتَّـى ينشـقَّ عمـود

الفجر ، فينزل إلى المسجد النبوي ليصلي فيه الفجر مع الجماعة ، وَكَانَ حريصاً على أن يصلي في الصفِّ الأول في الروضةِ الشريفة ، ثُمَّ يجلس يتلو ما تيسَّرَ له من القرآن والدعوات حَتَّى تشرق الشمس ، فيصلِّي الضحى ، ثُمَّ ينقلبُ إلى بيته بَعْدَ أن يدرس بعض الطلاب ، ويتناول طعامَ الفطور بين أكداسٍ من الكتب ، وَكَانَ قليلَ الطعام يسيره إلى الغاية.

وقد راضَ نفسه على العبادةِ في عنفوانِ شبابه ، ولازَمَ الصَّوْمَ وقيامَ الليلِ حَتَّى أَضْنَاهُ ذلك ، وخشي أن يكون أَلَمَّ بهِ مرضٌ ثقيلٌ ، ففاتح صديقه الشيخ (محمد المختار الكنتي) بذلك ، فأشار عليه بأن يراجع الطبيب (محمد حسين أعظم الهندي) ، وجسَّ نبضه ، وقال له من غير أن يعلم حقيقةَ حاله : إِنَّهُ ليس بهِ مرض ، وإنما هو يكثِرُ الصِّيامَ وقِيامَ الليل ، فإن أراد لنفسه حياةً ، فليترك كثرةَ الصوم وليُخَفِّف من القيام ، ففعلَ وعُوفي .

مرضه ووفاته :

كَانَ رحمه الله تعالى حريصاً كُلَّ الحرصِ على الموتِ في المدينةِ المنورة ، والدفن في البقيع ، ولذلك لا يريم عنها إلى بلدة أخرى ، اللهم إلاَّ مكة ، حينما يهمُّ بالحج ، فإذا أَتَمَّ مناسكه آبَ إلى المدينةِ المنورة سريعاً ، وقد حج خمسَ حجات .

وحينما اشتدَّت عليه وَطْأةُ المرض الأخير ، وعجز الطب الموجود في المدينةِ عن مقاومـةِ داء (انحلال الأعصاب) الَّذِي أصابه نتيجةَ إجهاده لجسمه وعقله ، أشارَ عليه بعض الخلَصاء بأن يسافر إلى مصر ؛ لأن العلاج اللازم هناك أوفر منه في المدينة ، وقد قابل هذه الإشارةَ بالرفض البات ، لأنه عقد النِّيَّةَ أن لا يفارق هذا البلدَ الحبيب إلى قلبه خصوصاً في ساعاتِ دُنوِّ الأجل .

وقد حقَّق الله أمنيَّته فماتَ بالمدينة المنورةِ عن سبعةٍ وستين عاماً ، وكانت وفاته في الساعة الثانية من صبيحةِ يوم الإثنين الموافق ٧ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ ، ودُفن عصر ذَلِكَ اليوم بالبقيع في الركن الجنوبيِّ الشرقيِّ منه .

واشترك في تشييع جنازته جَمٌّ غفيرٌ من مختلفِ الطبقات ، ورَثاهُ الشعراءُ بقصائد تفيضُ بالأسى والالتياع .

وقد أمر الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله بأن يُصلَّى عليه صلاة الغائب في المسجد الحرام بمكةَ المكرمة وفي مدينةِ الرياض ، رحِمه الله رحمةَ الأبرار ، وأحلَّهُ – وسائرَ مشايخنا – دارَ الكرامةِ والرضوان .

ترجمة الناظم (١)

عُمَر بن إبراهيم البَرِّي

المولود سنة ١٣٠٩ والمتوفى سنة ١٣٧٨

رحمه الله تعالى

هو العلامة الفقيه الأديب الشاعر الشيخ عمر بن إبراهيم بن عبد القادر ابن العلامة مفتي المدينة المنورة الشيخ عمر بن إبراهيم بن محمد البريّ المدنيّ الحنفيّ ، وينتهي نسب هذه الأسرة إلى عبد البر المُرَابِطيّ القَيرَوَانيّ المُنْتَسِب إلى محمد بن الحَنَفِيَّة(٢) .

---

(١) ترجمته بقلم ابن خالته الأديب الكبير الشاعر الشيخ محمد سعيد دفتردار المدني (١٣٢٢-١٣٩٢) رحمه الله تعالى ، والتي نشرت في خمس مقالات متتالية في مجلة "المنهل" المجلد (٢٠) سنة ١٣٧٩ ، ص ٥٩٨-٦٠٣ و ٦٩٦-٧٠١ ، والمجلد (٢١) سنة ١٣٨٠ ص ٤٩-٥٢ ، و ٢٦٠-٢٧٠ ، و ٤٠٢-٤٠٧ ، ومنه استفدت في كتابة هذه الترجمة ، مع ترتيب جديد وإضافات كثيرة .

(٢) ذكر الأنصاري في "تحفة المحبين" ص ٩١ أن رجال هذه الأسرة الأوائل استوطنوا قرية (فُرِّيانة) بتونس ، وأول من سكن منهم المدينة الشيخ أحمد المغربي المالكي في حدود سنة ٩٠٠هـ ، وولي فيها قضاء المالكية ، ولاتزال هذه الأسرة من أكبر الأسر بالمدينة المنورة .

ولادته وأسرته :

وُلِدَ الشيخ عمر بري في المدينة المنورة عام ١٣٠٩هـ في أسرة علمية وبيئة دينية صالحة ، فوالدته السَّيدة عائشة بنت الشيخ إبراهيم الأسكوبي شاعر المدينة المنورة ، من فضليات النساء ، وكانت - رحمها الله تعالى - مثقفة مهذَّبة ، توفيت عام ١٣٦٩هـ ، وليس لها ولا لوالده من الأولاد غيره .

وأما والده : فهو العلامة الفقيه الحنفي الأديب مفتي المدينة النبوية الشيخ إبراهيم بري ، المولود في المدينة المنورة سنة ١٢٨١هـ ، وقد دَرَس على يد والده الشيخ عبد القادر بري ، ثم على علماء المسجد النبويّ الشريف ، وتصدَّر للتدريس ، وقصده طلاب العلم من كل مكان ، وعندما وصل ذكره إلى الدولة العثمانية عُيِّنَ مفتيًا للمدينة المنورة ، وبعد ذلك أصبح أحد مراجع الفتوى للدولة .

وعندما تسلَّم الحكم في الحجاز الملك عبد العزيز - رحمه الله تعالى - عَيَّن الشيخ إبراهيم بري قاضيًا في المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، واستمر مدرسًا بالمسجد النبوي إلى أن توفي في المدينة المنورة سنة ١٣٥٤هـ عن ثلاثة وسبعين عامًا رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته .

نشأته وتعليمه :

نشأ الشيخ عمر في بيت علم وفضل ودين ، في أسرة عريقة في العلم والأدب ، وحفظ كتاب الله ﷻ في مكتب الشيخ إبراهيم الطرودي في أحد مكاتب المسجد النبوي الشريف ، ولما أتم حفظ كتاب الله وجوّده على قراءة حفص ، قرأ عليه شرح الجَزَرِيَّة في التجويد ، وحفظ على والده الآجُرُّومِيَّة في النحو ، و "كفاية الغلام" في الفقه الحنفي على جَدِّه لوالده الشيخ عبد القادر البري ، وشرحهما له جَدُّه لوالدته الشيخ إبراهيم الأسكوبي ، كما درس مبادئ العلوم عليهما ، ثم دَرَسَ في مكتب الرُّشْدِيَّة العلومَ الرياضية واللغة التركية وبعض العلوم ، وكان يحسن اللغة التركية ، وله إلمام باللغة الفارسية ، كما تعلم في المكتب شيئًا من التاريخ والرسم والأعمال اليدوية التي كانت تسمى (إِشْكَرِي)(١) كما تعلم مبادئ الزخرفة والوشي .

جمال خطه :

وأخذ يتمرَّن على أنواع الخطوط على خَطَّاط تركي اسمه شُكري أفندي ، فتعلَّم الخط الرقعيّ ، والثلث والنسخ والفارسيّ ، حتى جاد قلمه

---

(١) بكسر الهمزة وسكون الشين ، وفتح اللام وكسر الراء بعدها ياء ساكنة .

وقويت ملكتُه ، وأصبح خطُّه من أجمل الخطوط ، مع تعلم شيء من النقش والزخرفة ، وقد ترك كثيرًا من المُشُوق واللافتات المكتوبة والمزخرفة بقلمه الجميل ، وكان يُزَيِّن مدائحه التي ينظمها لبعض الملوك والوجهاء بخطه البديع وزخرفته الفنية حتى تصبح تحفة نادرة تُزَيَّنُ بها أبهاء الاستقبال في المنازل . ولم يكتف بأن زخرف ومشق على الكاغد ، بل له زخرفة على بعض الوسائد بألوان متنوعة من الحرير يضمنها شعرًا بديعًا ، واسم من يهديها إليه من أهله أو أصدقائه .

شيوخه :

تلقى العلم والأدب على كبار علماءِ المدينة المنورة وأدبائها . ومن أساتذته في الأدب : الشيخ عبد الجليل برادة (١٢٤٢-١٣٢٧) ، وجده لأمه الشيخ إبراهيم الأسكوبي (١٢٦٤-١٣٣١) ، ووالده الشيخ إبراهيم بري (١٢٨١-١٣٥٤) ، والشيخ أمين حلواني (ت ١٣١٦) ، والشيخ خليل خربوطي (ت ١٣٢٧) ، والشيخ حبيب الرحمن الكاظمي (١٢٥٠-١٣٢٢) ، وهو - أي الشيخ حبيب الرحمن - أستاذ والده ، ودرَّس جميع العلوم التي كانت سَائِدَة في عصره ، وبَرَع في الفقه والتفسير والحديث والفرائض والنحو واللغة والصَّرف .

ومن أساتذته في العلوم : الشيخ حمدان الونيسي ، والشيخ مُلا سَفَر ، والشيخ أبو بكر الداغستاني ، والسيد حسين أحمد الفيض آبادي (١٢٩٦-١٣٧٧) ، والشيخ محمد العمري (١٢٨٠-١٣٥٠) ، والشيخ زاهد عمر زاهد (١٢٧٥-١٣٤٨) .

وأخيرًا كان أستاذه المفضَّل بعد أبيه الشيخ محمد الطِّيِّب الأنصاري (١٢٩٦-١٣٦٣) ، دَرَسَ عليه النَّحو والأَدَبَ والحَدِيث وبعض العلوم الأخرى ، كالمعاني والبيان واللغة وتوحيد السَّلَف .

مذهبه :

كان سلفيّ العقيدة ، وهذه السلفية كانت عند أبيه وجده ، فهم جميعًا أبعد الناس عن البدع ، وكان يتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - ، ويغار على مذهبه ، ولايقبل الطعن عليه ، وربما سهر ليلة ليرد على مسألة خلافية بين الحنفية وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى .

أدبه وشعره :

ظهرت عليه ملامح النبوغ مبكرة في سن الخامسة عشرة من عمره ، وكتب بواكير شعره وهو بعد في المكتب ، وأخذ كل من الأب والجَدَّين يشجعانه على القول ، ويكافئانه على الجيد منه ، ويصلحان أخطاءه ، ويَدُلانِه على مناهل الأدب ودواوين الشعر الجيدة ، يدرسها ويختار منها الأبيات الجميلة ويُشَطِّرُها أو يُخَمِّسها أو يُشَجِّرُهَا .

حتى غدا الشيخ عمر في مجالس المدينة وأنديتها شاعرها الغرِّيد ، وراويتها الفريد ، لايدانيه أحد في مذاكرة الأنفس[1] ، ولايُجاريه أحد في الرواية ؛ لكثرة محفوظاته ، واستيعابه ، ولقوة حافظته ، وحضور بديهته ، ومعرفته للجيد الذي ينتقيه من دواوين الشعراء .

وكان لايحفظ لشاعر إلا إذا درس حياته وعرف طبقته من شعراء عصره ، فإذا سألته عن شاعر ترجمه لك ترجمة وافية ، وأفاض عليك من جيِّد شعره ما يروي غليلك .

فنون شعره :

من فنون الشعر التي كان يجيدها (التَّشْجِير) وهي صَنْعَة مَدَنِيَّة قديمة تَعلَّمَها ووَرِثَها عن جده لوالدته الشيخ إبراهيم الأسكوبي ، وهي أبيات شعرية تكتب على شكل شجرة تتألف من قاعدة وفروع وزهرة[2] .

---

(١) هو نوع من المطارحة الشعرية يجيده من يحفظ كثيرًا من الشعر ، مع قوة الذاكرة وحضور البديهة ، فقد يأتي الأول ببيت من الشعر ، ويجاب من آخر ببيت على قافية البيت الأول . فإذا كانت القافية بحرف السين مثلاً يجاب ببيت أول حرف منه سين أيضًا ، وهكذا دواليك .

(٢) أورد العلامة المؤرخ الأديب الشيخ محمد سعيد دفتردار في مجلة المنهل ، المجلد (٢١) الجزء (١) نموذجًا من هذا النوع في قطعة شعر يمدح بها الشيخ عمر صديقه الشيخ عباس القطان ، المولود سنة ١٣١٢ ، والمتوفى سنة ١٣٧٠ ، رحمهما الله تعالى .

وهذا النوع من الشعر يجمع بين فَنِّ التنظيم وفَنِّ الخط وفَنِّ الرسم ، فهو صناعة يدوية عقلية جميلة .

وفنون التشجير عنده كثيرة جدًا ، وهناك أنواع أخرى من التطريز : في الكلمات ، وفي القوافي ، وفي مَصْرَعي كل بيت من قصائده(١) .

مجلسه وأسلوبه في الحديث :

إن المجلس الذي يوجد فيه الشيخ عمر بري لاتكاد تجد أحدًا يتحدَّث فيه غيره ، بل إنَّ الجالسين لايريدون أن يتكلم أحد غيره .

ولايشعر الجالس معه بالملل ؛ لأنه ينتقل في حديثه بين رواية الشعر ، وسرد التاريخ ، وعرضٍ لمسائل العلوم ، وينتقل بمجالسه عبر عصور التاريخ ، ووقائع الملوك ، ومصارع الرجال ، ويعينه على مايروي ذاكرته الجيدة القوية.

---

(١) ذكر الأستاذ إبراهيم العياشي في مجلة المنهل العدد (١) سنة (٢٩) ما يدل على قوة بديهته وسرعة ارتجاله للشعر مع إتقانه لفن التشجير والتطريز يقول : "جاءنا نعي العلامة الشيخ خليل أحمد السَّهارنفوري (١٣٤٦) رحمه الله تعالى ، فكتب في بطن غلاف كتاب "المستطرف" في رثائه قصيدة مشجرة أذكر منها :

العلم يبكي شجوه وينوحُ	والدَّمع في خدِّ الزَّمان سفوحُ
لم لا وقد فُقِد الذي بوجوده	شخص الجهالة في الورى مذبوح
شَخْصٌ تود الزَّاهرات لو انها	تفديه بالأنداء وهي تفوح "انتهى .

كما أنه يُوجِدُ المناسبات لما يرويه من أدب أو تاريخ أو تراجم أو قصص وذكريات ، حتى إن السامع له يكاد أن ينسى الوقت ، ويجد من المتعة لحديثه ما يشغله عن المهم من أعماله[1] .

رحلاته :

رحل الشيخ عمر – رحمه الله تعالى – أربع رحلات : **الأولى** : وهي رحلة قهرية إلى الشام والأناضول ، **والثانية** : إلى مصر ويوغسلافيا وألبانيا ، **والثالثة** : إلى تونس ، **والرابعة** : إلى الهند .

أما الرحلة الأولى : فكانت في أوائل عام ١٣٣٤ عندما طلب فخري باشا محافظ المدينة المنورة من الشيخ عبد القادر بري أن يغادر المدينة هو وأسرته ، وكانت هذه الرحلة الجبرية شديدة الوطء عليهم ، لايعرفون نهايتها ، ولايأمنون غائلتها .

---

(١) وللشيخ عمر – رحمه الله تعالى – قصيدة شعرية رائعة ، ذكر فيها رحلته إلى الهند ، ويظهر في نظمه لهذه القصيدة مقدرته الفائقة على الوصف ، حتى لأدق الأشياء التي شاهدها في الهند ، وقد أورد أبياتًا من هذه القصيدة ابن خالته الأديب الشيخ محمد سعيد دفتردار في ترجمته له في مجلة المنهل ، المجلد (٢٠) العدد (١٠) ص ٦٩٦ – ٧٠١ ، ولم ترد هذه القصيدة في ديوانه الذي نشره الدكتور الخطراوي .

وكانت الحرب العالمية الأولى قد ثارت فهزَّت أهل المدينة هَزًّا ، ومزَّقت شملهم ، وطوَّحت بهم إلى سورية وتركيا ، وبعضهم ارتحل إلى مكة .

وكان إبعاد آل البري إلى سورية ، ومنها إلى الأناضول بتركيا ، واستقرَّ قرارُهم في بلدة اسمها (الوشاق) تابعة لولاية أزمير . وعاشت الأسرة في الوشاق ما يقرب من عامين ، يعيشون على ماكانت الدولة تصرفه لهم من أرزاق ومرتبات ضئيلة .

وفي شعبان عام ١٣٣٦ سمحت الحكومة التركية لهؤلاء المبعدين بالعودة إلى سورية ، واستقرُّوا في دمشق إلى أن عاد أهل المدينة المنورة إلى بلدتهم في عام ١٣٣٧ ، وفي دمشق توفي في أسبوع واحد جد الشيخ عمر : الشيخ عبد القادر بري ، وزوجته أمُّ أولاده بنت الشيخ صالح الفضائلي ، وولد صغير له .

وبعد جلاء الترك عن المدينة المنورة عادت أسرة الشيخ عمر إليها ، ولكنهم وجدوا أكثر الأمتعة التي خلَّفوها في منزلهم قد نُهبت من قبل جيش البدو الذين احتلوا المدينة المنورة أواخر سنة ١٣٣٧ .

ومن هذا التاريخ إلى عام ١٣٤٥ والشيخ عمر مقيم في المدينة المنورة ، وكان كاتبًا في المحكمة الشرعية .

الرحلة الثانية : وفي عام ١٣٤٥ سافر هو وابن خالته الشيخ عمر شَقْلبها إلى يوغسلافيا ، وكانا يبحثان عن بَدَلات للحج ، فسافرا من جُدَّة إلى الإسكندرية ، فاليونان ومنها إلى أسكوبيا ، واجتازا الحدود إلى ألبانيا ، وقد أخذت الرحلة منه ما يقرب من عام .

ومما قاله في سفره إلى ألبانيا[1] :

أَسِفَ الفُؤَادُ وحقُّه يتأسَّف	ويظل في نادي الحجا يَتَلَهَّفُ
فارقت طابة مكرهًا أبغي الغنى	والله يعلم أنني مُتَأسِّفُ
هي سَفْرَةٌ سَفَرَت بها الأيام عن	مكروهِ عَصرٍ جَوْره لايَنْزِفُ
ياقوم ، إن الدين أصبح في الورى	فردًا غريبًا قلبه يُتَخَطَّفُ

الرحلة الثالثة : في عام ١٣٤٦ بعد عودته من رحلة ألبانيا ويوغسلافيا بعام ، استأذن والده بأن يسمح له بالسفر إلى تونس . وأخذ يُلِحُّ على والده ، والوالد يُرجِئ ويُسَوِّف ، لكن على غيرما طائل ، فسمح له وهو يبكي على فراق ابنه الوحيد العزيز ، وكان محمَّلاً بتوصيات من والده إلى شيخ الإسلام في تونس العلامة الشيخ حميدة بيرم .

(١) ديوان عمر البري ، ص ٥٣ .

إقامته بتونس : سافر الشيخ عمر إلى تونس ، واحْتفى به الشيخ حَميدة ، واستبْقاه عنده ، وهيَّأ له عملاً في سكرتيرية جامع الزيتونة .

والشيخ عمر رجل اجتماعي له جاذبية فطرية ، ويحسن إدارة المجالس ، فالتفَّ حوله الشباب التونسي ، وأكرموا مثواه ، وغدت له حظْوَةٌ كبيرة عندهم .

وقد قام بعمله في إدارة الجامعة أحسنَ قيام ، وظهرت كفايته ومقدرته ، وكان مَثلاً للموظف المثالي ، فقدَّره رؤساؤه ، وأحبَّه زملاؤه ، وقد زاد حُبُّ أصدقائه فيه كرمه الفياض ، وخفة ظله ، وجمال منطقه ، حتى أصبح منزله (ناديًا) أدبيًا اجتماعيًا علميًا .

وأحبَّ أصدقاؤُه أن يقيِّدوه ببلادهم ، ، وعلموا أن المرأة هي خير قيد له ؛ لتسكن نفسه وتستقر ، فأجاب وتزوج بزوجته الأولى من آل الوزير ، ولكن لم تطل حياته معها ؛ بسبب تباين العادات ، وتخالف الطباع ، فأبانها .

ولم يستطع أن يعيش عازبًا ، فزوَّجه شيخ الإسلام من إحدى قريباته ، وهي التي عاشت معه إلى أن عاد إلى المدينة المنورة ، ثم فارقته .

وكان الشيخ عمر يقوم في إجازة جامع الزيتونة الصيفية برحلات إلى ولايات تونس ، أو إلى الجزائر ومراكش ، وله في تلك البلاد آثار أدبية

قيمة من شعر المديح والوصف والمعارضات ، وله مقالات في جريدة النديم ، والوزير وغيرهما .

ومن أعظم آثاره العلمية في تونس تأليف كتاب "سيف الحق" في الرد على طاهر الحداد ، وسيأتي الحديث عنه في مؤلفاته .

رجوعه إلى المدينة المنورة : مكث الشيخ عمر في تونس تسع سنين ، من عام ١٣٤٥ إلى عام ١٣٥٥ ، وقصد البقاء هناك إلى ما شاء الله ، حتى فوجئ ببرقية وردت إليه من عمه عبد العزيز وابنه عبد الكريم تنعى إليه والده ، وتطلب إليه العودة بكل سرعة .

وقد أصبحت العائلة في المدينة المنورة في حاجة ماسة إليه ، لاسيما وأنَّ وظائف والده إن لم يحضر فستؤول إلى غيره . فعاد إلى المدينة بإجازة شهرين من رؤسائه ، وَوَصَل إلى جُدَّة ، وذهب إلى مكة فأدى سنة العمرة ، ولقي سمو الأمير فيصل النائب العام آنذاك ، وألقى أمامه قصيدة مدحه بها[١] ، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعد هذه الرحلة الطويلة .

الرحلة الرابعة : إلى الهند : في عام ١٣٥٦ ، وكان سبب الرحلة للهند أنه حينما عاد من تونس بعد وفاة والده (١٣٥٤) ذهب إلى الهند لإعادة راتب والده من ملك حيدرآباد وملك بهوبال ، ويجعلهما باسمه ،

(١) هذه القصيدة في ديوان عمر البري ، ص ١٨٢-١٨٣ .

وقد نظم رحلته بما يقرب من ٤٠٠ بيت من بيت واحد وقافية واحدة ، وقد افتتح هذه الرحلة بقوله :

مِنْ نَفْحَةِ الخُلْدِ أو من نَسْمَةِ الهِنْـدِ   أَحْيَيْتِ ياريحُ مَيْتًا شَطَّ في البُعْد

دَخَلْتُ (بومباي) مأخوذًا برؤيتها   كما أُخِذْتُ بداعي الحبِّ والوَجْدِ

ثم وصف جمال الطبيعة فيها ، ووصف بساتِينَهَا وزِرَاعَتَهـا وطيورهـا وحيواناتهـا الأليفـة والمتوحشـة ، وتكلـم عـن أهـل الهنـد وأنواعهـم ، وديانـاتهم ، ونِحَلِهِـم ، وعـاداتهم ، وعلمـائهم ، ومعـاهدهم ، وصناعاتهم ، كل ذلك بدقة فائقة في الوصف والقصص .

تلاميذه :

لقد تتلمذ على الشيخ عمر بري كثير من الطلاب في حلقاته العلمية في المسجد النبوي الشريف ، وفي ندواته الأدبية ، وفي القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية ، حيث كان يـدرِّس مختلفَ علوم العربية والشريعة ، من نحو وصرف ، وأدب ، وعَروض وبلاغة ، وفقه وفرائض ، وغيرها .

ومن تلاميذه : علي بن حسن الشاعر وزير الإعلام السابق ، والفريق الطيِّب التونسي ، وعبد الرحمن صالح ، وعبد الحق العباسي ، ومحمد مُلا،

والسيد حبيب محمود أحمد ، والشيخ عمر فَلاتَة المدرس بالمسجد النبوي الشريف .

مؤلفاته :

١ - " **سيف الحق على من لايرى الحق** ": ردَّ فيه على كتاب "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" لطاهر بن علي الحداد التونسي[١] (١٣١٧-١٣٥٤)، الذي ذهب فيه إلى أن الأحكام الدينية الإسلامية، ولو كانت بطريق النص، الذي لايحتمل التأويل ، فهي أحكام وقتية قابلة للتحوير والتنقيح ، بل الإلغاء تمامًا تبعاً لتطور العصور ، وقد نال من الجناب النبوي الأكرم ﷺ ومن أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، فقامت الأمة التونسية ضده بالإنكار عليه والرد ، وممن تَصَدَّى له الشيخ عمر بري بكتابه القيم المطبوع في تونس ، بمراجعة النظارة العلمية ، وبتوقيع شيخ الإسلام أحمد بيرم ، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

وقد استعرض الشيخ عمر أقوال الحداد وفنّدها مستدلاً بالكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، ودافع عن الشرع الشريف في أحكام الزواج والطلاق والحدود والرق، ونظام المواريث ، وأبان خلود أحكام الدين وصلاحها لكل زمان ومكان ، وقام بواجبه الإسلامي خير

(١) انظر ترجمته في "تراجم المؤلفين التونسيين" ٢ : ١٠٩-١١٦ .

قيام ، و لم تأخذه في مقالة الحق لومة لائم، وردَّ على الحداد ردًا محكمًا متينًا من غير أن يسفِّهَهُ أو يتعدَّى عليه أو يشتطَّ به القلم أو يَزِلَّ به القول ، ثم ختم كتابه بقصيدة مليئة بالحِكَمِ والبيان والوعظ والتذكير.

٢ – " **ديوان عمر بن إبراهيم البري** " : جمعه ولده عبد الكريم بن إبراهيم بري – رحمه الله – ، وقد نُشِرَت بعض قصائد هذا الديوان في حياة صاحبه في جريدة المدينة المنورة . واعتنى بنشره الدكتور محمد العيد الخطراوي ، وقَسَّم قصائد الديوان إلى مجموعات أربع وهي : " الوجدانيات والإخوانيات ، والتاريخيات ، والغزليات ، والسعوديات" . ولكنه حذف منه بعض القصائد والمقطوعات .

وقدَّم للكتاب بلمحة عن الحياة العلمية والثقافية في عصر صاحب الديوان ، و لم يترجم للشاعر سوى بضعة أسطر ، دون أن يستفيد مما كتبه الشاعر الكبير والأديب البليغ الشيخ محمد سعيد دفتردار في ترجمة ابن خالته الشيخ عمر بري ، والتي نشرت في مجلة "المنهل" في سلسلة مقالات مفيدة متنوعة[1] ، و لم يورد في ديوانه

---

(١) وقد نقلها مع اختصار يسير : أنس كتبي في كتابه "أعلام من أرض النبوة" الجزء الأول ص ١٥٠–١٦٧ ، دون أن يشير إلى المصدر الذي أخذ منه كعادته في كتابه المذكور !! .

قصيدته الممتعة عن الهند والتي سبقت الإشارة إليها ، ولم يذكر منظومته التي سيأتي الحديث عنها .

٣ - " **تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول** " في التوحيد ، وهي منظومة علمية نظم فيها "الأصول الثلاثة" للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وتتألف من إحدى وثلاثين ومائة بيت ، في (١٢) صفحة ، وتضمَّنت هذه المنظومة "الأصول الثلاثة" بأسلوب ممتع ، يسهل حفظها ، ويعين على استحضارها ، ويَعْذُبُ على الأذن استماعها .

وقد كان أسلوب نظم المتون العلمية شائعًا في ذلك العصر ؛ تسهيلاً للحفظ ، وإمتاعًا للسمع كما يقول العلامة السَّفَّاريني الحنبلي (ت ١١٨٨) في "الدُّرَّة المَضِيَّة" :

وَصَارَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِ العِلْمِ ... أَنْ يَعْتَنُوا في سَبْرِ ذا بالنَّظْمِ
لأَنَّهُ يَسْهُلُ للحِفْظِ كَمَا ... يَرُوقُ للسَّمْعِ ويَشْفِي مِن ظَمَا

وقد اطلعت على هذه المنظومة ضمن مجموع في مكتبة محدِّث الحَرَمَين الشَّريفَين العلامة الشيخ عمر حمدان المَحْرَسِيِّ - رحمه الله تعالى - والمحفوظ جزء يسير من مكتبته في مكتبة الملك عبد العزيز عند زيارتي للمدينة المنورة في ربيع الآخر سنة ١٤١٩هـ . وقد ذُكِرَ

في المنظومة مكان طباعتها في مطبعة المدينة المنورة ، دون ذكر لتاريخ الطبع ، ولا أعلم إذا كان نظمه "تسهيل الحفظ والوصول"قبل تأليف شيخه محمد الطيِّب الأنصاري رسالته "تسهيل الوصول" أم بعده ، والتي صدرت طبعتها الأولى في المطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥١هـ ، لأنهما يشتركان في الاسم ، أو أنهما صدرا معًا في وقت واحد .

وقد رأيت خدمة هذا النظم والعناية بضبطه والتعليق عليه ؛ إحياءً لأثرِ عالمٍ من كبار علماء المدينة المنورة وأدبائها ، ولارتباط المنظومة بترتيب شيخه الطيِّب الأنصاري للأصول الذي قمت بشرحه والتعليق عليه ، وللعلاقة الوثيقة بين التلميذ البري وشيخه الأنصاري - رحمهما الله تعالى- .

وفاته :

وبعد حياةٍ حافلة بالعلم والعطاء توفي الشيخ عمر بري في ١٠ شوال ١٣٧٨ عن تسعة وستين عامًا ، ودُفِنَ في البقيع في مدينة خير الرسل ﷺ .

وقد رثاه ابن خالته الأديب الكبير الشاعر محمد سعيد دفتردار في أبيات تفيض بالحزن والأسى والالتياع ، ومن هذه الأبيات[1] :

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢٠) ، العدد (٤) ، ربيع الآخر ١٣٧٩هـ = ١٩٥٩ م .

•

بيني وبينك يا أخي هالوا الترابَ الغَرْقديا
سأجوزُه يومًا إليك موسَّدًا نعشاً سويًا
فإذا أتيتُك هل أرا كَ كما عهدتك بي حفيًا؟

إلى أن يقول :

أبكيك لو تطفي دمو عي ذلك اللهب الوريا
أسقي به هذا الثرى حتى يعود به نديا
ما ضرَّني لو قد فَدَ يْتُك يا أخي وبقيت حيا
تروي حديث المصطفى وتذيعه عطرًا سنيا
والشعر أين الشعر بعـ ـدك ناضرًا غضًا طريا
فانعم بأطْيب مرقد واطعم به واشرب هنيا

وممن رثاه تلميذه الأستاذ عبد الرحمن بن الطيِّب الأنصاري ، فقال : "رحمك الله يارجل الدين واللغة والأدب ، عَرَفْتُ فيكَ الرَّجُلَ الضَّليع في كل شيء ، في الفقه والحديث واللغة بفروعها شعرًا ونثرًا .

عَرَفْتُ فيك الرَّجل الصَّريح الذي لايخفي ما في قلبه ، فقد كان مثال الرجل المؤمن التَّقِيَّ الورع .

رحمك الله أيها الشيخ الجليل ، فقد عرفتك أول ما عرفتك عند والدي ، عرفتك من صوتك المجلجل ، عرفت فيك الشاعر الذي يشبه السيل المنهمر ...

رحمك الله يافقيد العلم ، فقد فقدك المسجد النبوي ، وفقد تلاميذك الملازمون لحلقتك روح الأبوة ، وروح المعلم القدير ... رحمك الله أيها الشيخ المهيب ، وطيَّب ثراك ، وأسكنك فسيح جناته ، وجزاك بالإحسان إحسانًا ، وبالبر برًا"[1] .

۞ ۞ ۞

---

(١) مجلة المنهل ، المجلد (٢٠) ، العدد (١٠) ، ذو الحجة ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م ، بعنوان "علم هوى" وهذه الكلمة تعبير صادق عن وفاء التلميذ لأستاذه ، وعن برِّه بتلميذ والده ، وإنَّ من البر « **صلة الرجل أهل ود أبيه** » .

تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول

رتبها

العلامة الشيخ محمد الطيب الأنصاري
المولود سنة ١٢٩٦ والمتوفى سنة ١٣٦٣
رحمه الله تعالى

اعتنى بها

مجد بن أحمد مكي

دار البشائر الإسلامية

دار نور المكتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلف

الحمد لله الذي شهد بألوهيته المؤمنون وأهلُ السموات ، واعترف بربوبيته جميعُ المخلوقات ، والصلاة والسلام على من جاء بالتوحيد ، ودعا إليه كلَّ ضعيف وعنيد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المزيد ، أما بعد :

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الباري ، محمد الطيِّب بن إسحاق الأنصاري : إنه لما عُيِّنْتُ مدرِّسًا فنَّ التوحيد في مدرسة الإمام عبد العزيز آل سعود أيَّده الله بنصره وتوفيقه ، وقرنه بالتأييد ، في مدينة صاحب المقام المحمود ، وذلك بأمر رئيس القضاة ، وزعيم الدعاة ، الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ - حفظه الله - .

كان أول ما اشتغلت بتعليمه كتاب صَغُر حجمًا ، وغَزُر حكمة وعلمًا ، تأليف مُجَدِّد سُنَّة النبيِّ الأوَّاب ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله له المثوبة ، وأحسن له المآب .

فرتبتها على السؤال والجواب ؛ تسهيلاً على ضعفة الطلاب ، ولأشارك مؤلفها في الأجر ، ولو بأضعف الأسباب ، فسميته " تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول " .

والله المأمول في الإسعاف بغايةِ السُّول .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمدٍ ، وعلى آلهِ وصحبه أجمعين .

المسائل الأربع

س١- ما المسائل الأربع التي يجب على كل إنسانٍ تعلُّمها ؟

(الأولى) : العلم ، وهو : معرفة الله ، ومعرفة نبيِّهِ ، ومعرفة دينِ الإسلامِ بالأدلة(١) .

(الثانية) : العملُ بهذا العلم(٢) .

---

(١) وهذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ، والتي سيأتي تفصيلها في هذا الكتاب .

(٢) وهذا ما يدلُّ عليه قوله تعالى في سورةِ العصر : ﴿ **والعصْرِ إنَّ الإنسانَ لفِي خُسرٍ إلاَّ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالِحات** ﴾ فلا بد مع التصديقِ والمعرفةِ من الإذعانِ والانقياد والطاعة ، ولذلك نجد من أسلوبِ القرآن أنه لا يذكر الإيمان إلاَّ ويقرنه بالعمل الصالح .

ولكن الطريق إلى العمل الصالح هو العلم ، وكلُّ مَن عمل بلا علمٍ فإنه يَضِلُّ كما ضلَّتِ النصارى ، كما أنه إذا علم ولم يعمل صار من أهل الغضب كاليهود . ولا بُدَّ أن يكون العمل صالحاً ، ولا يكونُ صالِحاً ما لم يكن موافِقاً لشرعِ الله تعالى وخالصاً من الشرك .

(الثالثة) : الدعوةُ إليه[1].

(الرابعة) : الصبرُ على الأذى فيه[2].

س٢- ما الدليلُ على ذَلِكَ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **والعَصْرِ إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمنوا**

---

(١) وهذا ما يدلُّ عليه قوله تعالى : ﴿ **وتَواصَوْا بالحق** ﴾ ، وهو الدعوةُ إلى الدين الحق، فأهلُ النَّجاةِ والفوزِ من الخسران بَعْدَ أن عرفوا الحقَّ وعمِلوا بـه، عليهـم أن يُبَلِّغوه غيرهم دعوةً وتعليماً وإرشاداً، كما قَالَ تعـالى : ﴿ **كنتُـمْ خـيرَ أمَّـةٍ أُخرِجَتْ للنـاسِ تـأمرون بـالمعروفِ وتنهـونَ عـن المنكـرِ وتُؤمِنـونَ بـا لله** ﴾ [آل عمران : ١١٠] ﴿ **ولتَكُن مِّنكُمْ أُمَّـةٌ يَّدْعـونَ إلى الخـيرِ ويـأمُرونَ بـالمعروفِ وينهَـوْنَ عـن المنكـر وأولئـكَ هـم المفلحـون** ﴾ [آل عمـران : ١٠٤] ، وكلمة ﴿ **تواصوا** ﴾ تقرر أَنَّ على المسلِمين أن يتعاوَنوا ويتعاضَدوا، فيَتَوَاصَوْا بالحق فيما بينهم، ويدعوا إليه غيرهم .

(٢) وهذا ما يدلُّ عليه قوله تعالى : ﴿ **وتواصَوْا بالصَّبر** ﴾ فلابد مـن الصـبر علـى الدعوةِ إلى ا لله، وَمَا يلقاه الداعية من أذى وعَنَتٍ وإساءةٍ، كما قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وأمُرْ بالمعروفِ وَانهَ عن المنكَرِ واصْبِرْ عَلى ما أَصابكَ إنَّ ذَلِكَ مـن عـزمِ الأمور** ﴾ [لقمان : ١٧] .

قال ابن القيم في "طريق الهجرتـين" ص ٥٠٦ : "والإيمـان التـام يسـتلزم العلـم والعمل والدعوة إلى ا لله بالتعليم والصبر عليه" انتهى .

وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَوَاصَوْا بالحَقِّ وتَوَاصَوْا بالصَّبْر ﴾[1] [سورة العصر ، الآيات : ١-٣] .

---

(١) يُقسم الله سُبْحَانَهُ بالعَصْرِ الَّذِي هو الدَّهر ، المشتمل على عُمُرِ كُلِّ ذي عُمُر ، وجوابُ القسَم : ﴿ **إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسر** ﴾ أي : لَفي خُسرٍ لعُمُرِهِ المطويِّ في العَصْر ، وإنَّ رأس مال الإنسان الَّذِي لا يعوَّض إذا فاته هو عمره ، وإنَّ أعظمَ الخَسارات هي خسارةُ الإنسان عمرَهُ ، ولم يسلم من تلك الخسارة الكبرى ، وذلك الحكم العام على الإنسان إلاَّ القليل ، وهم الذين اتَّصَفوا بهذه الأوصاف الأربعة : ﴿ **إلا الذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ** ﴾ وهم المؤمنون الذين حقَّقوا الإيمان والإسلام ، فالإيمانُ هو التصديق بالأركان الستة ، والإسلامُ هو العمل الصالح ، ويأتي على رأسه العمل بالأركانِ الخمسة ، فمن جَمَعَ بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح فقد أدركَ طريق النجاةِ وسَلِمَ من الخسران.

﴿ **وتواصَوْا بالحقِّ** ﴾ من أعمالهم الصالحة أن يوصيَ بعضهم بعضاً بالتمسُّكِ بالدين الحق الَّذِي هو الإسلام ، وبدعوةِ الناسِ إليه ﴿ **وتواصَوْا بالصَّبر** ﴾ ويوصي بعضُهُم بعضاً بالصبر على الطاعات ، والصبر عن المحرمات ، والصبر على البلاء والمصائب ، وتحمُّلِ الأذى في سبيل الله ، والثباتِ على ذَلِكَ.

قال الإمام ابن القيم في "مدارج السالكين" ١ : ٦ : " فلما كان كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع والعمل الصالح وهما الهدى ودين الحق ، وبتكميله لغيره في هذين الأمرين ، كما قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا ...** ﴾ . أقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمَّل قوته العلمية بالإيمان ، وقوته العملية بالعمل الصالح ، وكمَّل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه . فالحق هو الإيمان والعمل ، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما ، والتواصي بهما ، كان حقيقًا بالإنسان أن ينفق ساعات عمره ، بل أنفاسه ، فيما ينال به المطالب العالية ، ويخلص به من الخسران المبين " انتهى .

س٣ – ما الَّذِي قاله الشافعِيُّ في هذه السُّورة ؟

قال : "لو ما أنزلَ ا للهُ على خَلْقِهِ إلاَّ هذه السورةَ لكَفَتْهُمْ"[١] .

س٤ – هل القولُ والعمل قبل العلم أو العلم قبلهما ؟

العلم قبلهما ، بدليـلِ قَوْلِـهِ تَعَـالَى : ﴿ **فـاعلَمْ أنَّـهُ لا إلـهَ إلاَّ ا للهُ واسْـتغفِرْ لذنبِـكَ وللمؤْمِنـين** ﴾[٢] [مـن سـورة محمـد ، الآيـة : ١٩] ؛

---

(١) ولذلك اتَّخذ أصحابُ رسول ا لله ﷺ هذه السورة شِعاراً لهـم ، يذَكِّـرُ بعضهـم بها ، فعن أبي مَدِينة عبد ا لله بن حِصْن الدَّارميّ أنه قـال : كَـانَ الرجُـلانِ مـن أصحاب رسول ا لله ﷺ إذا التقَيا لم يَفْترِقا إلاَّ على أن يقرأ أحدُهُما على الآخر سورةَ العصر إلى آخِرِهـا ، ثُـمَّ يسـلِّمُ أحدهمـا علـى الآخـر ، رواه الطَبَراني في الأوسط ، والبيهقِي في "شعب الإيمان" في الشعبة الثانية والستين.

(٢) الخِطَاب للنَّبيِّ ﷺ ويشمل أمَّتَهُ ، وأمر ا لله عَزَّ وجَـلّ نبيَّـه بالاسـتغفار مـع أنـه مغفورٌ له لتستنَّ بِهِ أمَّتُـهُ ، وليقتَـدوا بِـهِ في ذَلِـكَ ، روى مسـلمٌ (٢٧٠٢) عـن الأغَرِّ المُزَنِيِّ قال : سمعت رسولَ ا لله ﷺ يقول : ((توبوا إلى ربِّكُمْ ، فوا لله إني لأتوبُ إلى ربي عَزَّ وجَلّ مائة مرةٍ في اليوم)) .

وروى البخاري (٥٩٤٨) عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسول ا لله ﷺ يقول : ((وا لله إني لأستغفرُ ا للهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)) .

وسـببُ استغفاره ﷺ : تحقيـقُ العُبودِيَّـةِ ، وإظهـار الافتقــار إلى ا لله تعــالى ، والشكر له سُبْحَانَهُ ، كما قال ﷺ : ((أفَلا أكونُ عبداً شكورا)) .

فبدأ بالعلمِ قبل القولِ والعمل[1].

---

(١) حيث قال : ﴿ **فاعلم أنه لاإله إلا الله** ﴾ ثم أعقبه بالعمل في قوله : ﴿ **واستغفر لذنبك** ﴾ فدلَّ على أن مرتبة العلم مقدَّمة على مرتبة العمل .
فالعلمُ با لله تبارك وتعالى : بأسمائه الحسنى ، وصِفاتِهِ العُلا أولُ ما ينبغي للإنسانِ أن يَعْلَمَه ، وا للهُ سُبْحَانَهُ ما خَلَقَ هذا الكونَ بسَمواتِهِ وأرضه إلاّ لكي نعرفه سُبْحَانَهُ ، ونعبده ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **ا للهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سموات ٍ ومن الأرضِ مثْلَهُنَّ يتنزَّلُ الأمرُ بينهنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ا للهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ وَأَنَّ ا لله قد أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ علما** ﴾ [الطلاق : ١٢] .
والآياتُ الَّتِي فيها الأمر بالعلم للفرد : ﴿**اعلم**﴾ أو الجماعة : ﴿**اعلموا**﴾ تُبيِّنُ أَنَّ أولَ ما ينبغي أن يُعلَمَ هو التوحيد ، وَمَا يتعلَّق بِهِ من كمالِ ا لله تعالى وجلاله ، وكذلك لقاؤه وأننا إليه محشورون .
وقد تكرَّرَ ذِكرُ هذا اللفظ ﴿**اعلموا**﴾ في سبع وعشرين آية ، كلُّها تتعلَّق بكَمالِ الإلهية وصِفاتها ، أو التذكير بالحشر وملاقاةِ ا لله سُبْحَانَهُ ، ومَعِيَّتِهِ لعِبادِهِ المتَّقين ، وكذلك العلم برسالةِ الرسول ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **واعْلَموا أَنَّ فيكُمْ رسولَ ا لله** ﴾ [الحجرات : ٧] .
بينما توجد آيةٌ واحدةٌ تتعلَّقُ بالأحكام ، في قوله تعالى : ﴿ **واعلموا أنَّما غنِمتُمْ من شيءٍ فأنَّ لله خُمُسَهُ وللرَّسُولِ ولذِي القُربَى واليَتامَى والمساكِينِ وابنِ السبيل...** ﴾ [الأنفال : ٤١] ، مِمَّا يدلُّ على أَنَّ العقائد مقدَّمةٌ على الأعمال ، وَأَنَّ الأصولَ مقدَّمَةٌ على الفروع . =

قاله البخاري[1].

❁ ❁ ❁

=قَالَ الحافظ ابن رجب في "شرحِ حديثِ أبي الدرداء" ص : ٤١ : "فأفضلُ العلم : العلمُ با لله، وهو العلم بأسمائه وصِفاته وأفعاله الَّتِي توجبُ لصاحِبها معرفةَ ا لله وخشيتَهُ ومحبتَهُ وهيبتَهُ وإجلالَهُ وعظمتَهُ، والتبتُّلَ إليه، والتوكُّلَ عليه، والصبرَ والرِّضا عنه، والاشتغالَ بِهِ دون خلقِهِ، ويتبعُ ذَلِكَ : العلمُ بملائكته وكتبِهِ ورسُلِهِ واليومِ الآخر وتفاصيل ذلك، والعلم بأوامر ا لله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وَمَا يحبُّه من عباده من الأقوالِ والأعمال الظاهرةِ والباطنة، وَمَا يكرهه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرةِ والباطنة" انتهى.

(١) كتابُ العلم ١ : ١٩٢، باب العلم قبل العمل.

المسائل الثلاثة

س٥- ما المسائل الثلاثة التي يجبُ تعلُّمُها والعملُ بها؟

(الأول) : أَنَّ اللهَ خلقَنا وَرزَقَنا ، ولَمْ يترُكْنا هَمَلاً[(١)] ، بل أرسلَ إلينا رسولاً ، فَمَن أطاعَهُ دَخَلَ الجنة ، ومَن عَصَاهُ دَخَلَ النار[(٢)].

---

(١) أي : مهملين ، قال تعالى ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لاترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لاإله إلا هو رب العرش العظيم** ﴾ [المؤمنون : ١١٥-١١٦] .

وقال سبحانه : ﴿ **أيحسبُ الإنسان أن يُترك سُدَى** ﴾ [القيامة : ٣٦] . أي : أيظن أن يُترك مهملاً فلا يُكلَّف ولايُجْزَى !!

(٢) لأن طاعته ﷺ طاعة لله سبحانه : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَد أَطَاعَ الله** ﴾ [النساء : ٨٠] ، وهي سبب دخول الجنة : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلهُ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم** ﴾ [النساء : ١٣] ، ﴿ **ومن يُطع الله ورسوله ويَخشَ الله ويَتَّقْهِ فأولئك هم الفائزون** ﴾ [النور : ٥٢] ، كما أن معصيته ﷺ معصية لله سبحانه ، وهي سبب دخول النار - والعياذ بالله - : ﴿ **ومَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِين** ﴾ [النساء : ١٤] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّم خَالِدين فيها أبدًا** ﴾ [الجن : ٢٣] .

روى البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام (٦٨٥٢) من حديث جابر بن عبد الله قال : ((جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم ، فقالوا : =

س٦ – ما الدليل على ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **إنَّا أرسلْنَا إليكُمْ رَسُولاً شاهِداً عليكم كما أرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رسولاً فعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسولَ فأخذْناهُ أخذاً وبيلا** ﴾[(١)] [من سورة المزمل : ١٥-١٦] .

(الثانية) : أنَّ الله لا يَرْضَى أن يُشرَكَ مَعَهُ في عبادتِهِ أحدٌ ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، ولا نَبيٌّ مُرْسَل .

=إنَّ لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً ، فقالوا : مَثَلُهُ كمثل رجل بنى دارًا ، وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعيًا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ... فالدار الجنة ، والداعي محمد ﷺ ، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد ﷺ فَرْقٌ بَينَ الناس)) أي : يُفَرِّقُ بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه .

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **شاهِداً عليكم** ﴾ أي : بالتبليغ وإيمان من آمنَ ، وكُفْرِ مَن كفر ، وقوله تعالى : ﴿ **فأخَذْناهُ** ﴾ أي : فرعون ﴿ **أخذاً وبيلا** ﴾ أي : شديداً ثقيلا ، وذلك بإغراقه وجنوده في البحر ، فلم يفلت منهم أحد .
وإنما خصَّ موسى وفرعون بالذِّكر من بين سائر الأمم والرسل ؛ لأن محمدًا ﷺ آذاه أهل مكة واستخفوا به ؛ لأنه ولد فيهم ، كما أن فرعون ازدرى موسى وآذاه لأنه رباه ؛ ولأنَّ خبر موسى وفرعون كان منتشرًا بين أهل مكة ؛ لأنهم كانوا جيران اليهود (الخازن والنسفي ٤ : ٣٢٣) .

س٧ – ما الدليل على ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وأنَّ المَسَاجِدَ للهِ فلا تَدْعُوا مَعَ ا للهِ أحَـدا ﴾[١]

[من سورةِ الجن ، الآية : ١٨] .

(الثالثة) : أَنَّ مَن أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ ا للهَ لا يجوزُ لـه مُـوَالاةُ مَنْ حَادَّ ا للهَ ورَسُولَهُ[٢] ، ولَوْ كانَ أقْرَبَ قريبٍ[٣] .

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وأنَّ المَسَاجِدَ لله ﴾ يعني المواضع الَّتي بُنِيَتْ للصَّلاةِ والعِبادةِ وذِكرِ ا لله تعالى ، فأمرَ ا لله المؤمنين أن يُخلِصوا الدعاء لله تعـالى ، وقيـل : أرادَ بالمساجد بِقاعَ الأرض كلِّهـا ؛ لأنَّ الأرض كلَّهـا جُعلَـتْ مسـجداً للنبي ﷺ ، وقيل : المساجد أعضاءُ السّجود الَّتي يَسْـجُد عليهـا الإنسـان ، فهـذه الأعضـاءُ مخلوقةٌ لله فلا تسجدوا عليها لغيره.

(٢) أي : خالَفَهُما وعاداهُما . والمحادَّة : المعاداة والمخالفة والمجانبة ، وهـي مفاعَلَـة من الحَدِّ ، وأَصل الحَدِّ : المنع والفَصْل بين الشيئين . يقال : حادَّ فلان فلانًا إذا صار في غير حدِّه ، وخالفه في أمره .

(٣) أي : ولو كان من حادَّ ا لله ورسوله ابنك أو أباك أو أخـاك أو عشـيرتك ، فـإن ا لله قطع التواصل والتـوادد والتـوارث وغـير ذلـك مـن الأحكـام والعلائـق بـين المسـلمين والكـافرين ، فـإن القـرب في الحقيقـة إنمـا هـو قـرب الديـن لا قـرب النسب ، فالمسلم ولو كان بعيد الـدار فهـو أخـوك في ا لله ، والكـافر ولـو كـان أخاك في النسب فهو عدوك في الدين ، وحرام على المسلم موالاتهم ، بـل يجـب اتخاذهم أعداء وبغضاء . (حاشية ابن قاسم ص ٢٤) .

س٨ – ما الدليل على ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **لا تجدُ قوماً يُؤْمِنونَ با للهِ واليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حادَّ ا للهَ ورَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آبَاءَهُمْ أو أبْناءَهُمْ أو إخوانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ أولئِكَ كَتَبَ في قلوبِهِمُ الإيمانَ وأيَّدَهُمْ بِرُوحٍ منْه** ﴾(١) [من سورةِ المجادلة ، الآية : ٢٢] .

س٩ – ما الحَنِيفِيَّة مِلَّةُ إبراهيم(٢) ؟

أن تعبدَ ا للهَ وحدَهُ مخلصاً له الدِّين ، وبذلك أمَرَ ا للهُ جميعَ

---

(١) أخبرَ ا لله تعالى أَنَّ إيمانَ المؤمنين يفسد بمُوَادَّةِ الكافرين، وَأَنَّ مَن كَانَ مؤمناً لا يوالي مَن كفر، لأن مَنْ أحَبَّ ا لله ورسوله امتنع أن يحب عدوّهما، ثُمَّ إنَّه تعالى بالغَ في الزَّجْرِ عن مودتهم والميل إليهم فقال:﴿ **ولو كانوا آباءَهم أو أَبْنَاءَهُم أو إخْوَانَهُم أو عَشِيرَتَهُم**﴾ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان** ﴾ أي : أثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنةٌ مُخلِصَةٌ ﴿ **وأيَّدَهُمْ بروحٍ منه** ﴾ أي : قوَّاهم بنصره، وقيل : المراد بالروح : القرآن، أو جبريل عليه السلام .

(٢) الحَنَفُ : هو مَيلٌ عن الضلال إلى الاستقامة، والحنيف: جَمْعُهُ حُنَفاء . قَالَ ابن عباس : الحَنيفُ المائل عن الأديان كلِّها إلى دين الإسلام . والعرب تُسَمِّي كُلَّ من حج واختتنَ حنيفاً على أنه على دين إبراهيم ، فالحنيفية هي دين الإسلام وهي دينُ إبراهيم عليه السلام، وأما الملة فإنها الدين ، وجمعها المِلَل .

قَالَ تعالى : ﴿ **وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قُلْ بل مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً وَمَا كَانَ من المشركين** ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

الناسِ[1] وخلقَهُمْ لها[2].

---

(١) قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وما أُمِروا إلاّ ليعبدوا ا لله مخلصين له الدين حُنَفاء** ﴾ [البيّنة : ٥] .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **فاتّبِعوا مِلّةَ إبراهيمَ حنيفاً وَمَا كَانَ من المشركين** ﴾ [آل عمران : ٩٥] . وإنما قال سبحانه : ﴿ **فاتبعوا ملة إبراهيم** ﴾ ؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان يدعو إلى توحيد ا لله وعبادته ، ولأنه كان مقبولاً عند جميع الأمم ، فإن العرب يفتخرون بالانتساب إليه ، وكذا اليهود والنصارى ، فإذا ثبت هذا ، وأن شرعه كان مقبولاً عند الأمم ، وأن شرع محمد ﷺ وملته هو شرع إبراهيم وملته ، لزم الخلق الدخول في الدين الذي بعث به رسول ا لله ﷺ وقَبول شرعه.

(٢) فا لله سبحانه خلق الجنَّ والإنس للابتلاء والامتحان . قال تعالى : ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبْلوكُم أَيُّكُم أحسن عملاً** ﴾ [الملك : ٢] ، وقال سبحانه : ﴿ **إنّا جعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زينَةً لها لنَبْلُوَهُم أَيُّهُم أَحْسَنُ عَملاً** ﴾ [الكهف : ٧] . وطلب منهم أن يوحدوه وأمرهم أن يعبدوه .

قال الإمام الشافعي : خلق ا لله لعبادته ، يعني ما شاء من عباده ، أو ليأمر من شاء منهم بعبادته ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (سنن البيهقي الكبرى٩: ٣) .

وقال الإمام أبو عمرو الداني في "الرسالة الوافية" ص ٦٧ : "ومعنى قوله : ﴿ **وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الخصوص ، يريد بعضهم ، وهم الذين عَلِم أنهم يعبدونه ؛ لأنه قال في آية أخرى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس** ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، ومن ذرأه لجهنم لم يخلقه لعبادته . وقال مجاهد : معنى ﴿ **ليعبدون** ﴾ : ليعرفون . أي : ليعرفوا أن لهم خالقًا رازقًا" انتهى .

س١٠ – ما الدليلُ على ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبُدونِ** ﴾[1]

[الذاريات : ٥٦] .

س١١ – ما معنى يعبدونِ؟

يُوَحِّدونِي[2] ، (وآمُرُهُمْ وأنهاهُم)[3] .

س١٢ – ما هو أعظمُ شيءٍ أمرَ الله به ؟

التوحـــيد .

س١٣ – ما هو التوحيد ؟

هو إفرادُ اللهِ بالعِبادة ، (وإثباتُ اتِّصافه بما وصف بِهِ نفسَه ، ووصَفَهُ بِهِ رسولُهُ ، وتنزيهُهُ عن النقائص والحدوثِ ومشابهةِ المخلوقات)[3] .

---

(١) أي : لم أخلق الثقلين إلا مُهَيَّئِينَ لِعِبَادَتِي بما رَكَّبتُ فيهم من العقول والحواس والقوى ، فهم على حالة صالحة للعبادة مستعدَّة لها ، فذَكَّرهم بوجودي وتوحيدي وعبادتي ، فمن جرى على موجب استعداده وفطرته آمن بي وعبدني وَحْدِي ، ومن عاند استعداده وفطرته واتَّبع هواه ، سلك غير سبيل المؤمنين (صفوة البيان ، للشيخ حسنين مخلوف ص : ٦٦٩) .

(٢) قال ابن عباس : كل موضع في القرآن (اعبدوا الله) فمعناه : وَحِّدوا الله .

(٣) زيادة من نسخة المؤلف .

س١٤ – ما هو أعظمُ شيءٍ نهى الله عنه ؟

الشِّرك .

س١٥ – ما هو الشِّرك؟

دعوةُ غيرِ اللهِ مَعَهُ ، (وأن تجعل لله نِدّاً في العبادةِ وهو خلقك)[1] .

---

(١) زيادة من نسخة المؤلف . ويُؤَيِّدُهَا ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٤٢٠٧) عن عبد الله بن مسعود قال : سألت النبيَّ ﷺ : أي : الذنب أعظم عند الله ؟ قال : ((أن تجعل لله ندًا وهو خلقك)) .

والشرك نوعان : **شرك أكبر** ، وهو اتخاذ شريك مع الله تعالى في إلهيته أو عبادته ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ **إنَّ الشِّرك لظلم عظيم** ﴾ [لقمان : ١٣] .

وشرك أصغر : وهو الشرك العملي ، كالرياء في العبادات والسمعة ، وطلب الحمد ، وعدم الإخلاص فيها ؛ بأن يبتغي فيها عرض الدنيا ، ويسمى الشرك **الخفي** ، ويسمى النوع الأول : الشرك **الجلي** .

قال تعالى: ﴿ **فمن كان يرجو لقاء رَبِّه فليعمل عملاً صالحًا ولايشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ [الكهف : ١١٠] . فلا يقبل الله تعالى عملاً إلا إذا كان صالحًا، ولايكون العمل صالحًا إلا بمتابعة رسول الله ﷺ ، وإخلاص صاحب العمل لله ﷻ .

روى الإمام أحمد ٥ : ٢٤٨ عن محمود بن لبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) قالوا : وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : ((الرياء ، يقول الله تعالى للمرائين يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذي كنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً)) .

س١٦ – ما الدليل على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[1] [من سورةِ النساء ، الآية : ٣٦] ﴿ فلا تَجْعَلُوا للهِ أندادًا ﴾[2] [من سورة البقرة ، الآية : ٢٢] .

---

(١) قوله سبحانه ﴿ **واعبدوا الله** ﴾ يعني وَحِّدوه وأطيعوه ﴿ **ولا تشركوا به شيئًا** ﴾ وأخلصوا له في العبادة ، ولا تجعلوا له في الربوبية والإلهية شريكًا ؛ لأن من عبد مع الله غيره أو أراد بعمله غير الله فقد أشرك به ، ولايكون مخلصًا (الخازن ٤ : ٢٤٧) .

روى البخاري (٦٥٠٠) ومسلم (٣٠) عن معاذ بن جبل قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال : ((يامعاذ ! هل تدري ما حقُّ الله على عباده ؟ وما حق العباد على الله ؟)) ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : ((فإنَّ حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا)) .

(٢) قوله تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادًا** ﴾ أي : اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادًا ؛ لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وألا يُجعل لله نِدٌّ ولا شريك . والنِّدُّ : المِثْل ، ولا يقال إلا للمِثْلِ المُخَالِف المُنَاوِئ (النسفي ١ : ٣٢) .

الأصول الثلاثة

س١٧ – ما الأصول الثلاثة التي يجبُ على الإنسان معرفتُها ؟

معرفة العبد ربَّه ، ودينَه ، ونبيَّهُ محمداً ﷺ .

الأصل الأول : معرفةُ[1] الربِّ سبحانه وتعالى

س١٨ – مَنْ ربُّك ؟

ربِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّاني وربَّى جميعَ العالَمِين بنِعمتِهِ[2] ، وهو معبودي ، ليس لي معبودٌ سِواه[3] .

---

(١) المعرفة والعِرْفَان : إدراكُ الشَّيء بتفكُّر وتَدَبُّر لأَثره ، وهو أخصُّ من العلم . ويُضَادُّه : الإنكار . ويقال : فلان يعرف الله – ولايقال : يعلم الله – متعديًا إلى مفعول واحد ؛ لَمَّا كان معرفة البشر لله هي بتدبُّر آثاره دون إدراك ذاته . ويقال : الله يعلم كذا ، ولايقال : يعرف كذا ؛ لما كانت المعرفة تستعمل في القاصر المتوصَّل إليه بتفكر . "المفردات" ص :٥١٦ .

(٢) ونِعَمُهُ سُبْحَانَهُ لا تُحْصَى ، منها الظاهرةُ والباطنةُ ، والنَّفسيَّة والآفاقِيَّة ، والخاصَّة والعَامَّة ، والماضيةُ والآتية ، قَالَ تعالى: ﴿ **وإن تعُدُّوا نِعمةَ اللهِ لا تحصوها إنَّ الإنسانَ لظَلومٌ كفَّار** ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

(٣) كما أنه سبحانه المنفرد بالخلق والرَّزْق والتدبير ، فهو وحده المستحق بأن يعبد وحده دون سواه .

س١٩ – ما الدليلُ على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين ﴾(١) ، وكلُّ من سوى الله عَالَمٌ ، وأنا واحدٌ من ذلك العَالَم .

---

(١) العالَمين جمع عَالَم، على وزن فاعَل، وهو ما يُعلَمُ بِهِ اللهُ خالقُه، كما تقول : خاتَم، وطابَع، على وزن فاعَل، أي : ما يُختم بهِ الشيء، وَمَا يُطبع على الشيء، فالعَالَمُ هو ما يُعلَم بِهِ ربُّه الَّذِي خلقه .

وقوله تعالى : ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ فيه دليلٌ على كثرةِ العوالم وعظَمَتِها، فالعوالمُ كثيرةٌ لا يعلم عددها إلاَّ الله تعالى الَّذِي خلقها، منها : نفسية، ومنها : آفاقية، ومن ذلك : عالم السموات، وعالم الأرضين، وعالم الكواكب. ومنها غيبيَّة، فمن ذلك : عالم العرش، وعالم الكرسي، وعالم القلم، وعالم اللوح، وعالم الأرواح بأنواعها، ومنها : عالم الملائكة، وعالم الجن، وغير ذَلِكَ من العوالم الَّتِي لا يعلمها إلاَّ الله .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَبَارَكَ الله ربُّ العالمين ﴾ وجميعُ العوالم مفتقِرَةٌ إلى ربِّها، لأنها مَرْبُوبَةٌ مخلوقةٌ، والربُّ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عما سواه، فما أشدَّ فقرَ العَالَم إلى ربه، وَمَا أعظم غِناه سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ أنتم الفقراءُ إلى اللهِ واللهُ هو الغنيُّ الحميد إن يشأ يُذْهِبْكُمْ ويأتِ بخلقٍ جديد ﴾ [فاطر : ١٥] .

س٢٠ – بِمَ عَرَفْتَ ربَّكَ؟

عرفتُهُ بآياتِهِ ومخلوقاتِه(١) ، ومنها : اللَّيلُ والنَّهارُ ، والشَّمسُ والقمرُ ، والسَّمواتُ السَّبع والأَرْضُونَ السَّبْعُ ، ومَن فِيهِنَّ ، وما بينهما .

س٢١ – ما الدليل عَلَى ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمِن آياتِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ لا تَسْجُدوا للشَّمسِ ولا للقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون** ﴾(٢) [من سورة فصلت ، الآية : ٣٧].

---

(١) لأن هذه المخلوقات شاهدةٌ على قُدرةِ الله وحكمتِهِ وعلمِهِ المحيط بِكُلِّ شيء، قَالَ تعالى : ﴿ **ألا يَعْلَمُ من خلَقَ** ﴾ ؟ فَإِنَّ كُلَّ شيءٍ في الوجود قلَّ أو كثُر، صَغُرَ أم كَبُرَ، دليلٌ على وحدانيةِ خالقه، وكمالِ صِفاته، وسَعَةِ علمه وحكمته . قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أوَلَمْ ينظروا في مَلَكُوتِ السَّمَواتِ والأرضِ وَمَا خَلَق الله من شيء ..** ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

(٢) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **ومِن آياتِهِ** ﴾ أي : ومن دلائلِ قدرته وحكمته الدالَّةِ على وحدانيته ﴿ **الليلُ والنهارُ** ﴾ في تعاقُبِهما على حدٍّ معلومٍ، وتناوُبِهمَا على قدَرٍ مقسوم ﴿ **والشمسُ والقمرُ** ﴾ في اختصاصهما بسيرٍ مقدَّرٍ ونورٍ مُقَرَّر ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر** ﴾ لأنهما مخلوقان مسخَّران، فلا ينبغي السجود لهما، لأنَّ السجودَ هو نهايةُ التعظيم ﴿ **واسجدوا لله الَّذي خلقَهُنَّ** ﴾=

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إنَّ ربَّكُمُ ا للهُ الَّذِي خلَقَ السَّموات والأرضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ استَوَى على العرش يُغشِي الليلَ النَّهارَ يطلبُهُ حَثيثاً وَالشَّمْسَ والقمرَ والنُّجُومَ مسخَّراتٍ بِأَمْرِهِ ألاَ لَهُ الخَلقُ والأمْرُ تَبَارَكَ ا للهُ رَبُّ العَالَمِين ﴾[1] [من سورة الأعراف ، الآية : ٥٤].

=فالمُستحقُّ للسجود والتعظيم هو ا لله سُبْحَانَهُ خالقُ الليل والنهار ، والشمس والقمر ﴿ إن كنتم إيَّاهُ تعبدون ﴾ يعني : أَنَّ ناساً كانوا يسجدونَ للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم للكواكب ، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجودِ لهما السُّجودَ لله تعالى ، فنُهوا عن هذه الواسطة ، وأُمِرُوا أن يقْصِدوا بسجودهم وجهَ ا لله تعالى خالصاً إن كانوا إيَّاهُ يعبدون وكانوا موحِّدين غير مشركين ، فَإِنَّ مَن عَبَدَ مع ا لله غيره لا يكونُ عابداً لله (النسَفي ٤ : ٨٦-٨٧).

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ إنَّ رَبَّكُمُ ا للهُ ﴾ يعني : إنَّ خالقكم وسيِّدكم ومالِكَكُم ومُصْلِحَ أموركم ومُرَبِّيكم هو ا لله ﴿ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرض ﴾ أي : أبْدعَهُمَا وأَنْشأَ خلقَهُما على غيرِ مثالٍ سبق ﴿ في ستَّةِ أيام ﴾ في مقدار ستةِ أيامٍ من أيامِ الدنيا ، وا لله عَزَّ وجَلّ قادرٌ على أن يخلقَ جميعَ الخلقِ في لحظةٍ واحدةٍ كما قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وما أمرُنا إلاَّ واحدةٌ كلمحٍ بالبصر ﴾ [القمر : ٥٠] إلاَّ أنَّه سُبْحَانَهُ جعل لكل شيءٍ حدّاً محدوداً ، ووقتاً معلوماً ، فلا يدخل في الوجود إلاَّ في ذَلِكَ الوقت المعلوم . والمقصود من ذلك : تعليم عباده التَّثُّبت والتأنِّي في الأمور ، ولأن إنشاءَ شيءٍ بعدَ شيءٍ أدَلُّ على عالِمٍ مدبِّرٍ مريد ، يصرفه على اختياره ويُجْرِيه على مشيئتِهِ . =

س٢٢ – ما معنى الربِّ[(١)]؟

الرَّبُّ : هو السيِّدُ ، المالك ، الموجِـدُ مـن العـدم إلى الوجـود ،

= ﴿ ثُمَّ استوى على العرش ﴾ فهـو سُبْحَانَهُ مستوٍ علـى عرشـه استواءً يليـقُ بجلاله . قَالَ الإمام القرطبي ٧ : ٢١٩ : "ولم ينكر أحدٌ من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقةً ، وخصَّ العـرش بذلـك لأنـه أعظـم مخلوقاتـه ، وإنمـا جهلوا كيفيةَ الاستواء ، فإنه لا تعلم حقيقته . قال مالكٌ رحمـه ا لله : الاسـتواءُ معلومٌ -يعني في اللغة- والكيف مجهولٌ ، والسؤال عنه بدعـة . وكـذا قـالت أمُّ سَلَمَة رضي ا لله عنها" انتهى.

﴿ يغشي الليلَ النَّهَارَ ﴾ يأتي بِاللَّيْلِ علـى النهـار فيغطيـه ويَلْبَسُـه حَتَّـى يذهـب بنوره ﴿ يَطْلُبُه حَثِيثاً ﴾ يعني سريعاً حَتَّى يدركه ﴿ والشمسَ والقمرَ والنجـومَ مسخَّراتٍ بأمره ﴾ أي : مذَلَّلاتٍ لإرادةِ المدبِّر لهن ، وأفرد ا لله سُبْحَانَهُ الشـمس والقمر بالذِّكرِ ثُمَّ عطفَ عليهما ذِكرَ النجوم لبيانِ شرفِهما على سائرِ الكواكـب لِما فيهما من الضياءِ والنورِ ، وسيرهما في المنازل لتُعْرَف الأوقات .

﴿ ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأمر ﴾ فهو سُبْحَانَهُ الَّذِي خَلَقَ الأشياء ، وله أن يأمر فيهـم بمَا أراد ، وله أن يحكم فيهم بمَا شاء ﴿ تبارك ا لله ﴾ تمجَّدَ وتعظَّـمَ وتقـدَّسَ ، وكَثُرَ خَيْرُه وَدَام برُّه ، وأصل البركةِ : الثبوت ، ويقال : تبارك ا لله ، ولا يقال : مُتَبَارك ولا مُبَارَك ؛ لأنه لم يرد بِهِ التوقيف .

(١) في المطبوع : ما هـو الـرب ؟ ، وهـو سؤال غـير سـديد ، وأبدلتـه بمـا يوافـق الجواب بعده .

وهو المُسْتحقُّ للعبادة[1].

س٢٣ – ما الدليل على ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اعبُدوا ربَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

---

(١) اسم الرب يُطْلَق على معانٍ : فقد يُرادُ بِهِ **الخالق** ، وهذا هو الله تعالى وحده فلا يُرَاد بِهِ غيرُه .

وقد يُراد بِهِ **المالك** ، فإذا وُصِفَ بِهِ العبدُ وَجَبَ تقييده ، فتقول : ربُّ الدار ، أي : مالكها .

وقد يُراد بِهِ **السَّيِّد** ، قَالَ تَعَالَى إخباراً عن يوسف ﷺ : ﴿ **قال ارجع إلى ربِّكَ فاسألهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاتي قطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ [يوسف : ٥٠] أي : ارجع إلى سَيِّدك .

وقد يُراد بِهِ **المربِّي** ، فيقال : فلانٌ ربُّ العائلة ، ففي جميع ذَلِكَ إذا وصف بِهِ العبد يجب تقييده.

فَإطلاقُ اسم الرَّبِّ هَذَا خاص بالله تعالى ، فإنه سُبْحَانَهُ هو الربُّ المُطْلَق ، كما جاء في سنن أبي داود (١٥٠٨) من حديث زيد بن أرقم أَنَّ النبي ﷺ كَانَ يدعو في دُبُر كُلِّ صَلاة : "اللهمَّ ربَّنا وربَّ كُلِّ شيءٍ ، أنا شهيدٌ أنَّك الربُّ وحدك لا شريك لك ، اللهم ربَّنا وربَّ كُلِّ شيءٍ أنا شهيدٌ أَنَّ محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربَّنا وربَّ كُلَّ شيءٍ أنا شهيدٌ أَنَّ العبادَ كلهم إخوة.." فأطلق اسمَ الربِّ على الله تعالى وحده ، ومِن هنا تَعْلَم أَنَّ اسمَ الرَّبِّ بالإطلاق لا يُطْلَق إلاَّ على الله رَبِّ العالمين.

وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لكُمُ الأرضَ فِراشاً والسَّماءَ بِنَاءً وأنزَلَ من السَّماءِ مَاءً فأخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَّكُم فلا تَجْعَلُوا للهِ أنداداً وأنتُمْ تَعْلَمُون ﴾[1] [من سورة البقرة ، الآيتان : ٢١-٢٢].

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **اعبدوا ربَّكم** ﴾ قَالَ ابن عباسٍ : وحِّدوا ربَّكُم، وكلُّ ما ورد في القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد ﴿ **الذي خَلَقَكم** ﴾ أي : ابتدعَ خَلْقَكُم على غيرِ مثالٍ سبق ﴿ **والذين من قبلكم** ﴾ أي : وخلقَ الذين من قبلكم ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ أي : لكي تصيروا في سترٍ ووقايةٍ من عذاب الله ﴿ **الذي جَعَل لكُمُ الأرض فِراشا** ﴾ أي : خلق لكم الأرض بساطاً مُذَلَّلةً تَقْعُدونَ عليها وتنامون وتتقلّبون ﴿ **والسماء بناءً** ﴾ أي : سقفاً مرفوعا، فإذا تفكَّرَ الإنسان في العالم وجدَهُ كالبيتِ المعمور، فيه كُلُّ ما يحتاج إليه ؛ فالسماءُ مرفوعةٌ كالسقف، والأرضُ مفروشةٌ كالبساط، والنجومُ كالمصابيح، والإنسانُ كمالكِ البيت، وفيه ضروبُ النبات المهيَّأةِ لمنافعه، وأصناف الحيوانات المصروفةِ لمصالحه، فيجبُ على الإنسان المسخَّرِ له هذه الأشياء عبادة الله تعالى وتوحيده وشكره .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١ : ٦١ : " وهذه الآية ﴿ **ياأيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم ...** ﴾ دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لاشريك له ، وقد استدلَّ بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى ، =

فالخالق لهذه الأشياء هو المستحقُّ للعبادة .

س٢٤ – ما هِيَ العبادة ؟

العبادةُ هِيَ غايةُ الخضوع والتذَلُّل ، وغاية الحبِّ والتعلُّق لِمَن فُعِلَ لَهُ ذلك[1].

= وهي دالة على ذلك بطريق الأولى ، فإنَّ من تأمَّل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب وقد سُئل : ما الدَّليل على وجود الربِّ تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله ، إنَّ البَعْرَ ليدل على البعير ، وإنَّ أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماءٌ ذاتُ أبراج ، وأرض ذات فِجَاج ، وبِحَارٌ ذات أمواج ، ألا يدلُّ ذلك على اللطيف الخبير ؟ " انتهى .

وقوله تعالى : ﴿ **فلا تَجْعَلُوا لله أَنْدَاداً** ﴾ يعني أمثالاً تعبدونهم كعبادته ، والنِّدُّ : المِثْل ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ أنَّ هذه الأوثان الَّتي تعبدونها ، والآلهة الَّتي اتخذتموها لا تنفعكم ولا تضرُّكم ، بل هي عاجزةٌ عن الدفاع عن نفسها ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَا أَيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مثلٌ فَاستمِعوا له ، إنَّ الَّذين تَدْعُونَ من دون الله لن يَخلُقوا ذُباباً ولو اجْتَمَعوا له وإن يَّسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئاً لا يَسْتَنْقِذوهُ منه ، ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوب** ﴾ [سورة الحج : ٧٣] .

(١) فالعبادةُ في الشرعِ خضوعٌ وحُبٌّ ، قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "العبودية" ص : ٤٤ : "ومن خضعَ لإنسان مع بغضه له لا يكونُ عابداً له ، ولو أحبَّ شيئاً و لم يخضع له ، لم يكن عابدًا له ، كما قد يحِبُّ الرجلَ ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادةِ الله تعالى ، بل يجب أن يكون اللهُ=

(وبعبارةٍ أخرى : هِيَ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّهُ الله ويرضى من الأعمالِ الظاهرةِ والباطنة)[1].

س٢٥ – كم أنواع العبادة التي أمرَ الله بها ؟

كثيرةٌ منها[2] : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، والدعاء ،

=أحبَّ إلى العبد من كُلِّ شيء، وأن يكونَ الله أعظمَ عنده من كُلِّ شيء، بل لا يستحق المحبةَ والخضوع التَّامَّ إلاَّ الله، وكلُّ ما أُحِبَّ لغير الله فمحبَّتُهُ فاسدة، وَمَا عُظِّمَ بغير أمرِ الله فتعظيمه باطل" انتهى.

فالعبادةُ هي قيامُ العبد بِمَا أمره الله تعالى بِهِ من أعمالٍ وأقوال، يقوم بها العبد حُبّاً وتذلُّلاً وتقرُّباً إلى الله سُبْحَانَهُ، مستشعرًا عبوديَّتَهُ لربِّ العالمين.

(١) العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٣٨ ، ولم يرد هذا التعريف في "الأصول" .

(٢) ذَكَرَ المؤلف سبعةَ عشر نوعاً من أنواع العبادات، أما الثلاثة الأولى : الإسلام، والإيمان ، والإحسان، فَسَيُفْرِد الحديث عنها في مراتب الدِّين، وأما الأنواع الأخرى، فسيورد الأدلةَ عليها في هذا الفصل.

ومرجعُ هذه الأنواع يقوم على أسسٍ ثلاثة : ١- عبادةٌ قلبية، ٢- وعملية، ٣- وقَولية.

١ – فعِبادةُ القلبِ هي : اعتقاده الجازم، وشهوده بأنه لا إله إلاَّ الله ، ولا ربَّ سواه، وَأَنَّ محمداً عبده ورسوله، والتصديق الجازم بالأركان الإيمانية الستة.

٢ – وعبادةُ الأعمال هي : تأْدِيَةُ الأعمال الَّتِي أَمَرَ الله بها، والانتهاء عما نهى الله عنه.

والخـوف ، والرجـاء ، والتوكُّـل ، والرَّغْبـة ، والرَّهْبـة ، والخشوع ، والخشـية ، والإنابـة ، والاسـتعانة ، والاسـتعاذة ، والاستغاثة ، والذَّبح ، والنَّذر.. وكلُّها مخصوصةٌ با لله تعالى .

س٢٦ – ما الدليل على ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وأنَّ المسَاجِدَ للهِ فَلاَ تدعُـوا مَـعَ ا اللهِ أَحَـدًا ﴾(١)

[من سورةِ الجن ، الآية : ١٨] .

وقوله: ﴿وقَضَى ربُّكَ ألاَّ تعبدوا إِلاَّ إيَّاه﴾(٢)[من سورةِ الإسراء، الآية:٢٣].

---

٣ – وعبادةُ الأقوال هي : تَأدِيةُ مـا شـرعه ا الله مـن التـلاوات والأدعيـةِ والأذكـار ، وكَفُّ اللِّسَان عما نهى ا الله عنه ، ويلاحظ العبد في عباداته كلها أنه عبدٌ يؤدِّي حقَّ ا الله تعالى عليه ، ويُشهِدُ قلبَه عبوديَّتَهُ لربِّ العالمين وإلهِ الخَلْقِ أجمعين.

(١) قَالَ الإمام الطبري في تفسيره ٢٣ : ٦٦٥ : ﴿ وأنَّ المسَاجدَ لله فلا تَدْعوا ﴾ أَيُّها النَّاس ﴿ معَ ا اللهِ أَحَدا ﴾ ولا تشـركوا بِـهِ فيهـا شـيئاً ، ولكـن أفـرِدوا لـه التوحيد ، وأخلِصوا له العبادة ، عن قتادة : كانت اليهود والنصـارى إذا دخلـوا كنائسهم وبِيَعَهُم أشركوا با لله ، فأمر ا الله نبيَّهُ أن يوحِّد ا الله وحده.

(٢) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وقَضى ربُّكَ ﴾ أي : أَمَـرَ ربـك ﴿ ألا تعبُـدوا إلاَّ إيَّـاه ﴾ فيه وجوبُ عِبَادةِ ا الله والمنعُ من عبادةِ غـيره ؛ لأنَّ العبـادة تشـتمل علـى نهايـة التعظيم ، ونهايةُ التعظيم لا تليق إلاَّ بمن له الإنعـام والإفْضـال علـى عبـاده ، ولا مُنعِمَ إلاَّ ا الله ، فكان هو المستحِقَّ للعبادةِ لا غيره (تفسير الخازن ٣ : ١٦٠).

س٢٧ – ما حكمُ مَنْ صَرَفَ منها شيئاً لغيرِ ا لله ؟

مَن صرَفَ منها شيئاً لغيرِ ا للهِ تعالى : مشرِكٌ كافر .

س٢٨ – ما الدليلُ على ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **ومَن يَّدْعُ مَعَ ا للهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَـهُ بـهِ فَإنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ ربِّهِ إنَّـه لا يُفلِحُ الكـافرون** ﴾[1] [من سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧] .

---

(١) قَالَ الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٧٠ : "يقول تعالى متوعِّداً مَن أشركَ بـهِ غيره، وعبد معه سواه، ومُخبراً أَنَّ مَن أشركَ با لله لا برهانَ له ، أي : لا دليلَ على قوله، فقال تعالى : ﴿ **ومن يدْعُ مَـعَ ا لله إلهـاً آخـرَ لا برهـانَ لـه بـه** ﴾ وهذه جملةٌ معترضةٌ ، وجوابُ الشرط في قوله : ﴿ **فإنّما حسـابه عنـد ربـه** ﴾ أي : ا لله يحاسبه على ذلك، ثُمَّ أخبر ﴿ **إنّه لا يُفْلِحُ الكـافرون** ﴾ أي : لديـه يوم القيامة، لا فلاح لَهُمْ ولا نجاة" انتهى .

وهذا الوصف : ﴿ **لا برهانَ له به** ﴾ إنَّمَا هو قيدٌ لبيان الواقع، الَّذِي لا ينفكُّ عنه دعاء إلهٍ مَعَ ا لله، فلا يفهم منه أنه قد يكون مَعَ المشرك يوماً برهان له به.

ونقل القاسمي في "محاسن التأويل" ٧ : ١٠٦ عن الزمخشري : "وقولـه : ﴿ **لا برهان له به** ﴾ كقوله : ﴿ **ما لَمْ ينزِّل بِهِ سلطانا** ﴾ [آل عمران : ١٥١] ، وهـي صفةٌ لازمةٌ، جِيءَ بها للتوكيد، لا أن يكون في الآلِهَةِ ما يجـوز أن يقـوم عليـه برهان".

س٢٩ – ما الدليلُ على أنَّ الدُّعاءَ عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] [من

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وقال رَبُّكُم ادْعوني أسْتَجِبْ لكم ﴾ أي : اعبدوني دونَ غيري ﴿ أَسْتَجِبْ لكم ﴾ أُجبْ دُعَاءَكُم فأعفو عنكم وأرحمكم .
قَالَ الخازن في تفسيره ٤ : ٧٦ : "فإن قلتَ : كيف قال : ﴿ ادعُوني أَسْتَجِبْ لكم ﴾ وقد يدعو الإنسان كثيراً فلا يُستجاب له؟ قلتُ : الدعاء له شروط منها : الإخلاص في الدعاء، وأن لا يدعو وقلبُه لاهٍ مشغولٌ بغير الدعاء، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان، وأن لا يكون فيه قطيعةُ رَحِمٍ، فإذا كَانَ الدعاء بهذه الشروط كَانَ حقيقاً بالإجابة، فإمَّا أن يُعَجِّلَها له ، وإما أن يُؤَخِّرَها له" انتهى.
قَالَ الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذين يَستَكبِرونَ عن عِبَادَتي ﴾ في تفسيره ٢١ : ٤٠٨ : " يقول : إنَّ الذين يتعظَّمونَ عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهيَّة لي ﴿ سَيَدْخلونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴾ بمعنى صاغِرين ذليلين، وقد قيل : إنَّ معنى قوله : ﴿ إنَّ الَّذينَ يَستَكبِرونَ عن عبادتي ﴾ : إنَّ الذين يستكبِرون عن دُعائي" انتهى .
قَالَ الحافظ ابن رجب في "نور الاقتباس" ص ٦٦ عند شرح قوله ﷺ : "إذا سألتَ فاسألِ الله" : "أمر عَزَّ وجَلّ بالسؤال، ونهى عن سؤال غيره من الخلق، وقد أمر الله بسؤاله فقال : ﴿ وَاسْأَلُوا الله من فَضْلِه ﴾ [النساء : ٣٢] .=

سورةِ غافر ، الآية : ٦٠] .

= ثُمَّ قَالَ ص ٦٨-٧١ ما ملخصه : "واعلم أَنَّ سؤال ا لله تعالى دونَ خلقـه هـو المتعيِّن عقلاً وشرعاً ، وذلك من وجوهٍ متعددةٍ :

١- منها : أَنَّ السؤال فيه بذلُ ماءِ الوجه ، وذِلَّـةٌ للسـائل ، وذلـك لا يَصْلُـح إلاَّ لله وحده .

٢- ومنها : أَنَّ في سؤال ا لله عبوديةً عظيمة ، لأنها إظهارٌ للافتقـار إليـه ، واعـترافٌ بقدرته على قضاءِ الحوائج ، وفي سؤال المخلوق ظلمٌ ؛ لأنَّ المخلـوق عـاجزٌ عـن جلبِ النفع لنفسه ، ودفعِ الضر عنها ، فكيفَ يقدر على ذَلِكَ لغيره ؟

٣- ومنها : أَنَّ ا لله يُحِبُّ أن يُسألَ ، ويغضب علـى مـن لا يسـأله ، فإنـه يريـد مـن عباده أن يرغبوا إليه ، ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه ، ويحبُّ الملِحّين في الدعـاء ، والمخلوقُ غالِباً يكره أن يُسألَ ؛ لفقره وعجزه . قَالَ أبو العتاهية :

ا لله يَغْضَبُ إن تركتَ سُؤالَهُ وبُنَيُّ آدمَ حين يُسألُ يغضَبُ

٤- ومنها : أَنَّ ا لله تعالى يستدعي من عباده سؤاله ، وينـادي كُـلَّ ليلـةٍ : هـل مـن سائلٍ فأُعطِيَهُ؟ هل مـن داعٍ فأستجيب لـه؟ وقـد قَـالَ تعـالى : ﴿ **وإذا سـألكَ عبادي عني فإني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دَعـان** ﴾ [البقـرة : ١٨٦] . فَـأَيُّ وقتٍ دَعاه العبد وجدَهُ سميعاً قريباً مجيباً ، ليـس بينـه وبينـه حَجَّـابٌ ولا بـوَّابٌ ، وأما المخلوق فإنه يمتنـع بالحُجَّـابِ والأبـواب ، ويَعسُـرُ الوصـولُ إليـه في أغلـبِ الأوقات" انتهى .

س٢٩ – ما الدليلُ على أنَّ الدُّعاءَ عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾(١) [من

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **وقال رَبُّكُم ادْعوني أسْتَجِبْ لكم** ﴾ أي : اعبدوني دونَ غيري ﴿ **أَسْتَجِبْ لكم** ﴾ أُجِبْ دُعَاءَكُم فأعفو عنكم وأرحمكم .
قَالَ الخازن في تفسيره ٤ : ٧٦ : "فإن قلتَ : كيف قال : ﴿ **ادعُوني أَسْتَجِبْ لكم** ﴾ وقد يدعو الإنسان كثيراً فلا يُستجاب له؟ قلتُ : الدعاء له شروط منها : الإخلاص في الدعاء، وأن لا يدعو وقلبُه لاهٍ مشغولٌ بغير الدعاء، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان، وأن لا يكون فيه قطيعةُ رَحِمٍ، فإذا كَانَ الدعاء بهذه الشروط كَانَ حقيقاً بالإجابة، فإمَّا أن يُعَجِّلَها له، وإما أن يُؤَخِّرَها له" انتهى.
قَالَ الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذين يَستَكبِرونَ عن عِبَادَتي** ﴾ في تفسيره ٢١ : ٤٠٨ : " يقول : إنَّ الذين يتعظَّمونَ عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهيَّة لي ﴿ **سَيَدْخلونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين** ﴾ بمعنى صاغِرين ذليلين، وقد قيل : إنَّ معنى قوله : ﴿ **إنَّ الَّذينَ يَستَكبِرونَ عن عبادتي** ﴾ : إنَّ الذين يستكبِرون عن دُعائي" انتهى .
قَالَ الحافظ ابن رجب في "نور الاقتباس" ص ٦٦ عند شرح قوله ﷺ : "إذا سألتَ فاسألِ الله" : "أمر عَزَّ وجَلّ بالسؤال، ونهى عن سؤال غيره من الخلق، وقد أمر الله بسؤاله فقال : ﴿ **وَاسْأَلُوا الله من فَضْلِه** ﴾ [النساء : ٣٢] .=

سورة غافر ، الآية : ٦٠] .

= ثُمَّ قَالَ ص ٦٨-٧١ ما ملخصه : "واعلم أَنَّ سؤال الله تعالى دونَ خلقه هو المتعيِّن عقلاً وشرعاً ، وذلك من وجوهٍ متعددةٍ :

١- منها : أَنَّ السؤال فيه بذلُ ماءِ الوجه ، وذِلَّةٌ للسائل ، وذلك لا يَصْلُح إلاَّ لله وحده .

٢- ومنها : أَنَّ في سؤال الله عبوديةً عظيمة ، لأنها إظهارٌ للافتقار إليه ، واعترافٌ بقدرته على قضاءِ الحوائج ، وفي سؤال المخلوق ظلمٌ ؛ لأنَّ المخلوق عاجزٌ عن جلبِ النفع لنفسه ، ودفعِ الضر عنها ، فكيفَ يقدر على ذَلِكَ لغيره ؟

٣- ومنها : أَنَّ الله يُحِبُّ أن يُسألَ ، ويغضب على من لا يسأله ، فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه ، ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه ، ويحبُّ المِلحِّين في الدعاء ، والمخلوقُ غالِباً يكره أن يُسألَ ؛ لفقره وعجزه . قَالَ أبو العتاهية :

الله يَغْضَبُ إن تركتَ سُؤالَهُ ... وبُنَيُّ آدمَ حين يُسألُ يغضَبُ

٤- ومنها : أَنَّ الله تعالى يستدعي من عباده سؤاله ، وينادي كُلَّ ليلةٍ : هل من سائلٍ فأُعطِيَهُ؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ وقد قَالَ تعالى : ﴿ **وإذا سألكَ عبادي عني فإني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دَعان** ﴾ [البقرة : ١٨٦] . فَأَيُّ وقتٍ دَعاه العبد وجدَهُ سميعاً قريباً مجيباً ، ليس بينه وبينه حَجَّابٌ ولا بوَّابٌ ، وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحُجَّابِ والأبواب ، ويَعسُرُ الوصولُ إليه في أغلبِ الأوقات" انتهى .

وقوله عليه الصلاة والسلام : "الدعاءُ مُخُّ العبادة[1] " . وفي رواية : "الدعاءُ هو العبادة"[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك ﷺ ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه لانعرفه إلا من حديث ابن لَهِيعَة .
قال ابن الأثير في "النهاية" ٤ : ٣٠٥ : " مخُّ الشَّيء : خالصُهُ . وإنما كان مُخَّهَا لأمرين : **أحدهما** : أنه امتثال لأمر الله تعالى ، حيث قال : ﴿ **ادعُوني أَسْتَجِبْ لكم** ﴾ [غافر :٦٠] ، فهو محضُ العبادة وخالصها . **والثاني** : أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قَطَع أمله عمَّا سواه ، ودعاه لحاجته وحده ، وهذا هو أصل العبادة " انتهى .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٢٤٤) و (٣٣٦٩)، والنسائي (١١٤٦٤) في الكُبرى، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وابن حبان في صحيحه (٨٩٠)، والحاكم في المستدرك ١ : ٤٩١ ، وصححه النووي في "الأذكار" ص ٣٣٣ ، وقال ابن حجر في "الفتح" ١ :٤٩ : "إسناده جيد" . كلهم من حديثِ النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال : "الدعاء هو العبادة" ثُمَّ قرأ : ﴿ **وقال ربُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لكم إنَّ الذين يستكبِرون عن عبادَتي سَيَدْخلونَ جهنّم داخِرين** ﴾ [غافر : ٦٠] .

س٣٠ – ما الدليلُ على أَنَّ الخوفَ عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فلا تخافُوهُمْ وَخَـافُونِ إنْ كُنتُـم مُّؤمنـين ﴾[١]

[من سورةِ آلِ عمران ، الآية : ١٧٥] .

---

(١) **الخوف** : توقُّعُ مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونة ، أو معلومة ، كما أَنَّ الرجـاء والطمـع توقُّعُ محبوبٍ عن أمارةٍ مظنونة ، أو معلومة ، ويضادُّ الخـوفَ الأمـنُ ، ويسـتعمل ذَلِكَ في الأمور الدنيوية والأُخرَوية ، والخوفُ من الله لا يُرادُ بِهِ ما يخطـر علـى البال من الرُّعبِ ، كاسْتشعارِ الخوفِ من الأسد ، بل إِنَّمَا يُراد بِـهِ الكـفُّ عـن المعاصي وتحرِّي الطاعات ، ولذلك قيل : لا يعـدُّ خائفـاً مـن لم يكـن للذنـوبِ تاركـاً ، والخيفـةُ : الحالـة الَّتِي عليهـا الإنسـانُ مـن الخـوف ، قَـالَ تعـالى : ﴿ فأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَـةً موسـى ، قلنـا : لا تخـف ﴾ [طه : ٦٧] (مفـردات الراغب ، ص ٣٠٣).

وقد أمر الله سبحانه بالخوف منه في قوله تعالى : ﴿ فـلا تَخَـافُوهُم وخَـافُونِ إن كنتم مؤمنين ﴾ فجعل الخوف شرطًا في تحقيق الإيمان .

وقوله تعالى : ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ ﴾ يعني : فلا تخافوا أولياء الشيطان ، ولا تقعدوا عن قتـالهم ولا تجبُنـوا عنهـم ، ولا يعظُمَـنَّ عليكـم أَمرُهُـمْ ، ولا ترهبـوا جمعَهـم ، ﴿ وخَافُونِ ﴾ اتَّقوا أن تعصوني وتخالِفوا أمـري ﴿ إن كنتـم مؤمِنـين ﴾ ؛ لأن الإيمان يقتضي أن يُؤْثِرَ العبدُ خوفَ الله سُبْحَانَهُ على خوفِ غيره.

س٣١ – ما الدليل على أَنَّ الرَّجاءَ عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ ربِّهِ فلْيَعْمَلْ عَمَـلاً صالِحـا وَّلا يُشرِكْ بعِبادةِ ربِّهِ أحدا** ﴾ (١) [من سورةِ الكهف ، الآية : ١١٠] .

---

(١) **الرجاء** : ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مَسَرَّة (المفردات ، ص ٣٤٦) .

وقال ابن القيم في "المدارج" ٢ : ٣٥ : "الرجاء هو الثقة بجود الرَّبِّ تعـالى ، وهو النظر إلى سَعَةِ رحمةِ ا لله ، والفرقُ بينه وبين التَّمَنِّي : أنَّ التمني يكونُ مع الكسل ، ولا يسلك صاحبُه طريقَ الجِدِّ وَالاجتِهَاد ، والرجاءَ يكـون مع بـذل الجهد وحُسْنِ التَّوكل " انتهى .

وقال في "طريق الهجرتين" ص ٤٩٧ : " ورجاء الأنبياء والرسل فمـن دونهـم إنما هو طمعهم في رحمته ومغفرته . وانظر إلى قول إمام الحنفاء خليل الرحمن : ﴿ **والذي أطْمَعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الديـن** ﴾ [الشعراء : ٨٢] كيـف علـق رجاءه وطمعه بمغفرة ا لله له .

وقـال تعـالى عـن خاصَّـة خلقـه : ﴿ **ويرجـون رحمتـه ويخـافون عذابـه** ﴾ [الإسراء : ٥٧]" انتهى .

وقوله سبحانه : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ** ﴾ فمن كان يأملُ حُسْنَ لقاءِ ربِّهِ ، وأن يلقاه لقاءَ رضا وقَبول ، والمراد باللقاء : القدوم عليه ، وقيل : رؤيته كما هو حقيقـة اللفـظ ، ﴿ **فَلْيَعْمَـل عَمَـلاً صَالحاً** ﴾ موافِقـاً لشـرعِ ا لله ﴿ **ولا يُشْـرِك بعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ وهو الذي يراد به وجـه ا لله وحـده لا شـريك لـه ، وهـذان ركنا العمل المتقبَّل: أن يكون خالِصاً لله، وصواباً على سُنَّةِ رسول ا لله ﷺ .

س٣٢ – ما الدليل على أَنَّ التوكُّلَ عبادة؟

قَوْلُـهُ تَعَـالَى : ﴿ وَعَلَـى اللهِ فتوكَّلـوا إن كُنتُـم مُّؤمِنين ﴾(١) [من سورةِ المائدة ، الآية : ٢٣].

---

(١) **التّوكُّل على الله** : الاعتمادُ على الله ﷻ ، وتفويضُ جميع الأمور إليه .

قال ابن القيم في "طريق الهجرتين" ص ٣٦٠ : " والتوكـل مـن لـوازم الإيمـان ومقتضياتـه . قـال الله تعـالى : ﴿ **وعلـى الله فتوكلـوا إن كنتـم مؤمنــين** ﴾ فجعل التوكل شرطًا في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عنـد انتفـاء التوكـل . وفي الآية الأخرى ﴿ **وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم با لله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ [يونس : ٨٤] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل .

وقال تعـالى : ﴿ **وعلـى الله فليتوكـل المؤمنـون** ﴾ [التغابن : ١٣] فَذِكـر اسـم الإيمان هنا دون سائر أسمائهم دليل علـى استدعاء الإيمـان للتوكـل ، وإن قـوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمـان وضعفـه ، وكلمـا قـوي إيمـان العبـد كـان توكله أقوى ، وإذا ضَعُفَ الإيمان ضَعُفَ التوكل ، وإذا كان ضعيفًا فهـو دليـل على ضَعْفِ الإيمان ولابد " انتهى .

وأما تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا** ﴾ فقد قال أبو جعفر الطـبَري في تفسير هـذه الآيـة ١٠ : ١٨٤ : "وهـذا أيضـاً خـبرٌ مـن الله ﷻ عـن قـول الرَّجُلَيْـنِ اللَّذَيْـنِ يخافـان الله ، أنهمـا قـالا لقـومِ موسـى يشـجِّعانهم بذلــك ، ويرغِّبانهم في المضِيِّ لأمر الله بـالدخول علـى الجبَّـارين في مدينتهـم : توكَّلـوا أيُّها القوم على الله في دخولكم عليهم ، فيقولان لهم : ثِقُوا با لله، فإنَّه معكم=

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُه ﴾[1] [من سورة الطلاق ، الآية : ٣] .

س٣٣ – ما الدليل على أنَّ الرَّغْبَةَ والرَّهْبَةَ والخشُوعَ عبادات؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إنَّهُمْ كانوا يُسَارِعونَ في الخيْراتِ ويدْعُونَنَا رَغَبا وَّرَهَبا وَّكانوا لنا خاشعين ﴾[2] [من سورةِ الأنبياء ، الآية : ٩٠].

= إن أطعتُموه فيما أمَرَكُمْ من جهادِ عدوِّكم ، وعنيا بقولهما : ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ إن كنتم مصدِّقي نَبِيِّكم ﷺ فيما أنبأكم عن ربِّكم من النُّصْرَة والظَّفَرِ عليهم ، وفي غير ذلك من إخباره عن ربِّه ، ومؤمنين بأنَّ ربكم قادرٌ على الوفاءِ لكم بما وعدكم من تمكينكم في بلادِ عدوِّه وعدوِّكم" انتهى .

(١) قوله تعالى : ﴿ ومن يتوكَّل على الله ﴾ أي : يكِلُ أمره إلى الله ، ويعتمد عليه في أموره ﴿ فهوَ حَسْبُه ﴾ كافيه في الدَّارَين ، ومن كان الله كافيه فلا مَطْمَعَ لأَحَدٍ فيه .

(٢) **الرَّغْبة** : أصل الرَّغْبة السَّعة في الشيء ، والرغبة : السَّعة في الإرادة (المفردات ٣٥٨) .

وقال ابن القيم في "المدارج" ٢ : ٥٥ : " والفرق بين الرغبة والرجاء : أن الرجاء طمع ، والرغبة طلب ، فهي ثمرة الرجاء ، فإنه إذا رجا الشيء طلبه . والرغبة من الرجاء : كالهرب من الخوف ، فمن رجا شيئاً طلبه ورغب فيه ، ومن خاف شيئًا هرب منه " . =

= **والرهبة** : مخافة مع تحرُّز واضطِرَاب . قال تعالى : ﴿ **وإياي فارهبون** ﴾ [البقرة : ٤٠] "المفردات ص ٣٦٦" .

قال ابن القيم في "المدارج" ١ : ٥١٢ : "وأما الرَّهبة فهي الإمْعَانُ في الهرب من المكروه ، وهي ضدُّ "الرَّغبة" التي هي سَفَرُ القلب في طلب المرغوب فيه ، وبين الرَّهَبِ والهَرَب تناسبٌ في اللفظِ والمعنى" ا هـ.

والخشوع : الضَّرَاعَةُ ، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ، والضَّرَاعَة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب (المفردات ، ص ٢٨٣).

وقال ابن القيم في "المدارج" ١ : ٥٢٠ : والخشوع في أصل اللغة : الانخفاض ، والذُّلُّ ، والسكون ، قال تعالى : ﴿ **وَخَشَعتِ الأصواتُ للرَّحمن** ﴾ [طه : ١٠٨] أي : سكنت ، وذلَّت ، وخَضَعَت .

والخشوع قيام القلب بين يدي الربِّ بالخضوع والذُّلِّ ، والجمعيَّةُ عليه" انتهى .

وقوله تعالى : ﴿ **إنَّهم كانوا يُسَارِعُون في الخيرات** ﴾ يعني الأنبياء المذكورين في سورةِ الأنبياء ، وقيل : زكريّا وأهل بيته ، أي : أنهم استحقُّوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبوابَ الخير ، ومسارعتهم في تحصيلها ، والمسارعةُ في الخيرات من أكبر ما يُمدح به المرءُ ؛ لأنها تدل على حرصٍ عظيم في طاعةِ الله ﷻ ﴿ **ويدْعونَنَا رَغَباً وَرَهَباً** ﴾ أي : طمَعاً وخوفاً ، كقوله سبحانه : ﴿ **يحذَرُ الآخِرَةَ وَيَرجُو رَحمَةَ ربِّه** ﴾ .

﴿ **وكانوا لنا خاشِعين** ﴾ متواضِعين خائفين : فهم قد ضمُّوا إلى المسارعة في فعل الطاعات أمرين : أحدهما : الطَّمع والرَّغبة في رحمةِ الله وثوابه ، والرَّهْبة والخوف من عقابِه ، والأمر الثاني : الخشوع خوفاً من الوقوع في الإِثم .

س٣٤ – ما الدليل على أنَّ الخشيةَ عِبَادةٌ؟

قَوْلُـــهُ تَعَـــالَى : ﴿ فَـــلا تَخْشَـــوْهُمْ واخْشَـــوْني ﴾(١)

[من سورةِ البقرة ، الآية : ١٥٠] .

---

(١) **الخشية** : خوفٌ يَشوبُه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلـك عـن علـمٍ بما يُخشَى منه ، ولذلك خُصَّ العلماء بها في قوله تعالى : ﴿ **إنّما يخشَى اللهَ مـن عِبَـادِهِ العلماء** ﴾ [فاطر : ٢٨] (المفردات ، ص ٢٨٣).

وفي الحديث قوله ﷺ : "فوا لله لأَنا أعلمهم با لله وأشدّهم له خشية" رواه مسلم.

قال ابن القيم في "مدارج السالكين" في كلامه عن منزلـةِ الخـوف ١ : ٥١٢ : "والخشية أخصُّ من الخوف ، فإنَّ الخشيةَ للعلماء با لله ، فهـي خـوفٌ مقـرونٌ بمعرفةٍ ، فالخوف حركة ، والخشية انجماع وانقباضٌ وسكون ، فإنَّ الذي يـرى العدوَّ والسَّيل ونحو ذلك ، له حالتان : إحداهما : حركةٌ للهرب منـه ، وهـي حالةُ الخوف ، والثانية : سـكونه وقـراره في مكـانٍ لا يصـل إليـه فيـه ، وهـي الخشـية ... فصـاحبُ الخـوف : يلتجـئُ إلى الهـرب والإمسـاك ، وصـاحبُ الخشية : يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم ، ومَثَلُهما مَثَـلُ مـن لا علـم لـه بـالطب ، ومَثَلُ الطَّبيب الحاذق ، فالأولُ يلتجئ إلى الحِمْيَةِ والهَرب ، والطبيبُ يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء " انتهى.

قال تعالى : ﴿ **فلا تَخشوا النَّاسَ وَاخْشَونِ** ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وقـال سـبحانه : ﴿ **فا للهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوهُ إن كنتم مؤمنين** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

س٣٥ – ما الدليل على أَنَّ الإنابةَ عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَأَنيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وأَسْلِموا لَه** ﴾(١) [الزّمر:٥٤] .

---

(١) **الإنابة** : الرجوع إلى ا لله تعالى بالتوبةِ وإخلاصِ العمل، يقال : فلانٌ ينتابُ فلاناً : أي : يَقْصِده مرةً بعدَ أخرى (المفردات ، ص ٨٢٧) .

وَقَالَ الطبريُّ في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إنَّ إبراهيم لَحَليمٌ أوّاهٌ منيب** ﴾ ١٥ : ٤٠٦ : (منيب) : أي : متذَلِّلٌ لربه، خاشعٌ له، منقادٌ لأمره، رَجَّاعٌ إلى طاعته.

قَالَ ابن القيم في "المدارج" في منزلة "الإنابة" ١ : ٤٣٤ : "وإنابةُ أوليائه هي إنابةٌ لإلهيته، إنابةُ عبوديةٍ ومحبةٍ، وهي تتضمن أربعةَ أمور : محبَّته، والخُضوعَ له، والإقبالَ عليه، والإعراضَ عمَّا سواه، فلا يستحقُّ اسم "المنيب" إلاَّ مَن اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السَّلَفِ لهذه اللفظة يدور على ذلك. وفي هذه اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم، و "المنيب" إلى ا لله : المُسْرِع في مَرْضَاتِهِ، الراجعُ إليه في كُلِّ وقتٍ، المتقدِّمُ إلى محابِّه "انتهى.

وقال ابن القيم في "طريق الهجرتين ص : ٢٨٦" : " والإنابة الرجوعُ إلى ا لله، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه ، وهي تتضمن المحبة والخشية ، فإن المنيب محب لمن أناب إليه ، خاضع له ، خاشع ذليل " ، ثم قال : " فأعلى أنواع الإنابات : إنابة الروح بجملتها إليه لشدة المحبة الخالصة المغنية لهم عما سوى محبوبهم ومعبودهم ، وحين أنابت إليه أرواحهم لم يتخلَّف منهم شيء عن الإنابة ، فإن الأعضاء كلها رَعِيَّتها ومَلِكَهَا تَبَع للرُّوح ، فلما أنابت الروح بذاتها إليه إنابة محب صادق المحبة ، أنابت جميع القوى والجوارح " وانظر تتمة كلامه النفيس ص : ٢٨٨ – ٢٨٩ .

وقوله تعالى : ﴿ **وأنيبوا إلى ربِّكم** ﴾ أي : ارجعوا إليه بالتوبةِ والطاعةِ ﴿ **وأَسْلِموا له** ﴾ أي : أخلِصوا له التوحيد.

س٣٦ – ما الدليل على أنَّ الاستعانة عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[1] [الفاتحة : ٥] .

---

(١) **الاستعانة :** طَلَبُ العَون ، والعَونُ : المعاونةُ والمُظَاهَرَة ، يُقال : فلانٌ عَوْني أي : معيني ، وقد أعَنْتُهُ ، قال تعالى : ﴿ **فَأَعِينُوني بقوَّة** ﴾ [الكهف : ٩٥] (مفردات الراغب ص ٥٩٨).

وتكون الاستعانة بالتوجُّه إلى الله تعالى بالدعاء ، كما تكون بالتوجه إليه تعالى بفعل الطاعات ؛ لقوله تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نعبد** ﴾ أي : لا نعبد إلا إيَّاك ؛ لأنك ربنا وربُّ كُلِّ شيء ، والكلُّ عبادُك ، وحقٌّ على العبدِ أن يعبدَ ربَّه سُبْحَانَهُ .

﴿ **وإيَّاك نستعين** ﴾ أي : لا نستعين إلا بكَ ، فإنه لا مُعين غيرك ؛ إذِ الكُلُّ مُفْتَقِرٌ إليك : ﴿ **يا أيُّها الناسُ أنتم الفقراءُ إلى اللهِ والله هو الغنيُّ الحَميد** ﴾ [فاطر : ١٥] .

فالعبادُ كلُّهم فقراء إلى الله سُبْحَانَهُ في وجودِ ذاتهم ، وبقائهم ، وحياتهم ، وجميع أمورهم ، والله هو الغنيُّ على الإطلاق ، فها نحنُ نسألكَ ياربَّنا أن تُعينَنَا على جميعِ أُمورِنا الدينية ، وما ينفعنا من أمورنا الدنيوية.

فالعبد محتاجٌ إلى الله سُبْحَانَهُ في فعل المأمورات ، وتركِ المحظورات ، وفي الصبر على المَقْدُورَات ، وفي مصالح دينه ودنياه .

وهذا الموقف هو موقف اعترافِ العبدِ وإقراره بعجزه ، وأنه لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ الكبير ، وأنه لا مُعينَ على الحقيقةِ إلا الله تعالى ، فهو سُبْحَانَهُ وحده المعين الذي لا يحتاجُ إلى مُعِين ، وَكُلُّ ما سِواه سُبْحَانَهُ فهو العاجز المستَعين به ، فمن أعانه الله فهو المُعَان ، ومن خَذَلَهُ فهو المخذول . =

وفي الحديث : "إذا استعَنتَ فاستعِنْ با لله"[1].

س٣٧ – ما الدليل على أَنَّ الاستعاذة عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ أعوذُ برَبِّ الفَلَق** ﴾[2] [الفلق : ١] .

= فيجب على العباد أن يرجعوا في أمورهم كُلِّهَا إلى ا لله تعالى ، فيسألوه حاجاتِهم كُلِّهَا ؛ لأَنَّهُ لا يَمْلِك قضاءَ الحاجاتِ إلا ا لله تعالى ، والعباد كلهم عاجِزون محتاجون إلى عونه سُبْحَانَهُ.

(١) رواه أحمد ١ : ٢٩٣ ، والترمذي (٢٥١٦) من حديثِ ابن عباسٍ ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٢) **الاستعاذة :** الاستجارة والالتجاء ، ومعنى قول القائل : (أعوذ با لله) أي : أستجير با لله وألتجئ إليه وأستنصر به ، دون غيره من سائر خلقه .

والدعاء أعم من الاستعاذة ، فهو لجلب الخير أو دفع الشر ، والاستعاذة دعاء لدفع الشر .

وكانوا في الجاهلية يعوذون بعُظَماءِ الجنِّ من أذى مَنْ دونهم فيقول من نَزَلَ وادِياً : أعوذُ بعظيم هذا الوادي ، قال تعالى : ﴿ **وأَنَّهُ كَان رجالٌ من الإنْس يعوذونَ برِجالٍ من الجن فزادوهم رَهَقًا** ﴾ [الجن : ٦] ، أي : زادوهم طغياناً وغَيّاً يرهقهم ويغشاهم بهذه الاستعاذة .

وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ أعوذُ برَبِّ الفلق** ﴾ أي : قل : يا أَيُّها الرسول ، والأمر لَنَبيِّنا أمرٌ لنا ﴿ **أَعُوذُ** ﴾ أستجيرُ وألتجئ . و ﴿ **الفَلَقُ** ﴾ أي : الفجر المفلوق ، من الفَلْق. قال تعالى : ﴿ **فالِقُ الإصْباح** ﴾ [الأنعام : ٩٦] ، وقال سُبْحَانَهُ : ﴿ **فالقُ الحَبِّ والنَّوَى** ﴾ [الأنعام : ٩٥] . =

= قال العلامة ابن عاشور في تفسيره ١٥ : ٦٢٦ "وحقيقةُ الفلْقِ : الانشقاق عن باطنِ الشيء ، واستُعير لظهورِ الصُّبحِ بعد ظُلْمَةِ الليل ، وهذا مثل استعارة الإخراج لظهور النُّور بعد الظَّلام في قوله تعالى : ﴿ **وأغطشَ ليلَها وأخرج ضُحاها** ﴾، واستعارة السَّلْخِ له في قوله تعالى : ﴿ **وآيةٌ لهم الليلُ نسْلَخُ منه النهار** ﴾ .

وربُّ الفلق : هو الله ؛ لأنّهُ الذي خلَقَ أسبابَ ظهورِ الصبح ، وتَخْصيصُ وصفِ اللهِ بأنّه ربُّ الفلق دون وصفٍ آخر ؛ لأنَّ شرّاً كثيراً يحدثُ في الليل من لصوصٍ وسِباعٍ ، وذواتِ سموم ، وتعذُّر السَّير ، وعُسْر النَّجْدَة ، وبُعد الاستغاثة ، واشتداد آلام المرضى" انتهى.

قال ابن القيم في "تفسير المعوذتين" ص ٤١ : "فإنَّ الفَلَقَ هو الصُّبح الذي هو مبدأ ظهور النُّور ، وهو الذي يطردُ جيشَ الظلام ، وعسكر المفسدين في الليل ، فيأوي كُلُّ خبيثٍ ، وَكُلُّ مفسدٍ ، وَكُلُّ لِصٍّ ، وَكُلُّ قاطعِ طريقٍ إلى سِرْبٍ أو كِنٍّ أو غارٍ ، وتأوي الهوامُّ إلى جحورها ، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ، فأَمَرَ الله عباده أن يستعيذوا بربِّ النورِ الذي يقهر الظلمةَ ويزيلها ، ويقهر عسكرَها وجيشها.

ولهذا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أنه يخرج عباده من الظلمات إلى النور ، ويَدَعُ الكفارَ في ظلمات كفرهم.. فالإيمان كلُّهُ نورٌ ، ومآلُه إلى نور ، ومستقرُّه في القلبِ المضيء المستنير ، والكفر والشرك كله ظلمةٌ ، ومآله إلى الظلمات ، ومستقرُّه في القلوب المظلمة" انتهى. فلا ينفي ظلماتِ الشرّ والضلال والباطل إلا أنوارُ الخير والهدى والحق من خالقها ، وفالق أنوارِها.

وقوله تعالى : ﴿قُلْ أعوذُ برَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاس﴾(1)[الناس:١-٢].

---

(١) قوله سبحانه : ﴿ قل أعوذ بـرب النـاس ﴾ أي : مربِّيهـم ومعطيهـم في كُـلِّ مَرتبةٍ من مَراتب الوجود ما يحتاجون إليه لحفظِها ، وهاديهم لاستعمال ما مَـنَّ به عليهم فيما ينفعهم ﴿ ربُّنا الذي أعطَى كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى ﴾ [طه:٥٠] .
قـال العلامـة ابــن بــاديس في تفسـيره ، ص ٦٤٦ : "والــرَّبُّ : رَبُّ النَّــاس وغيرهم ، بل ربُّ العالمين ، وإنَّما خصَّ النَّاسَ بالذِّكْرِ :
١ - لأنهـم هـم هـدفُ الشـيطان ومرمـى وسوسـته ؛ ولأنَّهـم المـأمورون بالاستعاذة منه ؛ ولأنَّ عالم التكليف أشـرف ، فـإليهم يوجَّـهُ الخطـاب ، وإليهم يساق التحذير .
٢ - ونكتةٌ أخرى في تخصيص الناسِ بالذِّكرِ دون بقيةِ أفرادِ المربوبـين ، وهـي أنهم هم الذين ينطبق عليهم ناموسُ الهِدايةِ والضلال ، وقد ضلُّوا بـالفعل في ربوبيته وفي أُلوهيَّته : ضَلُّوا في الرُّبوبية باتِّخاذ المُشَرِّعين ، ليُشَرِّعوا لهم من الدين ما لم يأذَنْ به الله ، ويصدُّونهم بذلك عما شَرَع الله . وضَلُّـوا في الأُلوهِيَّةِ بعبادةِ غير الله بما لا يعبد به أحدٌ غيره كالدعاء .
واختـير لفـظ النـاس مـن بـين الألفـاظ المشـاركة لـه في الدلالـة كالبَشَـرِ والبَرِيَّة ؛ لأنَّهُ ينوسُ ويضْطَرِبُ وينساقُ ، وهي صِفاتٌ يلزمهـا التوجيـه ، ولا غِنَى لصَاحبها عـن توفيـقِ الله للوجهـةِ الصالحـة ، والتسـديد فيهـا ، مادام لا يملك لنفسه ذلك ، وما دام مُحاسَباً عليه ، وما دامـت هنـاك قـوَّةٌ مُسلَّطةٌ تَنزِعُ به إلى الشر ، ففي تخصيص النَّاسِ بالذِّكـرِ تنبيـةٌ إلى أنهـم=

س٣٨ – ما الدليل على أنَّ الاستغاثة عبادة؟

قَوْلُـهُ تَعَـالَى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُـمْ فاسْتَجابَ لَكُـمْ أَنِّـي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلملائكةِ مُردِفين ﴾[1] [الأنفال : ٩] .

= أحوجُ المربوبين إلى تأييد الله ، وأحقُّهم بطلب ذلك منه ، وقد أرشدهم إلى ذلك وله الحمد .

ولو تفقَّهَ الناسُ في معنى اسمهم واشتقاقه ، لعَلِموا بفطرتهم أنهم مخلوقاتٌ ضعيفة ، لا تملك لنفسِها نفعاً ولا ضَرّاً ، ولأَيْقَنوا أنَّه لابدَّ لهم من ربٍّ يربِّيهم ويحميهم ، ومالكٍ يدبِّر أمورَهم ، وإلهٍ يعبدونه" انتهى.

(١) **الاستغاثة** : طلبُ الغَوْثِ أو الغَيثِ ، والغَوْثُ يقالُ في النُّصْرَةِ ، والغَيْثُ يُقالُ في المطر ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فاستَغاثَهُ الَّذي من شيعتِهِ على الَّذي من عدُوِّه** ﴾ [القصص : ١٥] ، (مفردات الراغب ، ص ٦١٧).

وقوله تعالى : ﴿ **إذْ تستَغيثونَ ربَّكم** ﴾ أي : واذكُر يا رسول الله إذ تَستَجيرون بربِّكُمْ من عدوِّكُمْ ، وتطلبون منه الغَوْثَ والنصر.

روى مسلمٌ (١٧٦٣) عن ابن عباسٍ قال : حدَّثَني عمر بن الخطاب قال : لَمَّا كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهُمْ ألفٌ ، وأصحابه ثلاثمائة وبضعةَ عشر رجلاً ، فاستقبلَ نبيُّ الله ﷺ القِبلةَ ، ثُمَّ مَدَّ يده فجَعَلَ يهتفُ بربِّهِ يقول : اللهم أنْجزْ لي ما وَعَدْتَني ، اللهم آتِني ما وعدْتَني ، اللهم إن تُهْلَك هذه العِصابةَ من أهلِ الإسلام لا تُعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه مادّاً يديه حتى سقط رداؤه عن مَنْكِبَيه ، فأتاهُ أبو بكرٍ فأخذ رداءهُ ، فألقاه على مَنْكِبَيه ، ثُمَّ التزمه من ورائه ، وقال : يا نَبِيَّ الله كَفاكَ مناشدتك ربك ، فإنه سيُنْجزُ لك ما وعدك ، فأنزل الله : ﴿ **إذ تستَغِيثُونَ رَبَّكُمْ** ﴾ انتهى . =

س٣٩ – ما الدليلُ على أَنَّ الذَّبحَ عبادة؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إنَّ صلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتي للهِ رَبِّ العالمين لا شَريكَ لَهُ وَبذَلِكَ أُمِرْتُ وأنا أوَّلُ المسلمين ﴾(١) [من سورةِ الأنعام ، الآيتان : ١٦٢-١٦٣] .

= وقوله سبحانه : ﴿ فاستجابَ لكم ﴾ فأجابَ دعاءكم ﴿ أنّي مُمِدُّكُمْ ﴾ أي : مرسلٌ إليكم مَدَداً ﴿ بألفٍ من المَلائكَةِ مُرْدِفِين ﴾ يعني : يردفُ بعضهم بعضاً بمعنى يتبع بعضهم بعضاً .

فالمؤمن يستغيث با لله ﷻ فيما لايقدر عليه إلا ا لله سبحانه وتعالى ، مثل : النصر على العدو ، وإنزال المطر ، وكشف الضر ، وشفاء المرض ، وطلب الرزق ، ونحو ذلك مما لايقدر عليه إلا ا لله تبارك وتعالى ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وإن يَمْسَسْكَ ا للهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلا هُو ﴾ [الأنعام : ١٧] .

والمؤمن يستغيث باسم ا لله أو بصفة من صفاته ، روى الترمذي (٣٥٢٤) عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال : ((يا حَيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث)) ورواه الحاكم في "المستدرك" ١: ٥٠٩ من حديث ابن مسعود .

(١) **الذّبْح** : أصل الذَّبحِ شقُّ حلْقِ الحيوانات ، والذِّبحُ : المذبوحُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفَدَيْناهُ بذِبْحٍ عَظيم ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إنَّ صلاَتي ﴾ أي : قُل يا رسول ا لله لهؤلاءِ العادِلين بربِّهم الأوثان والأَصْنَام ، الَّذِين يسألونك أن تتَّبعَ أهواءَهم على الباطل من عبادةِ الآلهةِ والأوثان ﴿ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ﴾ أي : وذَبحي ، والنُّسُكُ العبادة ، والنَّاسِك : العابد ، واختَصَّ بأعمال الحج ، والنَّسيكة : الذبيحة ، وجمعُها نُسُك ، =

ومن السُّنَّةِ قوله عليه الصلاة والسلام : "لَعَنَ ا للهُ مَن ذبحَ لغيرِ ا للهِ" (١).

= قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَفِدْيَةٌ من صِيامٍ أو صَدَقَةٍ أو نُسُك ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .
﴿ ومحْياي ﴾ أي : وحياتي ﴿ ومماتِي ﴾ ووفاتي ﴿ للهِ ربِّ العالمين ﴾ يعني : أَنَّ ذَلِكَ كله خالصاً دون ما أشركتم به ، أيها المشركون من الأوثان ﴿ لا شريكَ له ﴾ في شيءٍ من ذَلِكَ من خلقه ، ولا لشيءٍ منهم فيه نصيبٌ ؛ لأَنَّهُ لا ينبغي أن يكون ذَلِكَ إلا له خالصاً ﴿ وَبذَلِك أُمِرْتُ ﴾ وبذلك أَمَرَنِي ربي ﴿ وأناْ أوَّلُ المسلمين ﴾ وأناْ أولُ من أقَرَّ وأذعَنَ وخَضَعَ من هذه الأمة لربِّه (تفسير الطبري ١٢ : ٢٨٣).
قال ابن عطية في تفسيره ٣ : ١٩٢ : " وفي إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة مايلزم المؤمنين التأسِّي به ، حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قَصْدَ وَجهِ ا للهِ ﷻ " انتهى.
وقد جمع ا لله بين هاتين العبادتين اللتين هما من أفضل العبادات ، وأفضل القُرُبَات لله تعالى في هذه الآية ، كما جمع بينهما في قوله سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر ﴾ [الكوثر : ٢] ، أي : فاعبد ربَّك الذي أعزَّك وشرَّفك على كافة الخلق ، ورفع منزلتك ، وأعطاك العطاء الجزيل ، والخير الكثير مراغمًا لقومك الذين يعبدون غير ا لله ﴿ وَانْحَر ﴾ لوجهه وباسمه إذا نحرت مُتقَرِّبًا إلى ربك ، مخالفًا لعبدة الأوثان في النَّحْرِ لغير ا للهِ سبحانه . (النسفي ٤ : ٤١٦) .
(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) في كتابِ الأضاحي،من حديثِ عليٍّ بن أبي طالبرضي الله عنه.
قال الإمام النووي في"شرح صحيح مسلم" ١٣: ١٤١: "وأمَّا الذَّبح لغير ا لله ، فالمراد به : أن يذبح باسم غير ا لله تعالى، كمن ذَبَحَ للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى صلى ا لله عليهما ، أو للكعبة ونحو ذلك ، فكلُّ هذا حرامٌ ، =

س٤٠ – ما الدليلُ على أنَّ النَّذْرَ عبادة؟

قَوْلُـهُ تَعـالَى : ﴿ يُوفُـونَ بـالنَّذْرِ ويَخَـافُونَ يَوْمـاً كـانَ شـــرُّهُ مُسْتَطِيرا ﴾(١) [من سورةِ الإنسان ، الآية : ٧].

= ولا تَحِلُّ هذه الذبيحة سواءٌ كان الذابحُ مسلِماً أو نصْرانِيّاً أو يهودِياً . نصَّ عليه الشافعيُّ واتفقَ عليه أصحابنا ، فإن قَصَدَ مع ذَلِكَ تعظيمَ المذبوح لـه غير ا الله تعالى ، والعبادَة له ، كان ذَلِكَ كُفراً ، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذَلِكَ صار بالذَّبحِ مرتَدّاً" انتهى.

وقال النووي أيضًا في "روضة الطالبين" ٣ : ٢٠٥-٢٠٦ : " اعلم أنَّ الذَّبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود له ، وكُلٌّ واحد منهما نوع من أنواع التعظيم والعبادة المخصوصة با لله تعالى ؛ الذي هو المستحق للعبادة ، فمن ذبح لغيره من حيوان ، أو جماد – كالصنم – على وجه التعظيم والعبادة ، لم تحل ذبيحته ، وكان فعله كفرًا ، كمن سجد لغيره سجدة عبادة " وانظر تتمة كلامه ، ففيه تفصيل ليس هنا موضع ذكره .

(١) **النَّذْر** : أن توجبَ على نفسكَ ما ليس بواجبٍ لحدوثِ أمرٍ ، يقال : نذرتُ لله أمراً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إنِّي نـذَرْتُ لـلرحمن صَوماً** ﴾ [مريم : ٢٦] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا أَنفقْتُمْ من نفقَةٍ أو نذَرْتُم مِن نـذْرٍ فإنَّ ا لله يعلمه** ﴾ [البقرة : ٢٧٠] "المفردات" ، ص ٧٩٧.

وقال ابن الأثير في "النهاية" ٥ : ٣٩ : "النذر : إذا أوجبتَ على نفسك شيئاً تَبَرُّعاً من عبادةٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك".

وقوله تعالى في وصف أعمال الأبرار في الدنيا بعد أن وَصَفَ ثوابهم في الآخرة : ﴿ **يُوفونَ بالنَّذْر** ﴾ أي : أنهم كانوا في الدنيا يوفونَ بالنَّذْر ،=

=والنَّذر : الإيجاب ، والمعنى : يُوفونَ بما فَرَضَ ا لله عليهم ، فيدخل فيه جميع الطَّاعاتِ من الإيمان والصَّلاةِ والزكاةِ والصَّوم والحج وغير ذَلِكَ من الواجبات .

وقيل : النَّذرُ في عرفِ الشرعِ واللغة : أن يُوجبَ الرَّجل على نفسه شيئاً ليس بواجبٍ عليه ، وذلك بأن يقول : للهِ عليَّ كذا وكذا من صدَقَةٍ أو صَلاةٍ أو صِيامٍ أو حجٍّ أو عمرةٍ ، يعلِّقُ ذَلِكَ بأمرٍ يَلْتَمِسُهُ من ا لله ، وذلك بأن يقول : إن شَفَى ا لله مريضي أو قَدِمَ غائِبي كان لله عليَّ كذا.

وفي الآية دليلٌ على وجوبِ الوفاءِ بالنذرِ ، وهذا مبالغةٌ في وصفهم بأداءِ الواجبات ؛ لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان لِما أوجبه ا لله عليه أوفى" انتهى ."تفسير الخازن" ٤ : ٣٣٩.

وقد ذَمَّ رسول ا لله ﷺ الذين ينذرون ولايوفون ، فقد روى البخاري (٦٦٩٥) في كتاب الأيمان والنذور من حديث عِمْرَانَ بن حُصَين ﷺ أن رسول ا لله ﷺ قال : ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم - قال عِمْرَان بن حُصَين ﷺ : لاأدري ذكر ثنتين أو ثلاثًا بعد قرنه - ثم يجيء قوم يَنْذِرُون وَلايُوفُون ، ويَخُونُون ولايُؤْتَمَنُون ، ويَشْهَدُون ولايُسْتَشْهَدون ، ويظهر فيهم السِّمَن)) . قال الحافظ في "الفتح" ١١ : ٥٨٠ : " قال ابن بطال : سوَّى بين من يخون أمانته ، ومن لايفي بنذره ، والخيانة مذمومة ، فيكون ترك الوفاء مذمومًا " .

وأما قوله ﷺ : "إنَّ النذر لا يأتي بخير ، وإنما يُسْتَخْرَج من البخيل" رواه البخاري (٦٦٠٨) في كتاب النذر ، ومسلم (١٦٣٩) في كتاب النذر ، =

= فقد قال ابن الأثير في "النهاية" ٥ : ٣٩ : "وقد تكرر في أحاديثه النهـي عنـه ، وهو تأكيدٌ لأمره ، وتحذيرٌ عن التهاونِ به بعد إيجابه ، ولو كـان معنـاه الزَّجـر عنه حتى لا يُفْعَل ، لكان في ذَلِكَ إبطالُ حكمه ، وإسقاطُ لزومِ الوفاءِ به ؛ إذ كان بالنهي يصير معصية ، فلا يلزم . وإنما وَجْـهُ الحديـث أنـه قـد أعلمهـم أنَّ ذَلِكَ أمرٌ لا يجرُّ لهم في العاجل نفعاً ، ولا يصرف عنهم ضَرّاً ، ولا يَـرُدُّ قضـاءً فقال : لا تَنْذروا على أنكم قد تُدرِكون بـالنَّذْرِ شيئاً لم يقـدِّره الله لكـم ، أو تصرفون به عنكم ما جرى به القضـاءُ عليكـم ، فـإذا نـذرتم و لم تعتقـدوا هـذا فاخرجوا عنه بالوفاء ، فَإنَّ الَّذِي نذرتُموه لازمٌ لكم" انتهى.

ولو نَذَرَ في معصيـةٍ لا يجـب الوفـاء بـه ، روى البخـاري (٦٦٩٦) في كتـاب الأيْمان والنذور في صحيحه عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : "مَن نَذَرَ أن يُطيعَ الله فليَفِ بنَذْرِهِ ، ومن نَـذَرَ أن يعصـي الله فلا يفِ به" ، وفي روايةٍ : "فليطِعْهُ ولا يعصيه".

وعنهـا رضـي الله عنهـا أنَّ رسـول الله ﷺ قـال : "لا نـذرَ في معصيـةِ الله ، وكفَّارتـه كفَّـارةُ يمـين" أخرجـه أبـو داود (٣٢٩٠) ، والـترمذي (١٥٢٥) ، والنسائي (٣٨٣٤) .

الأصل الثاني

معرفة دين الإسلام بالأدِلة

س٤١ – ما الأصلُ الثاني؟

معرفةُ دين الإسلام بالأدِلَّة .

س٤٢ – ما هو دينُ الإسلام؟

هو الاستِسْلامُ للهِ بالتوحيد ، والانقيـادُ لَـهُ بالطَّاعَـةِ ، والـبراءةُ والخلوصُ من الشِّرك وأهله .

س٤٣ – كم مراتبُ دينِ الإسلام؟

مراتِبُهُ ثلاثة : **الإسلامُ** ، **والإيمانُ** ، **والإحسـانُ** . وكـلٌّ مرتبـةٍ لها أركان .

۞ ۞ ۞

١- الإسلام[1]

---

(١) قَدَّم المرتبة الأولى ، وهي الإسلام ، والمراد به : الاستسلام لله ، والخضوع والانقياد ، والعبودية له سبحانه .

والإسلام إذا أُطلق فإنه يشمل أمور الدين كلها ، قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ الدِّين عِنْدَ اللهِ الإِسْلام** ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] ، فيشمل الاستسلام القلبي والاعتقادي الجازم فيما جاء في الدين من العقائد ، ويشمل الاستسلام العملي ، وذلك بالعمل فيما جاء به الدين من الأعمال ، ويشمل الاستسلام الخلقي ، وذلك بالتَّخَلُّق بما جاء به الدين من الأخلاق الحميدة الفاضلة والتخلي عن الأخلاق الذميمة .

وإذا اجتمع ذكر الإسلام والإيمان في نَصٍّ من الكتاب أو السنة على وجه الإقرار ، فَيَخْتَصُّ الإسلام بالأقوال والأعمال التكليفية ، ويختص الإيمان بالعقائد القلبية .

قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ ، وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ...** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وكما سيأتي في حديث جبريل عليه السلام ، فقد اقترن الإسلام والإيمان واجتمعا في حديث واحد ، وقد فَسَّر رسول الله ﷺ الإسلامَ بالأعمال والأقوال الظاهرة ، وأهمها الأركان الخمسة ، وفَسَّر ﷺ الإيمانَ بالعقائد الإيمانية القلبية ، وسيأتي مزيد إيضاح لهذه المسألة في المرتبة الثانية (الإيمان) .

س٤٤ – كم أركانُ الإسلام؟

خمسةٌ : شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحجُّ بيتِ اللهِ الحرام(١) .

---

(١) روى البخاري (٨) ومسلم (١٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان)) .

قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ١ : ٩٨ – ١٠١ : "فأما الإسلام فقد فَسَّرَه النبي ﷺ بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل . وأول ذلك : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وهو **عمل اللسان** ، ثم إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

وهي منقسمة إلى **عمل بدني** : كالصلاة والصوم ، وإلى **عمل مالي** : وهو إيتاء الزكاة ، وإلى ما هو **مركب منهما** : كالحج بالنسبة إلى البعيد عن مكة .

وإنما ذكر هاهنا أصول أعمال الإسلام التي يُبْنَى الإسلام عليها ، وإلا فإن جميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمى الإسلام ، وكذلك ترك المحرمات داخل مسمى الإسلام أيضًا .

وقال ابن رجب أيضًا ١ : ١٤٥ :"والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس ، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه ، فلا يثبت البنيان بدونها ، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان ، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا يَنتَقِص بنقص ذلك ، بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال ، وكذلك يزول بفقد الشهادتين ، =

س٤٥ – ما دليلُ شهادة أن لا إله إلاّ الله؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **شَهِدَ الله أنه لاَ إِلَهَ إلاّ هُـوَ والمَلائِكَـةُ وأُولُـوا العلمِ قائِماً بالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيم** ﴾(١) .

= والمراد بالشهادتين : الإيمان با لله ورسوله" انتهى .

وقال الإمام ابـن الصـلاح في "صيانـة صحيـح مسـلم" ص : ١٣٤ : "وحكـم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين ، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها ، وبقيامه بهـا يتـمُّ استسـلامه ، وتركه لها يُشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله" انتهى .

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **شَهِدَ الله** ﴾ أي بيَّنَ الله وأظهرَ ؛ لأن معنى الشـهادة تبيـنٌ وإظهار ، وقد أعلن الله تعالى شهادته أنه لا إله إلا هو في محكمِ آياته القرآنية ، كما أعلن سُبْحَانَهُ شهادته في آياتِهِ النفسية والآفاقية .

فيقول سُبْحَانَهُ في آياته النفسية : ﴿ **يَخلُقُكُم في بطون أمَّهاتِكُمْ خلقاً من بعـدِ خلْقٍ في ظُلُمَـاتٍ ثـلاث ذلكـمُ الله رَبُّكُـمْ لـه المُلْـكُ لا إلـه إلا هــو فـأنّى تُصْرَفون** ﴾ [الزمر : ٦] . فتطوير الأَجنَّةِ في أرحامِ الأمَّهات ، وتخلُّقها خَلْقاً من بعدِ خلق ، ذَلِكَ أمرٌ يحتـاج إلى خَـلاَّق عليـم ، ألا وهـو الله الخـالق العظيـم ، ويقول سُبْحَانَهُ أيضاً : ﴿ **هُوَ الَّذي يصوِّرُكُمْ في الأرحامِ كَيـفَ يشاءُ لا إلـه إلا هـو العزيـز الحكيـم** ﴾ [آل عمران : ٦] ، فهـو الَّـذي صـوَّرَ كُـلَّ إنسـانٍ في صورةٍ ، وجَعَلَ له هيئةً وصوتاً ومِزاجاً يختلفُ عن غيره ، مما يشهد بوحدانيته.

ويقول سُبْحَانَهُ معلِناً شهادته في آياته الآفاقيـة : ﴿ **بديـعُ السَّـمواتِ والأرضِ أنَّى يكونُ له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ ، وخَلَقَ كُلَّ شـيءٍ وهـو بكل شـيءٍ**=

= عليم . ذَلِكُمُ ا لله ربُّكُمْ لا إله إلا هو خالِقُ كُلِّ شيءٍ وهو على كُلِّ شيءٍ وكيل ﴾ [الأنعام : ١٠١-١٠٢] .

فهو سُبْحَانَهُ أعلم عِباده إلى توحيده بِما بيَّنَ من عَجَائبِ مصنوعاته ودلائلِ قدرَتِهِ ، ولِذا قيل :

وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تَدُلُّ على أنّه واحد

وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿ والملائكة ﴾ أي : وشهد الملائكةُ ، فمعنى شهادة ا لله تعالى : الإخبار والإعلام ، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين : الإقرار والاعتراف بأنه لا إله إلا هو ﴿ وأوْلو العلم ﴾ أي : وشهدَ أولو العلم بأنه لا إله إلا هو.

قال ابن رجب في "شرح حديث أبي الدرداء" ص ٤٨ : "وقد يطلق اسم العلماء ، ويُرادُ إدخالُ الأنبياء فيهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ شهدَ ا لله أنّه لا إلهَ إلا هُوَ وَالملائكةُ وأُولُو العلم ﴾ فلم يفرد الأنبياء بالذِّكر ، بل أدخلهم في مسمَّى العلماء ، وكَفَى بهذا شرفاً للعلماء أنهم يسمَّوْن باسمٍ يجتمعون هم والأنبياء فيه" انتهى.

﴿ قائماً بالقِسْط ﴾ أي : بالعدل ، فهو سُبْحَانَهُ قائمٌ على تدبير خلقه ، ومجازٍ لهم بأعمالهم.

﴿ لا إلهَ إلا هُوَ ﴾ إنما كرره للتأكيد والتعليم أي : قولوا : لاَ إِلَـهَ إلاَّ ا لله ﴿ العزيز ﴾ الغالب الَّذِي لا يُقْهَر ﴿ الحكيم ﴾ في جميع أفعاله .

قال ابن القيم في "المدارج" ٣ : ٤٦٠ : " فتضمنّت هذه الآية وهذه الشهادة : الدلالة على وحدانيته المنافية للشِّرك ، وعدلِهِ المنافي للظلم ، وعِزَّتِهِ المُنَافِيَة للعجز ، وحِكْمَتِهِ المُنَافِيَةِ للجهل والعيب . ففيها الشهادة له بالتوحيد والعدل والقدرة والعلم والحكمة ، ولهذا كانت أعظم شهادة " .

س٤٦ – ما معنى لا إله إلاَّ ا لله؟

معناهُ : لا معبودَ بحقٍّ إلاَّ ا لله وحده[١] .

س٤٧ – ما المقصودُ بـ (لا إلهَ)؟

المقصود : نفي جميع ما يُعبدُ من دونِ ا لله .

س٤٨ – ما المقصود بـ (إلا ا لله)؟

المقصودُ إثباتُ العبادةِ للهِ وَحْدَه لا شريكَ لَهُ في عبادَتِهِ ، كَمَا أَنَّهُ ليس لَهُ شريكٌ في مُلْكِهِ[٢].

---

(١) أمَّا المعبودات سواه سُبْحَانَهُ فَإِنَّ إلهيَّتَهَا الـتي يزعمها عابدوها باطلة ، ويدلُّ لذلك قوله تعالى : ﴿ **ذلكَ بأنَّ ا لله هو الحقُّ وأَنَّ ما يَدْعُونَ من دونِهِ البَاطِلُ وأَنَّ ا لله هو العليُّ الكبير** ﴾ [الحج : ٦٢] ، وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ والعُزَّى ومَنَاةَ الثَّالثةَ الأُخرى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وله الأُنثى تلك إذًا قِسْمَةٌ ضيزى إن هي إلا أسماءٌ سَمَّيْتُمُوها أنتم وآباؤكم ما أنزلَ ا للهُ بها من سلطان إن يَتَّبِعونَ إلا الظَّنَّ وما تهوى الأنفسُ ولقد جَاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الهُدَى** ﴾ [النجم : ١٩-٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **مَا تَعْبُدونَ من دونِهِ إلا أسماءً سَمَّيْتُموها أنتم وآباؤكم ما أنزل ا لله بهَا من سلطان** ﴾ [يوسف : ٤٠] .

(٢) قال ا لله تعالى : ﴿ **وَقُلِ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وَلِيّ من الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكبيرًا** ﴾ [الإسراء : ١١١] .

وقال سبحانه : ﴿ **الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك** ﴾ [الفرقان : ٢] . =

س٤٩ – ما تفسيرُها الَّذي يوضِّحُها؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْراهيمُ لأبيهِ وَقَوْمِـهِ إنَّني بَـرَاءٌ مِّمَّـا تَعْبُدُونَ إلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فإنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَـةً في عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون ﴾[1] [من سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦-٢٨].

= فا لله ﷻ الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما هو الذي يستحق العبادة دون سواه ، كما قال الله ﷻ : ﴿ ذَلِكم الله رَبُّكم له الملك ، والَّذين يَدْعُون من دونه ما يملكون من قِطْمِير ﴾ [فاطر : ١٣] . والقطمير هو لفافة النواة ، وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة .

وقال سبحانه : ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنَّى تُصْرَفُون ﴾ [الزمر : ٦] . أي : فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟!

(١) قوله تعالى فيما أخبر عن عبده وخليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ إنَّني براء ﴾ أي : بريء ﴿ مِمَّا تَعْبُدُون ﴾ من الأوثان ، وهذا فيه معنى (لاإله) ﴿ إلاَّ الَّذِي فَطَرَني ﴾ إلاَّ مِن الله الَّذي خَلَقَني ، وفيه معنى : (إلا الله) ﴿ فإنَّه سَيَهدين ﴾ يرشدُني إلى دينه ، ويُثَبِّتني على الهداية ﴿ وجَعَلَها ﴾ أي : وجَعَلَ إبراهيمُ كلمةَ التوحيد ﴿ كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ ﴾ أي : في ذرِّيَّتِهِ ، فلا يزالُ فيهم مَن يوحِّدُ الله تعالى ويدعو إلى توحيده ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي : لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحَّدَ منهم ، وقيل : لعل أهل مكة يتَّبِعون هذا الدين ، ويرجِعون عما هم عليه من الشِّرك إلى دين إبراهيم ﷺ .

فشهادةُ التوحيد هي الكلمةُ الباقية . روى الطبري ٢١ : ٥٨٩عن مجاهد والضحَّاك وقتادة والسُّدِّي وغيرهم في قوله تعالى : ﴿ وجَعَلَها كلمةً باقِيَةً في عَقِبِهِ ﴾ يعني : لاَ إِلَهَ إلاَّ الله ، لا يزال في ذرِّيَّةِ إبراهيم من يقولها من بعده .

وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَن لاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ولا نُشرِكَ بِهِ شيئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون** ﴾(١) [من سورةِ آل عمران ، الآية : ٦٤] .

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **قُل يا أهلَ الكِتَاب** ﴾ هم اليهودُ والنَّصَارى ﴿ **تَعَالَوا** ﴾ هَلُمُّوا ﴿ **إلى كلمةٍ سَوَاء** ﴾ أي : مستويةٍ ، فيها العدْلُ والإنصاف ، لا مَيْلَ فيها ولا جَوْر ﴿ **بيننا وبينكم** ﴾ لا يختلف فيها القرآنُ والتوراةُ والإنجيل ، وتفسير الكلمةِ ، قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **ألاَّ نعبدَ إلاَّ اللهَ ولا نُشركَ به شيئاً ولا يتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ الله** ﴾ وذلك أَنَّ النصارى عبَدوا غيرَ الله : عبدوا المسيح!! ، وأشرَكوا به وهو قولهم : أبٌ وابنٌ وروحٌ قدُس ، فَجَعَلوا الواحدَ ثلاثة ، واتَّخَذوا أحبارَهم ورهبانهم أرباباً من دون الله يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشِّرك ، ويسجدون لهم ، وهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .

ومعنى الآية : قل يا رسول الله لليهود والنصارى : هَلُمُّوا إلى أمرٍ عدْلٍ ونَصْف ، وهو أن لا نقول عُزيرٌ ابنُ الله ، ولا نقولَ المسيح ابن الله ؛ لأن كُلَّ واحدٍ منهما بشَرٌ مخلوقٌ مثلُنا ، ولا نُطيعُ أَحبَارَنا ورُهْبانَنَا فيما أحدَثوا من التَّحْليل والتَّحريم بِغَير مَا شَرَعَ الله ﴿ **فإن تولَّوا** ﴾ يعني أعرضُوا عما أمرتهم به من التوحيد ﴿ **فَقُولوا** ﴾ أنتم لِهؤلاء ﴿ **اشهَدوا بأَنَّا مُسْلمون** ﴾ أي مخلِصونَ بالتوحيد والعبادة لله ﷻ .
=

س٥٠ – ما دليلُ شهادة أَنَّ محمداً رسول ا لله[(١)] ؟

= روى البخاري في بدء الوحي (٧) ومسلمٌ في الجهاد (١٧٧٣) عن ابـنِ عبَّـاسٍ أَنَّ أبا سفيان أخبره أَنَّ هِرَقْل أرسل إليه في رَكـبٍ مـن قريـش ، وكـانوا تجَّـاراً بالشَّام في المدَّةِ التي كان رسول ا لله ﷺ مادَّ فيهـا أَبَـا سُفْيَان وكُفَّـار قريـش ، فأتوه وهو بإيلياء ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثُمَّ دَعـا بكتـاب رسول ا لله ﷺ الَّذي بَعَثَ به مع دِحْيَةَ الكلـبي إلى عظيـم بُصْـرَى ، فَدَفَعَـهُ إلى هِرَقْل فقرأه فإذا فيه : "بسم ا لله الرحمن الرحيم ، من محمـدٍ عبـدِ ا لله ورسـولِهِ إلى هِرَقْلَ عظيمِ الروم : سَلامٌ على من اتَّبَعَ الهـدى ، أمـا بعـد ؛ فَـإِنِّي أَدْعُـوكَ بدعايةِ الإسلام ، أسلِمْ تَسْلَم ، يُؤْتِكِ ا لله أَجْرَكَ مَرَّتين ، فإن تولَّيْتَ فإن عليك إثمَ الأريسيين ، و ﴿ **يَا أهلَ الكِتَابِ تعَالَوا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَينَنـا وبينكـم أن لا نعبد إلاَّ ا لله ولا يَتَّخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون ا لله فَإن تَوَلَّـوا فقولـوا اشهَدوا بأنَّا مُسْلِمون** ﴾ ، والأريسيون : الأتباع من أهـل مملكتـه ، وهـي في الأصل جمع أريس ، والأَريس هو الزارع والفلاح .

(١) إنَّ هذه الكلمة العظيمة (لاَ إِلَهَ إلاَّ ا لله) تقتضي من ذاتِ معناهـا : أَنَّ محمـداً رسول ا لله ، وذلك أَنَّ معنى (لاَ إِلَهَ إلاَّ ا لله) هو : أنه لا معبودَ بحـقٍّ إلاَّ ا لله ، وذلك حقٌّ له على عباده ؛ لأَنَّهُ ربُّهُمْ وهم عباده ، وهذا الحـقُّ الواجـب على العباد أن يؤدُّوه ، وهو عبادةُ ا لله تعـالى لا تُعلـم كيفيَّتُهـا ، ولا نوعيَّتُهـا ، ولا كمِّيَّتُها ، ولا صِيَـغُ أَقوالِهـا ، ولا هيئـاتُ أفعالها إلاَّ بتعليـمٍ مـن ا لله تعـالى ؛ وذلك بأن يوحي إلى رسوله ﷺ تبليغ ذَلِكَ للناس ، ويعلمهم مـا يجـب عليهـم من عبادة ا لله تعالى ، وكيفيَّتها ، وكميَّتها ، وأوقاتها ، وأعدادها، وأنواعها،=

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالمؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) [التوبة: ١٢٨] .

= قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إلاَّ نُوحِي إِلَيهِ أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبُدون** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، فلا يُعبد الله سُبْحَانَهُ ولا يُتقرَّبُ إليه إلاَّ بما شرعه سُبْحَانَهُ . وقد بَعَثَ الله خَاتَم رُسُلِهِ والأنبياءَ من قبله ليعلِّموا الناسَ كيف يعبدون الله سُبْحَانَه .

كما أَنَّ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله) تستلزم وتقتضي أَنَّ محمداً رسول الله ؛ لأن الله تعالى هو الإله الحق ، فلابد أن يتعهَّد عباده بما يصلح أمورهم في دنياهم وآخرتهم ، وأن يَتَعَبَّدَهُم بالتَّشريع الَّذِي فيه سعادتهم وصلاحهم ونجاحهم ، ويبيِّن لهم ذلك .

وهذا البيان إنما يكون بواسطةِ رسول من عنده ، فبِعْثَةُ رسول الله ﷺ هي المقْتَضَى المُحَتَّم من كلمة : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله .

(١) قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **لقدْ جَاءَكم رَسُولٌ من أنفُسِكُمْ** ﴾ هذا خطابٌ للعربِ يعني : لقد جاءكم أيُّها العرب رسولٌ من أنفسكم تعرفون نسَبَهُ وحَسَبَهُ ، وأنه من ولدِ إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، والمقصود في قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **من أنفُسِكُمْ** ﴾ ترغيبُ العربِ في الإيمان به ، ونصره فإنه تَمَّ شرفهم بشرفِهِ ، وعزَّتُهُمْ بعزِّه ، وفَخْرُهم بفَخْرِهِ ، وهُوَ مِن عشيرتهم يعرفونه بالصِّدْقِ والأَمَانَة والصيانةِ والعفاف وطهارةِ النسب والأخلاق الحميدة.

وقيل : إنَّ قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **لقد جَاءَكُم رسولٌ من أَنْفُسِكُم** ﴾ عامٌّ ، فَحَمْلُه على العموم أولى ، فيكون المعنى على هذا القول : لقد جاءكم أيُّها الناسُ رسول من أنفسكم ، أي : من جنسِكُمْ ، بشرٌ مثلكم ، إذ لو كان من الملائكةِ لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والأخذ عنه. =

س٥١ – ما معنى شهادة أَنَّ محمداً رسول ا لله؟

طاعتهُ فِيمَا أَمَرَ ، وتصديقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ ، واجْتِنابُ ما نَهَى عنه وزَجَرَ(١) ، وأن لا نَعبدَ ا للهَ إلاَّ بِما شَرَعَ(٢) .

= وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **عزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ** ﴾ أي : شديدٌ عليه عَنَتُكُمْ ، وهو دخولُ المشقَّةِ عليهم والمكروه والأذى ﴿ **حريصٌ عليكم** ﴾ أي : حريصٌ على إيمانكم ، وإيصالِ الخير إليكم ، وهُدى ضُلاَّلِكُمْ ، وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق . قال الطبري في تفسيره ٤ : ٥٨٦ : "فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف ﷺ بأنَّه كان عزيزاً عليه عَنَتُ جميعهم ، وهو يقتل كُفَّارَهم ، ويَسْبي ذراريَّهم ، ويسلبهم أموالهم ؟ قيل : إنَّ إسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحبَّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه ، حتى يستحقوا ذَلِكَ من ا لله ، وإنما وصفه ا لله جل ثناؤه بأنه عزيزٌ عليه عنتُهُم ؛ لأَنَّهُ كان عزيزاً عليه أن يأتوا ما يُعنِتُهُمْ ، وذلك أن يضِلُّوا فيستوجبوا العَنَت من ا لله بالقتل والسَّبْي" انتهى.
﴿ **بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ** ﴾ يعني أَنَّه ﷺ رفيقٌ بالمُطِيعِين ، رحيمٌ بالمؤمنين ، وخصَّ المؤمنين بذلك ؛ لأنه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغِلْظَة عليهم .

(١) قال تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [الحشر : ٧] ، وقال ﷺ : ((ما أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)).

(٢) لأن العبادة في الإسلام من خصائصها (التَّوَقُّفُ) فهي موقوفة على ما شرعه ا لله تعالى ، وما بَيَّنَه لنا رسول ا لله ﷺ الذي قال ا لله تعالى فيه : ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط ا لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى ا لله تصير الأمور** ﴾ [الشورى : ٥٢-٥٣] . =

س٥٢ – ما دليلُ الصَّلاةِ والزَّكاة وتفسيرُ التوحيد؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وما أُمِروا إلاَّ لِيَعْبُدُوا ا للهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدينَ حُنَفَاءَ ويُقيموا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَة ﴾(١) [البيِّنة:٥] .

= فمن ابتدع عبادة لم يأذن بها ا لله لم تكن عبادة له سبحانه ، وا لله لايقبل أن يعبد إلا بما شرع من عبادات .

وهذه الخصيصة التوقيفية دلت عليها أدلة كثيرة تأمر بالاتباع ، وتنهى عن الابتداع ، ومن ذلك قوله ﷺ ((من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردٌّ)) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) ، وفي رواية لمسلم : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) .

وقوله ﷺ : ((فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنَّ كل بدعة ضلالة)) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) .

وقوله ﷺ في شأن الصلاة : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) رواه البخاري .

وقوله ﷺ في شأن الحج : ((خذوا عني مناسككم)) رواه النسائي .

ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا لله تعالى في "العبودية" ص ١٧٠ – ١٧١ : "وجماع الدين أصلان : أن لانعبد إلا ا لله ، ولانعبده بالبدع" انتهى.

(١) **الصلاة** في اللغة : الدعاء ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وصلِّ عليهم** ﴾ [التوبة : ١٠٣] أي : ادع لهم .

وفي الاصطلاح : أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم مع النيَّة بشرائط مخصوصة . =

= والصلاة آكد الفروض بعد الشهادتين وأفضلها ، وهي عمود الدين الذي لايقوم إلا به .

والزكاة في اللغة : النماء والزيادة . وشرعًا : إخراج جزء من مال مخصوص لقوم مخصوصين بشرائط مخصوصة .

وركنيتها ووجوبها ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع ، وقرنت بالصلاة في القرآن الكريم في اثنتين وثمانين آية .

وقوله تعالى : ﴿ **وما أُمِرُوا** ﴾ يعني : وما أمرَ الله هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب ﴿ **إلا ليعبدوا الله** ﴾ أي : ما أُمِروا إلاَّ أن يعبُدوا الله . قال ابن عباسٍ : ما أُمِروا في التوراةِ والإنجيل إلاَّ بإخلاصِ العبادةِ لله موحِّدين له ﴿ **مُخلِصينَ له الدِّين** ﴾ أي : مُفرِدين له الطاعة ، لا يخلطون طاعة ربهم بشرك ، فأشركَتِ اليهود بربِّها بقولهم : إنَّ عزيراً ابن الله ، والنصارى بقولهم في المسيح قبل ذلك ، وجحودهم نبوَّةَ محمد ﷺ .

والمراد بإخلاص الدين : هو أن يأتي بالفعل لوجه الله تعالى ، مخلصاً له لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا عرَضاً آخر ، فيجعل العبد عبادته لمحض العبودية ، واعترافاً لربه سُبْحَانَهُ بالربوبية .

وقوله سبحانه : ﴿ **حُنَفَاء** ﴾ أي : مائلين عن الأديان كُلّهَا إلى دينِ الإسلام ﴿ **ويُقيموا الصَّلاة** ﴾ أي : المكتوبة في أوقاتها ﴿ **ويؤْتوا الزكاة** ﴾ أي : المفروضة في محلها ، وإنما خصَّ الله سُبْحَانَهُ إقامةَ الصلاة ، وإيتاء الزكاةِ بالذِّكْرِ مع أنهما من العبادة ؛ لِما لهما من الأهميةِ ، فالصلاةُ عبادةٌ بدَنِيَّةٌ ، والزكاة عبادةٌ مالِيَّة ، وهُما قَرينتان في كتابِ الله عَزَّ وَجَلّ ﴿ **وذلك** ﴾ الَّذِي أُمِروا به ﴿ **دينُ القيِّمة** ﴾ أي : المِلة المستقيمة العادلة دون اليهوديةِ والنصرانية.

س٥٣ – ما دليل الصيام؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **يا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ على الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تتَّقون** ﴾[1] [البقرة : ١٨٣] .

س٥٤ – ما دليلُ الحج؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **و للهِ عَلى النَّاسِ حِجُّ البيتِ من اسْتَطَاعَ إليهِ سَبيلا ومَن كَفَرَ فَإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين** ﴾[2] [آل عمران : ٩٧].

---

(١) دليلُ وجوبِ الصيام قوله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الذين آمَنُوا كُتِبَ** ﴾ أي : فُرِضَ ﴿ **عَلَيكُمُ الصِّيَام** ﴾ الصوم في اللغة : الإمساك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **إنِّي نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَومًا فلن أكلم اليوم إنسيا** ﴾ [مريم : ٢٦] أي : صَمْتاً ؛ لأَنَّهُ إمساكٌ عن الكلام .

والصوم في الشرع : الإمساك عن الأكلِ والشرب والجماعِ في وقتٍ مخصوصٍ ، وهو من طلوعِ الفجرِ إلى غروبِ الشمس مع النِّيَّة.

وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **كما كُتِبَ عَلَى الَّذين من قبلكم** ﴾ يعني : من الأنبياء والأُمَمِ ، فالصومُ عبادةٌ قديمةٌ ما أخلى الله أمَّةً لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم ، أي : أنتم مُتَعَبَّدُون بالصِّيام في أيَّامٍ كما تعَبَّدَ من كان قبلكم ﴿ **لعلَّكم تتَّقون** ﴾ المعاصي بالصيام ؛ لِما فيه من كَسرِ النَّفْسِ ، وترك الشهوات من الأكلِ والجماع وغيرهما .

(٢) **الحج** : بفتح الحاء ، ويجوز كسرها ، هو لغة : القصد ، وفي الاصطلاح : قصد موضع مخصوص (وهو البيت الحرام وعرفة) في وقت مخصوص (وهو أشهر الحج) للقيام بأعمال مخصوصة . =

= ودليلُ وجوبِ الحج قوله ﷻ : ﴿ **و للهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ** ﴾ أي : و للهِ على النَّاسِ فرضُ حجِّ البيت ﴿ **مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلا** ﴾ أي : أَنَّ فرضَ الحج واجبٌ على من استطاعَ من أهل التكليف ، ووجد السبيل إلى حج بيت الله الحرام ، فلا يجب على غير المستطيع ، فلو تَكَلَّف غير المستطيع الحج وحجَّ صحَّ حجُّه وسقط عنه فرض حجةِ الإسلام .

والاستطاعةُ نوعان : أحدهما : أن يكون مستطيعاً بنفسه ، والآخر : أن يكون مستطيعاً بغيره ، فأمَّا المستطيع بنفسه : فهو أن يكونَ قويّاً قادراً على الذهاب ، ووجد الزادَ والراحلة .

وأما المستطيعُ بغيره : فَهُوَ أَن يكون الرجل عاجزاً بنفسه ؛ بأن كان به مرضٌ لا يُرجَى بُرؤُهُ ، وله مالٌ يُمَكِّنُهُ أن يستأجرَ من يحجُّ عنه ، فيجب عليه أن يستأجر من يحج عنه ، والتفصيل وذِكْرُ اختلاف الفقهاء مما لا يسعه هذا المختصر.

قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **ومَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غنيٌّ عن العالمين** ﴾ يعني : ومن جَحَدَ ما ألزمَهُ الله به من فَرضِ حجِّ بَيتِهِ وكَفَرَ ، فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عنه وعن حَجِّهِ وعَمَلِهِ ، وجميعِ خلقه . ويجوز أن يكون من الكُفْران ، أي : ومن لم يشكر ما أنعمْتُ عليه من صحَّةِ الجسم وَسَعَةِ الرِّزْقِ ، ولم يحج فَإِنَّ الله مستغنٍ عن العالَمين وعن طاعتهم .

٢- الإيمان(١)

---

(١) قدَّم المرتبة الأولى وهي الإسلام ، وثنّى بمرتبة الإيمان ، والإيمـان إذا أُفـرد ذكـره فإنّه يشمل أمور الديـن كلهـا : عقـائده وأعمالـه وأقوالـه ، فيكـون المـراد مـن الإيمان : الإيمان الاعتقادي والعملي والقولي ، فيكون الإسلام والإيمان مُتَرَادِفَين عند إفراد أحدهما بالذكر .

ومن الآيات التي ذُكر فيها الإيمان مفردًا ، قوله تعالى : ﴿ **إنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذيـن إذا ذُكِر ا لله وَجِلَت قُلوبُهُم ، وإذا تُلِيَت عليهم آياتُـهُ زَادَتْهُـم إيمانـاً وعلـى ربهم يتوكلون ، الَّذين يُقِيمُونَ الصَّلاة وممـا رَزَقْنـاهُم يُنفِقُـون ، أُولئـك هـم المؤمنون حقًا** ﴾ [الأنفال : ٢-٤] .

وقوله سبحانه : ﴿ **إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بـا للهِ وَرَسُـولِهِ ثُـمَّ لَـم يَرْتَـابُوا وَجَـاهَدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ في سَـبِيلِ ا للهِ أُولَئِـكَ هُـمُ الصَّـادِقُونَ** ﴾ [الحجرات : ١٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْـضٍ يَـأْمُرُونَ بِـالمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ا للهَ وَرَسُـولَهُ ، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ا للهُ ، إنَّ ا للهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٧١] .

وكذلك جاءت الأحاديث الكثيرة : منها حديـث وفـد عبـد القيـس - المتفـق عليه - وفيه : ((فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان با لله وحده ، وقال لهم : هل تدرون ما الإيمان با لله تعـالى ؟ قـالوا : ا لله ورسـوله أعلـم ، =

=قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تُؤَدُّوا خُمُسًا من المغنم)) ، ولم يذكر الحج لأنه لم يُفْرَض وقتئذ ، ففَسَّر الإيمان بأعمال الإسلام .

ومنها حديث شعب الإيمان الذي سيذكره المصنف : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)) .

وأما إذا اجتمع ذكر الإسلام والإيمان في آية أو حديث على وجه الإقرار ، فعندها يختصُّ الإسلام بالأعمال والأقوال الشرعية التكليفية ، ويختصُّ الإيمان بالعقائد القلبية كما تقدم ذكره عند المرتبة الأولى : (**الإسلام**) ص : ١٠٥ .

وأما إذا اقترن ذكر الإسلام والإيمان في آية قرآنية أو حديث نبوي لا على وجه الإقرار ، بل على سبيل النفي كما في قوله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾ [الحجرات : ١١] فنفى عنهم الإيمان القلبيَّ الاعتقاديَّ ، وأثبت لهم الاستسلام الظاهري ، وهذا الاستسلام – ولو ظاهرًا– يُجْرِي عليهم أحكام المسلمين في الدنيا ، ولكن إذا بقي على ذلك ولم يدخل الإيمان الجازم قلبه فهو مع المنافقين يوم القيامة .

ولهذا قال المحققون من العلماء : كل مؤمنٍ مسلمٌ ، فإنَّ من حقق الإيمان ورسخ في قلبه ، قام بأعمال الإسلام ، وليس كل مسلم مؤمنًا ، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفًا في قلبه ، مع عمل جوارحه أعمال الإسلام ، فيكون مسلمًا لم يصل إلى درجة الإيمان التام ، وإنما هو في مقام الإسلام الظاهر .

س٥٥ - ما المرتبة الثانية من مراتب دينِ الإسلام ؟

هِيَ الإيمان(١) .

س٥٦ - كَمْ شُعُبُ الإيمان ؟

هِيَ بِضْعٌ وسَبعونَ شُعبةً، أعلاها : قول (**لا إله إلاّ الله**)، وأدناها : إماطةُ الأذَى عن الطريق ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان(٢).

---

(١) الإيمان في اللغةِ : التصديق ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وما أنتَ بمؤْمِنٍ لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] أي : بمصدِّقٍ لنا .

وفي الشرع : التصديقُ بالقلبِ ، والإقرارُ باللسان ، والعملُ بالأركان .

فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه ، فهو منافق وليس بمؤمن ، ومن لم ينطق بلسانه - مع القدرة - لايسمى مؤمنًا .

وأما أعمال الجوارح فهي تابعة لأعمال القلوب ، ولازمة لها ، فهي داخلة في مسمى الإيمان ، ومما يدل على ذلك حديث : شعب الإيمان ؛ الذي استدل به المصنف .

(٢) روى مسلم (٣٥) ، من حديثِ أبي هريرةَ : "الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً ..."

والبِضْعُ : بِكسرِ الباء ، ما بين الثلاثةِ إلى العشرة ، والشُّعْبَة : القِطْعَةُ من الشيء ، وإماطةُ الأذى عن الطريقِ هو عزلُ الحَجَرِ والشَّوكِ ونحوِ ذَلِكَ عنه ، والحياء : هو انقباضُ النفس عن فعل القبيح ، وإنما جُعِلَ من الإيمان ؛ لأن المستحيي ينزجر باستحيائه من الله عن المعاصي .

س٥٧ – كَمْ أركانُ الإيمان ؟

ستة : "أن تؤمنَ با للهِ وملائكتِهِ وكتُبهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخر ، وتؤمنَ بالقَدَرِ خيرهِ وشَرِّه" .

س٥٨ – ما الدليلُ على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **ليسَ البرَّ أن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المشْرِقِ والمغْرِبِ وَلكنَّ البرَّ مَن آمنَ با للهِ واليومِ الآخِرِ والملائكةِ والكِتابِ والنَّبيِّين** ﴾[1] [البقرة : ١٧٧] .

---

(١) **البرُّ** : اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ الطاعاتِ وأعمالِ الخير المقرِّبةِ إلى ا لله ، المؤدِّيةِ إلى الجنة ، وقد بيَّنَ ا لله سُبْحَانَهُ خِصال البرِّ ، وذَكَرَ برَّ العقيدةِ أوَّلاً ، المشتمل على الأركان الإيمانية الخمسة ﴿ **ولكنَّ البِرَّ مَن آمنَ با لله واليوم الآخِرِ والملائكةِ والكِتابِ والنَّبيِّين** ﴾ ، والإيمانُ بالكتابِ يشملُ الإيمان بجميعِ الكتبِ المُنَزَّلَة .
وهذه الأركان الإيمانية الخمسة ذَكَرَها ا لله سُبْحَانَهُ في أواخر سورةِ البقرة ، فقال سُبْحَانَهُ : ﴿ **آمَنَ الرَّسولُ بما أُنزِلَ إليه من ربه والمؤمنونَ كُلٌّ آمنَ با لله وملائكته وكتُبهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بين أحدٍ من رُسُلِهِ وقالوا سَمِعْنا وأطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنَا وإليك المصير** ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] ، فَذَكَرَ ا لله في هذه الآيةِ الكريمةِ الإيمانَ با لله وملائكته وكتبه ورسله ، والمصيرَ إليه –وهو اليوم الآخر– .

س٥٩ – ما دليلُ القَدَر ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر ﴾(١) [القمَر: ٤٩] .

---

(١) **القَدَرُ والقَدْرُ** : بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان ، ومعنى القدر : أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه "شرح النووي على مسلم" ١ : ١٥٤ .

ودليلُ الإيمانِ بالقدَرِ قوله تعالى : ﴿ **إنَّا كُلَّ شيءٍ خلقْناهُ بقدَر** ﴾ أي : بتقديرٍ سابقٍ مكتوبٍ في اللوحِ المحفوظ ، أو خلقنا كُلَّ شيءٍ مقدَّراً مُحكَماً مرتَّباً على قدرهِ الَّذِي ينبغي له .

روى مسلمٌ في صحيحه في كتاب القدر ٤ : ٢٠٤٦ (٢٦٥٦) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : جاء مشركو قريشٍ إلى النبي ﷺ يُخاصِمونه في القدَر ، فنزلَتْ هذه الآية : ﴿ **إنَّ المجرمين في ضلالٍ وسُعُرٍ يومَ يُسْحَبونَ في النارِ على وجوهِهِمْ ذوقُوا مسَّ سَقَر إنَّا كُلَّ شيءٍ خلقْناهُ بقدر** ﴾ [سورةُ القمر : ٤٧-٤٩] .

فقوله سبحانه : ﴿ **إنَّا كُلَّ شيءٍ خلقْناه بقدر** ﴾ المراد بالقدَرِ هنا كما يَدُلُّ عليه سبب نزول هذه الآية : القدر المعروف ، وهو ماقدَّرَهُ الله وقَضاهُ وسبق به علمه وإرادته ، فَكُلُّ ذَلِكَ مقدَّرٌ في الأزَل ، معلومٌ لله تعالى ، مُرادٌ له .

قال الخطابي في "معالم السنن" ٤ : ٣٢٢-٣٢٤ : وقد يحسب كثيرٌ من الناس أَنَّ معنى القضاء والقدر إجبارُ الله تعالى العبدَ وقهرُهُ على ما قدَّره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه ، وإنما معناه : الإخبارُ عن تقدُّمِ علمِ الله تعالى بما يكونُ من أكسابِ العبد وصدورِها عن تقديرٍ منه ، وخلقٍ لها خيرها وشرها . =

= قال : "والقَدَرُ اسمٌ لِما صدر مقدَّراً عن فعلِ القَادِر ، يُقال : قدَرْتُ الشيء وقدَّرْتُهُ - بالتّخفيف والتثقيل - بمعنىً واحد . والقضاء في هذا معناه الخلق ، كقوله تعالى : ﴿ **فقَضَاهُنَّ سبعَ سموات** ﴾ [فصلت : ١٢] أي : خَلَقَهُنَّ .

قال النووي في "شرح مسلم" ١ : ١٥٥ : "وقد تظاهرت الأدِلَّةُ القطعِيَّاتُ من الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الصحابةِ وأهل الحَلِّ والعقد من السلف والخلف على إثباتِ قدَرِ الله سُبْحَانَهُ وتعالى ، وقد قرر أئِمَّتنا من المتكلِّمين ذَلِكَ أحسنَ تقرير بدلائلهم القَطْعِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ والعقْلِيَّة ، والله أعلم" . انتهى .

٣ - الإحسان(١)

س٦٠ - ما المرتبة الثالثة من مراتب دينِ الإسلام ؟

هِيَ الإحسان ، ولهُ ركنٌ واحد.

س٦١ - ما هو الإحسان ؟

"هُوَ أن تعبدَ الله كأنَّكَ تراهُ فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك" (٢) .

---

(١) قدم مرتبتي الإسلام والإيمان ، ثم ذكر المرتبة الثالثة من مراتب الدين ، وهي الإحسان ، فالإحسان أعلى المراتب وأعمُّها من جهة نفسها ، وأخصها من جهة أصحابها ، كما أن الإيمان أعَمُّ من جهة نفسه ، وأخصُّ من جهة أصحابه ، ولهذا يقال : كل محسن مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمن محسناً . وإذا ما أطلق الإحسان فإنه يدخل فيه الإيمان والإسلام ، فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر ، أوسعها دائرة الإسلام ، ثم يليها في السَّعة الإيمان ، ثم أضيقها الإحسان ، كدوائرَ كلٌّ واحدة منها محيطة بالأخرى ، فأهل الإحسان هم خواص أهل الإيمان ، كما أن أهل الإيمان خواص أهل الإسلام . "حاشية ابن قاسم ص ٦٦-٦٧ باختصار" .

(٢) قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري" ١ : ٢١١ : "المراد : أَنَّ نهايةَ مقامِ الإحسان : أن يعبدَ المؤمن ربَّهُ كأنه يراهُ بقلبه ، فيكون مستحضِراً ببصيرته وفِكرَتِهِ لهذا المقام ، فإن عَجَزَ عنه ، وشقَّ عليه انتقلَ إلى مقامٍ آخر ، وهو : أن يعبد الله على أَنَّ الله يراه ويطَّلِعُ على سِرِّهِ وعلانِيَّتِهِ ، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمره .
=

س٦٢ – ما الدليل على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحسِنون ﴾(١) [من سورةِ النحل ، الآية : ١٢٨] .

= ثُمَّ قال : "قال بعضُ السلف : من عمل لله على المشاهدةِ فهو عارفٌ ، ومَن عمل على مشاهدةِ الله إياه فهو مخلص . فهذان مقامان : أحدهما مقامُ المراقبة ، وهو أن يستحضر العبدُ قُرْبَ الله منه واطِّلاعَه عليه ، فيتخايلَ أنه لا يزالُ بين يدي الله ، فيراقبَه في حركاته وسكَناته ، وسِرِّهِ وعلانيَّتِهِ ، فهذا مقامُ المراقِبين المخلِصين ، وهو أدْنَى مقام الإحسان .

والثاني : أن يشهد العبدُ بقلبه ذَلِكَ شهادةً فيصير كأنه يرى الله ويشاهده ، وهذا نهايةُ مقام الإحسان ، وهو مقامُ العارفين" انتهى ، وانظر "جامع العلوم والحكم" ١ : ١٢٧-١٣٠ .

وقال ابن القيِّم في "مدارج السالكين ٢ : ٥٧" في منزلة الرغبة : "ولو كان فوق مقام الإحسان مقامٌ آخر لذَكَرَهُ النبيُّ ﷺ لجبْريل ، ولَسَأَلَهُ جبريل عنه ، فإنه جَمَعَ مقاماتِ الدين كُلّهَا في الإسلام والإيمان والإحسان ، وتحقيق مقام الإحسان : أن يفنى بحبه وخوفه ورجائه ، والتوكل عليه وعبادته ، والتَّبَتُّل إليه عن غيره ، وليس فوق ذَلِكَ مقامٌ يُطْلَب" اهـ .

(١) أورَدَ المؤلف هنا ما يحملُ المسلم على التحقُّق بالإحسان ، وهو مراقبةُ الله تعالى في أعماله وأقواله ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ معه مُطَّلِعٌ على سِرِّهِ وعلانيته ، وباطنه وظاهره ، ومن عَلِمَ أَنَّ الله تعالى معه حيثما كان ، وأنه يراه حيثُما كان لا يخفى عليه شيءٌ من أمره ، حَمَلَهُ ذَلِكَ على طاعةِ الله وترك معصيته ، وعدم الالتفات إلى غير الله في عمله . =

= روى الطبراني (في مسند الشاميين ٥٣٥ ، ١٤١٦) من حديثِ عبادةَ بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال : "إنَّ أفضلَ الإيمان أن تعلم أَنَّ ا لله مَعَكَ حيثُما كنت" .
وروى البزار في مسنده من حديثِ عبدا لله بن معاوية أَنَّ رجلاً قال لرسول ا لله ﷺ : ما تزكِيَةُ المرءِ نفسه يا رسول ا لله ؟ قال : "أن يعلم أَنَّ ا لله معه حيثُ كان" (جامعُ العلوم والحكم ١ : ١٢١-١٢٢) .
وقوله تعالى : ﴿ **إنَّ ا لله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسِنون** ﴾ قال ابن رجبٍ في "نور الاقتباس" ص ٥٦ : "وهذه المعِيَّةُ الخاصة بالمتَّقين غير المعِيَّةِ العامَّةِ المذكورةِ في قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُم أين ما كُنتم** ﴾ [الحديد : ٤٠] فَإِنَّ المعِيَّةَ الخاصة تقتضي النّصرَ والتَّأييدَ والحفظَ والإعَانةَ ، كما قال تعالى لموسى وهارون : ﴿ **لا تَخافا إنَّني معكُما أسمعُ وأرى** ﴾ [طه : ٤٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **إذْ يقولُ لصاحِبِهِ لا تحزَنْ إنَّ ا لله مَعَنَا** ﴾ [التوبة : ٤٠] ، وكان ﷺ قد قال لأبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ في تلك الحال : "ماظَنُّكَ باثنين ا للهُ ثالثُهُما" ، فهذا غير المعنى المذكور في قوله تعالى : ﴿ **ما يكونُ من نَجْوَى ثَلاثةٍ إلاَّ هو رَابِعُهُم** ﴾ [المجادلة : ٧] ، فَإِنَّ ذَلِكَ عامٌّ لِكُلِّ جماعة" انتهى .

وقوله : ﴿ **وتوكَّلْ على العَزيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَراكَ حينَ تقومُ وتَقَلُّبَكَ في السَّاجدين إنَّه هُوَ السَّميعُ العليم** ﴾[1] [من سورة الشعراء ، الآيات : ٢١٧-٢٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ **وما تكونُ في شَأْنٍ وَّمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَّلا تعملونَ من عمَلٍ إلاَّ كُنَّا عليكُمْ شهوداً إذْ تُفِيضُونَ فيه** ﴾[2] [من سورة يونس ، الآية : ٦١] .

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **وتوكَّلْ عَلى العَزيزِ الرَّحيم الَّذي يَرَاكَ حينَ تَقُوم** ﴾ أي : إلى صلاتك ﴿ **وتقلُّبَكَ في السَّاجِدين** ﴾ أي : ويرى تَقَلُّبَك مع السَّاجدين في صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد ﴿ **إنَّه هو السميع** ﴾ أي : إنَّ ربك هو السميع تلاوتك ، وذِكرَكَ في صلاتك ، وما تتلو وتذكر ﴿ **العليم** ﴾ بما تعمل فيها ، ويَعمَلُ فيها من يتقلَّبُ فيها معك مُؤْتَمّاً بك ، يقول : فرتِّل فيها القرآن ، وأَقِمْ حُدودَها ، فإنَّك بمرأى من ربِّك وَمَسْمَع (تفسير الطبري ١٩ : ٤١٣) .

(٢) يقولُ تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ محمد ﷺ : ﴿ **وما تكون** ﴾ يا رسول الله ﴿ **في شأنٍ** ﴾ أي : في عملٍ من الأعمال ﴿ **وما تتْلو منه من قُرآنٍ** ﴾ وما تقرأ من كتابِ الله من قرآن ﴿ **ولا تَعْمَلونَ من عملٍ** ﴾ أيُّها الناسُ من خيرٍ أو شَرٍّ ﴿ **إلاَّ كُنَّا عَلَيكُم شُهوداً** ﴾ إلاَّ ونحن شُهودٌ لأعمالِكم وشؤونِكم ﴿ **إذ تُفيضونَ فيه** ﴾ إذ تعمَلونَها وتأخذونَ فيها (تفسير الطبري ١٥ : ١١٤) .

س٦٣ – ما الدليل من السُّنَّةِ على مراتبِ الدينِ الثلاثة ؟

حديثُ جبريلَ المشهور عن عُمَرَ بنِ الخطاب ﷺ قال : "بينَمَا نحنُ جُلوسٌ عند النبيِّ ﷺ ، إذ طَلَعَ علينا رَجُلٌ شَديدُ بياضِ الثِّياب ، شديدُ سَوادِ الشَّعر[1] ، لا يُرى عليه أثرُ السَّفرِ، ولا يعرفه منّا أَحَدٌ ، حتى جلسَ إلى النبيِّ ﷺ ، فأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كفَّيْهِ على فَخِذَيه[2] ، وقال: يا مُحَمَّد أخبرني عن الإسلام ؟

فقال : **"أن تَشْهَدَ أن لا إلَه إلاَّ الله وَأَنَّ محمَّداً رسُولُ الله ، وتقيمَ الصَّلاةَ ، وتؤتيَ الزَّكاة ، وتصومَ رمضانَ ، وتحجَّ البَيْتَ إن استَطعتَ إليهِ سَبيلا"** .

---

(١) زاد النسائي في سننه ٨ : ١٠١ في كتاب الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) عن أبي هريرةَ : "أحسنُ الناسِ وجهاً ، وأطيبُ الناسِ ريحاً ، كأنَّ ثيابه لم يمسَّها دنس" وكذلك الملائكة تتمثلُ في أحسنِ الصور ، وتأخذُ أحسنَ الزينة ، وفي هذا أُسوةٌ حسنةٌ لأهل العلم الدَّاعِين إلى الله أن يتجَمَّلُوا من الحلالِ الطَّيِّب بما يحسُنُ منظَرُهُ ولا يُزْري بِلابسِه ، فذلك أَدْنَى إلى تَوقيرِ الناسِ لهم وميلِهِمْ إلى اتِّباعهم ، وهو مع ذَلِكَ من شُكْرِ النعمة ، فإنَّه تعالى يُحِبُّ أن يَرى أَثَرَ نعمته على عبده (المختار ، للدكتور محمد عبد الله دراز ص٢٨١) .

(٢) فكان في جِلْسَتِهِ جامِعاً بين أدبِ التوقير والاحترام ، وبين جرأةِ الملاطَفةِ التي لا تكونُ إلاَّ عند تمامِ الأُلْفَةِ ، وانقطاعِ الكُلْفَة . (المصدر السابق) .

قال : صَدَقْتَ ، فَعَجبْنَا لَهُ يسألُهُ ويُصَدِّقُهُ(١) .

قال : فأخبرني عن الإيمان ؟

قال : **"أن تؤمنَ با للهِ ، ومَلائِكَتِـهِ ، وكُتُبِـهِ، ورُسُـلِهِ ، واليَـومِ الآخِرِ ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّهِ"** .

قال : صدقتَ ، فأخبرني عن الإحسان ؟

قال : **"أن تعبدَ ا للهَ كأنَّكَ تراهُ ، فإن لم تكُن تراهُ فإنَّهُ يراكَ"**.

قال : فأخبرني عن السَّاعة .

قال : **"ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السَّائل"** (٢) .

قال : فأخبرني عن أماراتها(٣) .

---

(١) لأنَّ السؤال يدلُّ على أنه يريدُ التَّعلُّم ، والتصديقُ يدلُّ على أنه عالمٌ .

(٢) أي : أَنَّ الناس كلَّهم في وقتِ الساعةِ سواء ، وكلُّهم غير عالِمين به على الحقيقة ، وأرادَ جبريل عليه السلام بسؤاله عن الساعة : إظهارُ انفرادِ ا لله بعلمِها دون خَلْقِهِ ، حتى ينقطعَ السؤالُ عنها ، فقد كان النبيُّ ﷺ كثيراً ما يُسألُ عنها حتى نَزَلَت : ﴿ **يسألونك عن السَّاعةِ أيَّانَ مُرْساها فيم أنتَ من ذِكراها إلى ربِّكَ منتهاها** ﴾ [النازعات : ٤٢-٤٤] ، ونَزَلَتْ : ﴿ **يسألونك عن الساعةِ أيَّانَ مُرساها قُلْ إنما عِلْمُها عند ربِّي لا يُجَلِّيها لوقْتِها إلاَّ هو** ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

(٣) لَمَّا كان العلمُ بوقتِ الساعةِ المسؤولِ عنها غير ممكنٍ انتقل منه إلى سؤاله عن أماراتها ، وهي أشراطها وعلاماتها الدالَّةُ على اقترابِها ، وقد ذَكَرَ النبي ﷺ في هذا الحديث علامَتين .

قـال : **"أن تلِـدَ الأمَـةُ ربَّتَهـا[١] ، وأن تَـرَى الحُفـاةَ العُـراةَ العَالَةَ رِعاءَ الشاةِ يتطاولونَ في البنيان"** [٢] .

---

(١) المرادُ بالرَّبِّ : السَّيِّد ، واختُلِفَ في معنى ذَلِـكَ ، فقيـل : المـراد أن يكـثُرَ فتـوحُ بلادِ الكفر ، والسَّبْيُ ؛ فيكـثرَ السـراريُّ ، فتلـدَ الإمـاءُ الأولادَ مـن سـادتهِنَّ ، وولد السَّيِّد بمنزلة السَّيِّد ، فتصير الأَمَةُ ولدت ربَّها بهذا الاعتبار .
ومعنى هذه الأَمارة : أن يصير أبناءُ الإماء سادةً وملوكاً ، وبناتُ الإماء ساداتٍ وملكاتٍ ، فيكونونَ أرباباً وربَّاتٍ لأُمَّهاتِهِم ، ولغير أمَّهاتِهِمْ بالأَوْلى ، وقد وقع ذَلِكَ منذ اتَّسَعَتْ الفتوحات .
وقيل : المرادُ بقوله ﷺ : "أن تلدَ الأَمَةُ ربَّهـا" أن يكـثُرَ العقـوقُ مـن الأولاد ، حتى يُعاملَ الولدُ أُمَّهُ معاملةَ أمَتِهِ بالسَّبِّ والإهانة والاستخدام ، ويشهد لهـذا : أنه جاءَ في روايةٍ : "أن تلدَ المرأةُ ربَّها" فلم يخصّه بالأَمَة .
(٢) "الحفاةَ العراة" : جمع الحافي العاري ، الَّذِي لا نعلَ برجْلَيْهِ ولا ثوبَ على بدَنِهِ ، و "العالـة" : الفقـراء ، جمـع عـائل ، وهـو ذو العَيْلَـةِ -بفتْـحٍ فسُـكون- أي : الفقر ، و "رِعَاءُ الشَّاء" هم رعاةُ الأغنام ، و "يتطاوَلون" يتسابَقون ويَتنافَسـون أيُّهُمْ أطولُ بنياناً وأعلى ، والمراد : أَنَّ أسافِلَ الناس يصيرون رؤساءهم ، وتكثر أموالهم حتى يتباهَون بطولِ البنيان وزخرفته وإتقانه .
قال ابن رجبٍ في "جامع العلومِ والحكم" ١ : ١٣٩ "ومضمـونُ مـا ذُكِـرَ مـن أشراطِ الساعةِ في هذا الحديثِ يرجعُ إلى أَنَّ الأمورَ تُوَسَّدُ إلى غيرِ أهلها ، فإنـه إذا صار الحفاةُ العراةُ رعاءُ الشاء ، -وهم أهل الجهل والجفاء- رؤوسَ النـاس ، وأصحابَ الثروةِ والأموال ، حتى يتطاولوا في البنيان ، فإنه يفسد بذلـك نظـامُ الدين والدنيا ..." .

قال : فمضى ، فلبثنا مَلِيّـاً ، فقـال : "**يـا عُمَـرُ : أَتَـدْرُونَ مَـنِ السَّائِلِ ؟** " قلتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلم .
قال : "**هذا جبريلُ أتاكم يعلِّمُكُمْ أمرَ دينكـم**" [1] رواه مسـلمٌ في صحيحه[2] .

---

(١) قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري" ١ : ٢١٥ : "فهذه المقاماتُ الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسانُ يشملها اسم الدين، فمن استقام على الإسلام إلى موته عصمَـهُ الإسلامُ من الخلودِ في النار، وإن دَخَلَهـا بذُنوبـه، ومـن استقام علـى الإحسـانِ إلى المـوتِ وصـل إلى الله ﷻ، قـال تعـالى: ﴿ **للذيـنَ أحسَـنوا الحسْـنَى وزيـادة** ﴾ [يونس:٢٦] ، وقد فسَّر النبيُّ ﷺ الزيادةَ بالنَّظَرِ إلى وجهِ الله ﷻ في الجنة" .
وقال الحافظ ابن رجب في "الفتح" أيضاً ١ : ٢١١ : "فهذا الحديث قد اشتمل علـى أصولِ الدينِ ومهمَّاته وقواعـده ، ويدخـل فيـه : الاعتقـادات ، والأعمـال الظـاهرة والباطنة ، فجَميعُ علومِ الشريعة ترجعُ إليه من أصـولِ الإيمـان والاعتقـادات ، ومـن شرائع الإسلام العملية بالقلوب والجوارح ، ومن علوم الإحسان ، ونفوذِ البصائر في الملكوت ، وقد قيل : إنه يصلُحُ أن يُسَمَّى "أُمَّ السُّـنَّةِ" لرجوعهـا كلِّهـا إليـه ، كمـا تسمَّى الفاتحةُ "أُمَّ الكِتابِ" و "أُمَّ القرآن" لمرجِعِهِ إليها .
وقال في "جامع العلوم والحكم" ١ : ١٣٤ : "إنَّ جميع العلـوم والمعـارف ترجـع إلى هذا الحديث وتدخل تحته ، وَإنَّ جميعَ العلماء من فِرَقِ هذه الأمة لا تخـرج علومهـم التي يتكلَّمون فيها عن هذا الحديث ، وما دلَّ عليه مُجْمَـلاً ومُفَصَّلاً ... ففـي هـذا الحديث وحده كفايةٌ ، و لله الحمد والمِنَّة" انتهى .
(٢) هذا الحديث تفرَّد مسلمٌ عن البخاري بإخراجه من حديث عمر بـن الخطـاب ؓ برقم (٨) ، وخرَّجاه في "الصحيحين" من حديث أبـي هريـرة ؓ : رواه البخاري (٥٠) و (٤٧٧٧) ، ومسلمٌ (٩) .

الأصلُ الثالث

معرفةُ نبيّنا محمد ﷺ

س٦٤ - ما هو الأصلُ الثالث ؟

معرفةُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ ، وهو : محمدُ بنُ عبدِا لله بن عبدالمطلب ابن هاشم ، وهاشمٌ من قريش ، وقريشٌ من العرب ، والعربُ من ذرِّيَّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليل ، عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاةِ والسلام .

س٦٥ - كَمْ عُمْرُ النبيِّ ﷺ ؟

ثلاثٌ وستُّونَ سنةً : منها أربعونَ قبل النبوة ، وثلاثٌ وعشرون نبِيّاً ورسولاً(١) ، نُبِّئَ بـ ﴿**اقرأ**﴾(٢) ، وأُرسِلَ بـ

---

(١) منها ثلاث عشرة سنةً بمكةَ المكرمة ، وعشرٌ بالمدينة المنورة .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ من علقٍ اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الَّذِي عَلَّمَ بالقلم علَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يعلم** ﴾ وهذه السُّورةُ أول سورةٍ أنزلت من القرآن ، وأول ما نَزَلَ خمس آياتٍ من أوَّلِها إلى قوله تعالى : ﴿ **ما لم يعلم** ﴾ ، وأمَّا باقي السورة فنزل بعد ذَلِكَ بسنين ، وأول ما نَزَلَ بعد فترةِ الوحي سورةُ المدَّثِّر .

روى البخاري (٤) ومسلم (١٦١) عن جابر رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يحدِّثُ عن فترةِ الوحي -أي : عن احتباسه وعدم تتابُعِهِ وتواليه في النُّزُول- فقال لي في حديثه : فبينَما أنا أمشي ، فَسَمِعتُ صَوتاً من السماء ، فرفعتُ رأسِي ، فإذا المَلَكُ الَّذِي جاءني بِحِراءٍ جالساً على كُرْسِيٍّ بين السماءِ والأرض،=

﴿ **المدَّثِّر** ﴾[1] ، وبلَدُهُ مكة (وهاجر إلى المدينة) .

س٦٦ – بأيِّ شيءٍ بعثَهُ الله ؟

=فَجُئِثْتُ منه -أي : فزُعِبْتُ منه وفزعت- رعباً ، فقلت : زَمِّلوني زمِّلوني، فدثِّروني، فأنزل الله ﷻ :﴿ **ياأيها المدثِّر** ﴾ إلى ﴿ **والرُّجْزَ فَاهْجُر** ﴾ قال : ثُمَّ حَمِيَ الوَحيُ بَعدُ وتَتابَعَ ، أي : كَثُرَ نزوله وازداد بعد فَتْرَتِهِ .

وقد حُدِّدَتْ هذه الفترةُ في حديثٍ مرسلٍ رواه أحمد عن الشَّعْبيِّ بأنها كانت سنتين ونصفَ سنةٍ ، فإذا ضممنا مُدَّةَ فترةِ الوحي إلى مُـدَّةِ الرُّؤْيا الصَّالِحَة قبل نُبُوَّتِهِ ، كان مجموعها ثلاث سنين ، وهي مدةُ النُّبُوَّةِ التي لم يُؤْمَر فيها بالتبليغ ، ثُمَّ نَزَلَت : ﴿ **يا أَيُّهَا المدثِّر قُمْ فأنذِر** ﴾ فكان هذا أول ما تقلَّدَ مهمةَ التبليغ والرسالة ، فمَكَثَ على ذَلِكَ عشرين سنة ، نصفها في مكةَ ، ونصفُها في المدينة ، وبهذا يُجمع بين الروايات المختلفة في مُدَّةِ إقامته-ﷺ بمكةَ ، بعد الوحي ، وهي ثلاث عشرةَ سنةً إذا حُسِبَتْ مُدَّةُ النُّبُوَّةِ والرسالة ، وعشرٌ إذا حُسِبَتْ مُدَّةُ الرِّسالةِ وحدها ، والله أعلم (المختار ، ص ٣٨-٣٩) .

(١) **المُدَّثِّر** : أصله المتدَثِّرُ ، وهو الَّذي يتدثَّرُ في ثيابه ليَسْتَدْفِئَ بها ، وإنما سمَّاه الله تعالى (مُدَّثِّراً) لقوله ﷺ : "دثِّروني" ، ويُشيرُ المصنِّفُ بقوله : "نُبِّئَ بـ (اقرأ) وأُرسِلَ بـ (المدَّثِّر) إلى الفرق بين النُّبُوَّةِ والرِّسَالَة ؛ فالنَّبيُّ مَن أوحِيَ إليه و لم يُؤْمَر بالبَلاغِ ، والرَّسُولُ مَنْ أُوحِيَ إليه بِشَرْعٍ وأُمِرَ بتبليغه ، فالرَّسُول أَعَمُّ من النَّبيِّ ، وعلى ذلك : فكلُّ رسولٍ نبيٌّ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً ، وهذا هو القول المشهورُ عند العلماء .

والقول المختار في الفرق بين الرَّسول والنَّبيِّ : أَنَّ الرسولَ مَن أُوحِيَ إليه بشرعٍ جديدٍ ، والنَّبيُّ هو المبعوثُ لتقرير شرعِ مَن قَبْلَهُ ، وكُلٌّ من الرَّسُولِ والنَّبيِّ مأمورٌ بالتَّبليغ .

بعثهُ ا للهُ بالنِّذارةِ[1] عن الشِّرك ، وبالدعوةِ إلى التوحيد[2] .

س٦٧ – ما الدليلُ على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **يا أيُّها المدَّثِّر قُمْ[3] فأنذِرْ وربَّكَ فكَبِّرْ وثيابَكَ فَطَهِّرْ والرُّجْزَ فاهْجُر ولا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ[4] وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر[5]** ﴾ [من سورةِ المدَّثِّر : الآيات ١-٧] .

س٦٨ – ما معنى ﴿ قُم فأنْذِرْ ﴾ ؟

معناهُ : أَنذِر عن الشِّركِ ، وادْعُ إلى التَّوحيد .

---

(١) **النِّذارةُ والإنذار** : إخبارٌ فيه تخويفٌ ، كما أَنَّ التبشير : إخبارٌ فيه سرور .

(٢) قَالَ تَعَالَى : ﴿ **لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى ومَن حولَها وتُنذِرَ يومَ الجمْع** ﴾ [الشورى : ٧] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **لِتُنذِرَ قوماً ما أُنذِرَ آباؤهم** ﴾ [يس : ٦] .

(٣) خاطبَ ا للهُ نَبِيَّهُ محمداً ﷺ مُلَقِّباً إيَّاهُ بصفَتِهِ وهيئته التي كان عليها عند نزول الوحي فقال : ﴿ **يا أَيُّها المدَّثِّر** ﴾ تنبيهاً له أَنَّ هذا التَّدثُّر الَّذِي هو عنوان الرَّاحَةِ والدَّعَةِ أصبح لا يَتَّفِقُ والمهمَّة التي ستلقى على عاتِقِهِ ، ولذلك أُتْبِعَ هذا النِّدَاءَ بأمره بالقيام فقال : ﴿ **قُمْ** ﴾ من مَضْجَعِكَ ، وَأَلْقِ دِثَارَكَ ، وشَمِّر عن سَاعدِ الجِدِّ . وسيذكر المصنِّفُ تفسير بقيةِ الآيات .

(٤) قوله تعالى : ﴿ **ولا تَمْنُنْ تسْتَكْثِر** ﴾ يعني : لا تُعطِ مَالَكَ مصانعةً لِتُعْطَى أكثرَ مما أَعْطَيْتَ ؛ لأنَّك مَأمُورٌ بأَجَلِّ الأخلاق ، وأشرفِ الآداب ، وهذا قولُ أكثرِ المفسِّرين ، وقيل : لا تَمْنُنْ على الناسِ بما تُنْعِمُ عليهم وتعطيهم ؛ استكثاراً منك لتلك العَطِيَّةِ ، فَإِنَّ المنَّ يُحبطُ العمل .

(٥) ﴿ **ولِرَبِّكَ فاصْبِر** ﴾ أي : على طاعته وأوامره ونواهيه ، وعلى ما حُمِّلْتَ مِنْ أَمرٍ عظيم : اصْبِر لوجه ا للهِ وابتغاءَ ثوابه .

س٦٩ – ما معنى ﴿ وَرَبَّكَ فكَبِّر وَثِيابَكَ فطَهِّر ﴾ ؟

معناه : عَظِّمْ ربَّكَ بالتوحيد ، وَطَهِّرْ أعمالَكَ عن الشِّرك[1] .

---

(١) قال الإمام الطبري ١٤ : ٩-١٢ في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾
"اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :
١ – فقال بعضهم : معنى ذلك : لاتلبس ثيابك على معصية ، ولاعلى غدرة .
٢ – وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتلبس ثيابك من مكسب غير طيب .
٣ – وقال آخرون : بل معنى ذلك : أصلح عملك .
٤ – وقال آخرون : بل معنى ذلك : اغسلها بالماء وطهرها من النجاسة" .
ثم ذكر من قال ذلك ، ونسب القول الأخير إلى ابن سيرين وابن زيد ، وقال : "وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه ، والذي قاله ابن عباس وعكرمة وابن زكريا قولٌ عليه أكثر السلف من أنه عني به : جسمك فطهر من الذنوب ، والله أعلم" انتهى .
ورجَّحَ العلامة ابن القيم في "مدارج السالكين" ٢ : ٢٠ في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ قول قتادة ومجاهد : نفسك فطهر من الذنب ، فكنى عن النفس بالثوب . وهذا قول إبراهيم النخعي ، والضحاك ، والشعبي ، والزهري ، والمحققين من أهل التفسير" .
ثم قال : "ولاريب أن تطهيرها – أي : الثياب – من النجاسات وتقصيرها من جملة التطهير المأمور به ، إذ به تمام إصلاح الأعمال والأخلاق ؛ لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن ، ولذلك أُمر القائم بين يدي الله ﷻ بإزالتها والبُعْدِ عنها ... ، وبين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة وباطنة ، ويُؤَثِّرُ كُلٌّ منهما في الآخر ، ولهذا نهى عن لباس الحرير والذهب ، وجلود السباع ، لما تؤثر في القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع" انتهى .

س٧٠ – ما معنى ﴿ وَالرُّجْزَ فاهْجُر ﴾ ؟

معناه : اهجُر الأصنامَ(١) ، وَهَجْرُها : تركُها وأهلِها ، والبراءةُ

---

(١) **الرجز** : – بالكسر والضم – قراءتان صحيحتان ، قرأ حفص بالضم ، والأكثرون بالكسر ، وهما لغتان فصيحتان ، ويقال في المكسور : رِجْس ورِكْس أيضًا ، وقد ورد استعمال هذه المادة على وجهين : أحدهما أن تكون بمعنى القذر ، وهو كل مُسْتَفْحَشٍ تَنْبُو عنه العقول السليمة ، وتنفر منه الطباع الشريفة من النجاسة الحسية والمعنوية ، والإثم الظاهر والباطن ، ومن ذلك قوله تعالى في الخمر والميسر ولحم الخنزير إنه ﴿ **رجس** ﴾ .

الثاني : أن تكون بمعنى العذاب كما في قوله تعالى : ﴿ **فأرسلنا عليهم رِجزًا من السماء** ﴾ [الأعراف : ١٦٢] .

ويرجع إلى هذين المعنيين استعمالها في الشرك وعبادة الأوثان ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فزادتهم رجسًا إلى رجسهم** ﴾ [التوبة : ١٢٥] . وذلك أن الشرك قذر مَعْنَوِيّ وسبب في العذاب ، بل هو أول أنواع الرجز دخولاً في عموم لفظه عند إطلاقه ، ومن هنا فسره أبو سلمة في الآية بقوله : وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون . كما رواه البخاري في التفسير (٤٦٤٢) .

"ولايلزم من النهي عن الشيء سبق حصوله من المنهي عنه ، ولاتَوَقُّع حصوله منه ، ولذلك صَحَّ نَهْيُ نَبيِّه ﷺ عن هذه المناكير مع أنه نشأ مُبَرَّأً من النقائص الخِلْقِيَّة والخُلقية ، متحليًا بخصال الفطرة السليمة ، مُبَغَّضًا إليه الأوثان وأهلها . وإنما يراد من هذه النواهي ضَمُّ زواجر النص النقلي إلى ما هو مركوز في فطرته بالاجتهاد العقلي ؛ ليتطابق عنده الخُبْرُ والخَبَرُ ، ويشترك في حقه السمع والنَّظَر ، وبذلك يُثَبِّت الله فؤاده على أمره ، ولايقع منه إحجام أو تردد في الجهر برأيه والعمل به " (المختار ، ص ٥٠-٥١) .

منها وأهلِها[1] .

---

(١) قال الله سبحانه عن الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ياقوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين** ﴾ [الأنعام : ٧٨-٧٩] .

وقال سبحانه : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ [التوبة : ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ **قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾ [الشعراء : ٧٥-٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين** ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٧] .

وأمر الله خاتم أنبيائه أن يخاطب المشركين بقوله : ﴿ **أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل : لاأشهد ، قل : إنما هو إله واحد وإنني براء مما تشركون** ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وأمر الله المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم عليه السلام في البراءة من الكفر وأهله ، فقال سبحانه : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ [الممتحنة : ٤] .

س٧١ - كَمْ أخذَ على هَذَا ﷺ ؟

أخذَ على هَذَا عَشْر سنين ، أو ثلاثة عشر ، وقبل الهجرة بسنة عُـرِجَ بِـهِ إلى السـماءِ(١) ، وفُرِضَـتْ عليـه الصَّلَـواتُ الخمـس

---

(١) أسري بالنبي ﷺ مـن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثـم عُـرِجَ بـه إلى السموات العُلى ، إلى سِدْرَةِ المنتهى ، كما أخبر الله تعـالى في قولـه : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى** ﴾ [الإسراء : ١] .
وقال ﷻ : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً للنَّاسِ** ﴾ [الإسراء : ٦٠] .
قال ابن عباس : هي رؤيا عين أُرِيَها ليلة أُسري به لارؤيا منام . كما في صحيح البخاري في كتاب التفسير (٤٧١٦) .
قال الإمام أبو عمرو الداني في "الرسالة الوافية" ص : ١٠٠ : "ولو كـانت رؤيـا نوم على ما يذهب إليه طوائف من أهل البدع من المعتزلة وغيرهم ، لم تكن فتنـة للناس ، حتى ارتاب قوم ، وارتدَّ قوم عن الإسلام ، ولاكان فيها أيضًا دلالة علـى نبوته ﷺ ، ولاحجة على رسالته ، ولاكان الذين أنكروا ذلك من أهـل الشـرك يدفعونه عن صدقه في ذلك ، إذ غير منكر عندهم وعند كـل أحـد أنـه قـد يـرى الرائي في المنام ما على مسيرة سنة ، فضلاً عما هو مسيرة شهر ودونه . هـذا مـع دليل ظاهر النص المذكور الذي لاطريق للمجاز فيه على أنه ﷺ أُسْرِيَ بجسـده لابروحه دونه ، وهو قوله سبحانه : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ .
وتظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن الله تعالى أَسرى به علـى دابَّـة يقـال لها البراق ، والدَّوَابُّ لاتحمل الأرواح ، وإنما تحمل الأجسام .
وقال تعـالى : ﴿ **علَّمه** ﴾ أي : علَّـم محمدًا ﷺ ﴿ **شـديد القـوى** ﴾ أي : شـديد الخَلْـقِ ، يعـني جـبريل عليـه السـلام ، ﴿ **ذو مِـرَّة فاسـتوى** ﴾ أي :=

لَيْلَتَئِذٍ[1] ، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة المنوَّرَة .

فاعتدل =قائمًا ، يعني جبريل عليه السلام ، ﴿ **وهو بالأفق الأعلى** ﴾ يعني : وجبريل بالأفق الأعلى ... ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ أي : فتدلى جبريل بالوحي إلى محمد ﷺ . يعني : قرب ، ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ أي : قدر ذراعين ، ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ أي : فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ – ما أوحى إليه ربه عَزَّ وَجَلَّ – . وقيل : فأوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ ، ﴿ **ما كذب الفؤاد مارأى** ﴾ قال الحسن : ما كذب فؤاده مارأته عيناه ليلة أُسري به ، بل صدقه الفؤاد ، ﴿ **أفتمارونه على مايرى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ [النجم : ٥ – ١٥] . وأنه ﷺ رأى هناك الأنبياء عليهم السلام ؛ آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وإدريس ، وفُرِضَت عليه الصلوات الخمس ، وكلَّمه الله تعالى ، وأدخله الجنة ، وأَرَاه النار ، على ما تواترت به الأخبار ، وثبتت بنقله الآثار " انتهى .

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٦٧٤) ، قال ﷺ : ((ثم فرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعتُ فمررتُ على موسى ، فقال : بم أُمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جَرَّبْتُ النَّاس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فرجعت فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فرجعت فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى فَقَالَ مِثْلَهُ ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فَقَالَ مِثْلَهُ ، فرجعت فأُمِرْتُ بخمس صلوات كلَّ يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بِمَ أُمِرْتَ ؟ قلت : أُمِرْتُ بخمس صلوات كُلَّ يوم . قال : إنَّ أمتك لاتستطيع خمس=

س٧٢ – ما هِيَ الهجرة ؟

هِيَ الانتقالُ من بَلَدِ الشِّركِ إِلى بلـدِ الإسـلام[(١)] ، (ومـن بلـد

=صلوات كلَّ يوم ، وإني قد جَرَّبْتُ الناس قبلك وعالَجْتُ بَنِي إسـرائيل أشـدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتـك ، قـال : سـألت ربـي حتـى اسْتَحْيَيْتُ ، ولكن أرضى وأُسَلِّم . قال : فلما جـاوزت نـادى مُنَـادٍ : أمضيـتُ فريضتي ، وخَفَّفْتُ عن عبادي)) .

(١) قال الراغــب في "المفـرَدات" ص ٨٣٣ : "الهَجْـرُ والهِجْـران : مفارقـةُ الإنسـان غيره ، إما بالبدن ، أو باللسان ، أو بـالقلب ، والمهـاجرةُ في الأصـل : مُصَارَمـةُ الغير ومُتَارَكتُهُ ، من قوله عَزَّ وَجَلّ : ﴿ **والَّذينَ آمنوا وهـاجَروا وجـاهَدوا** ﴾ [الأنفال : ٧٤] ، ﴿ **ومن يَخْـرُج مـن بيتِـهِ مُهَـاجِراً إلى ا للهِ وَرَسُـولِهِ** ﴾ [النسـاء : ١٠٠] ، فالظَّاهر منه : الخروج من دارِ الكفر إلى دارِ الإيمان ، كمـن هـاجر مـن مكةَ إلى المدينة ، وقيل : مقتضى ذَلِـكَ هُجْـران الشـهواتِ والأخـلاق الذَّميمـة والخطايا وتركُها ورفضُها" انتهى .

قال ابن القيم في "مدارج السالِكين" في منزلـةِ الإحسـان ٢ : ٤٦٣ : "و للهِ علـى كُلِّ قلبٍ هجرَتان ، وهما فرضٌ لازمٌ له على الأنفاس : هجرةٌ إلى ا للهِ سُـبْحَانَهُ ؛ بالتوحيد والإخلاص ، والإنابة والحب ، والخوف والرجاء والعبودية .

وهجرةٌ إلى رسوله ﷺ ؛ بالتحكيم له والتسليم والتفويض ، والانقياد لحُكمه ، وتلَقِّي أحكام الظاهر والباطن من مِشْكاته ، فيكون تعبُّدُهُ بـه أعظـم مـن تعبُّدِ الرَّكْبِ بالدَّليل الماهر في ظُلَمِ الليل ، ومتاهات الطريق .

فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرَتان فَلْيَحْثُ علـى رأسـه الرَّمـاد ، ولـيُراجع أَصْـلَ الإيمان من أَصْلِه ، فيرجع وراءَهُ ليَقْتَبس نوراً قبل أن يُحالَ بينه وبينه ، ويُقال له ذَلِكَ على الصِّرَاطِ من وراء السُّور ، وا للهِ المستعان" اهـ . =

البدعةِ إلى بلد السُّنَّة)[1] .

س٧٣ – ما حكمُ الهجرة ؟

حكمُهَا : أنها فريضةٌ على هذه الأُمَّة من بلـد الشِّـرك إلى بلـد الإسلام[2] ، (ومن بلد البدعة التي يدعو أهلهـا إليهـا إلى بلـدِ

= وفي الحديث:((**والمهاجرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى ا للهُ عنه**))-أخرجه الخمسة إلاَّ الترمذي من حديثِ عبدا لله بن عمرو رَضِيَ ا للهُ عنْهُمَا – ، فـالهجرةُ لا يُحْـرِزُ فضلَهـا إلاَّ من أعرض بقلبه وجوارحه عن كُلِّ ما نهى ا لله عنه من ظاهر الإثم وباطنِهِ .

وإنما سكت في هذا الحديث عن هجرةِ المكان اتِّكالاً على علم السامعين بهـا ، أو تنبيهاً علـى أنهـا أهـون الهِجْرَتَـين عمـلاً ، علـى أَنَّ تعريـف الهجـرة يشـمل الهجرتين الحِسِّيَّة والمعنوية ؛ لأن كلمة : "ما نهـى ا لله عنـه" تتنـاول الإقامـةَ في دارِ الشِّركِ أيضاً ، وا لله أعلم .

قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري" ١ : ٣٩ : "فأصل الهجـرة : أن يهجـر ما نهاه ا لله عنه من المعاصي ، فيدخل في ذلك هجران بلد الشرك رغبـةً في دار الإسلام ، وإلا فمجرَّد هجرة بلد الشرك مع الإصرار على المعاصي ليس بهجرة تامَّةٍ كاملة ، بل الهجرة التامة الكاملة : هجران ما نهـى ا لله عنـه ، ومـن جملـة ذلك : هجران بلد الشرك مع القدرة عليه" انتهى .

(١) هذه زيادة من طبعة الأنصاري ليست في الأصول الأخرى المطبوعة .

(٢) وقد روى النسائي (٢٤٣٥) من طريق بَهْز بن حكيم بن معاوية عن أبيـه عـن جده – معاوية بن حَيْدَة القشيري ﷺ – مرفوعاً : ((لا يقبلُ ا لله مـن مشـركٍ بعدما أسلم عملاً ، أو يفارق المشركين)) ورواه أحمـد ٥ : ٤ ، والحـاكم ٤ : ٦٠٠ ، وصححه ووافقه الذهبي . =

=وروى أبو داود (٢٦٤٥) ، والترمذي (١٦٠٥) من حديث سمرة مرفوعاً : ((أنا بريءٌ من كُلِّ مسلمٍ يقيم بين أظهرِ المشركين)) .
وفي قصة جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يبايع ، فقلت : يارسول الله ، ابْسُط يَدَكَ حتى أُبَايعَكَ واشْتَرِط عَلَيَّ ، فأنت أعلم . فقال ﷺ : ((أبايعك على أن تعبد الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتيَ الزَّكاة ، وتناصح المسلمين ، وتفارق المشركين)) رواه النسائي (٤١٧٧) ، فألحق مُفارقة المشركين بأركان الإسلام ، ودعائمه العظام .
أما من أقام ببلاد الكفار رغبة واختيارًا لصحبتهم ، وموالاةً وحبًا لهم ، وانحيازًا إلى فئتهم، فيُعَدُّ مُواليًا لهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**لايَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**﴾ [آل عمران : ٢٨] .
قال ابن حزم في "المحلى" ١٣ : ٣١ : "من لحق بأرض الشرك بغير ضرورة فهو محارب ، هذا أقل أحواله إن سلم من الردة بنفس فراق جماعة الإسلام وانحيازه إلى أرض الشرك" .
ويقول أيضًا ١٣ : ١٣٩ : "وأما من فَرَّ إلى أرض الحرب لظلم خافه ، ولم يحارب المسلمين ، ولاأعانهم عليه ، ولم يجد في المسلمين من يُجيرُهُ ، فهذا لاشيء عليه ؛ لأنه مُضْطَرٌ مُكْرَه" انتهى .
وقال ابن رشد في "المقدمات" ٢ : ٦١٢ - ٦١٣ : "فَصْل : فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة على من أسلم ببلد الحرب أن يهاجر ، ويلحق بدار المسلمين ولايثوي حيث تجري علينا أحكامهم في تجارة أو غيرها . وقد كره مالك رحمه الله تعالى أن يسكن أحد ببلد يُسَبُّ فيه السلف ، فكيف ببلد يُكْفَرُ فيه بالرحمن ، وتُعْبَدُ فيه من دونه الأوثان ، ولاتَسْتَقِرُّ نَفسُ أحد على هذا إلا وهو مسلم سوء ، مريض الإيمان ..." انتهى . =

السُّنَّةِ)[1] ، وأنها باقيةٌ إلى أن تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها .

س٧٤ - ما الدليلُ على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أنفُسِهِم قَالوا فِيمَ كُنْتُم قَالوا كُنَّا مُسْتَضعَفِينَ في الأرض قَالوا أَلَمْ تكُنْ أرضُ الله واسعةً فَتُهَاجِروا فيها فَأُولَئِكَ مأوَاهُمْ جَهَنَّم وَسَاءَتْ مَصِيرا، إلاَّ المستضْعَفِينَ من الرِّجَالِ والنِّساءِ والوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعونَ حِيلَةً ولا يَهْتَدُونَ سَبِيلا** ﴾[2] [من سورةِ النساء : ٩٧-٩٨] .

= وللإمام أحمد بن بن يحيى الوَنْشَرِيسي التِّلِمْسَاني المتوفى سنة (٩١٤) جواب طويل في كتابه "المعيار المعرب" ٢: ١١٩-١٣٥ سماه "أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر" .

(١) زيادة ليست موجودة في الأصول المطبوعة .

(٢) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ توفَّاهُمُ الملائكة** ﴾ يعني : مَلَكَ الموت وأعوانَه ، والتَّوَفِّي : قبضُ الروح ﴿ **ظالِمِي أَنْفُسِهِم** ﴾ بالشِّرك أو بالمُقَام في دار الشِّرك ، أو بخروجهم مع المشركين يوم بدرٍ وتكثير سوادهم حتى قُتِلُوا معهم ﴿ **قالوا فيمَ كنتم** ﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿ **قالوا كُنَّا مستضعَفين** ﴾ عاجزين عن الهجرة ﴿ **قالوا** ﴾ أي : قال لهم الملائكة : ﴿ **أَلَمْ تكُنْ أرضُ الله واسعةً فَتُهاجِروا فيها** ﴾ أرادوا أنَّكُمْ كنتم قادِرين على الخروج من بين أظهُرِ المشركين في مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ، فأكْذَبَهُم الله في قولهم : كُنَّا مستضعَفين ، وأعلَمَنَا بكذبهم ﴿ **فأولئك** ﴾ يعني : مَنْ هذه صفتهم ﴿ **مأواهُمْ** ﴾ منزلهم ﴿ **جهَنَّم وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ أي : بئس المصير مصيرهم إلى جهنم . =

وقوله تعالى : ﴿ **يـا عِبَـاديَ الَّذِيـنَ آمَنُـوا إِنَّ أَرْضِـي وَاسِـعَةٌ فإيَّايَ فاعبُدون** ﴾ [من سورةِ العنكبوت ، الآية : ٥٦] .

- قال ابن كثير في تفسيره ١ : ٥١٤ : "هذه الآية الكريمة عامة في كل مـن أقـام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنًا مـن إقامـة الديـن ، فهو ظالم لنفسه ، مرتكب حرامًا بالإجماع" انتهى .

ثُمَّ استثنى الله سُبْحَانَهُ أصحابَ العُذر الَّذِيـنَ عِلِـمَ الله ضعفهـم منهـم فقـال : ﴿ **إلا المُسْتَضْعَفين** ﴾ استثناء منقطع ﴿ **مـن الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَالوِلْـدان لا يستطيعونَ حيلةً** ﴾ أي : لا يقدِرون على حيلةٍ ولا نفقـةٍ ، ولا قـوَّةَ لهـم علـى الخروج ؛ لفقرهم وعجزهم ﴿ **ولا يهتدون سبيلاً** ﴾ أي : ولا يعرفونَ طريقـاً يسلُكونه يوصلهم إلى مكان هجرتهم .

روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسـير (٤٣٢٢) عـن أبـي هريـرة ﷺ قال : بينا النبي ﷺ يصلي العشاء إذ قال : ((سمع الله لمن حمـده)) . ثـم قـال قبل أن يسجد : ((اللهم نَجِّ عيَّاش بن أبي ربيعة ، اللهم نَجِّ سلمة بـن هشـام ، اللهم نَجِّ الوليد بن الوليد ، اللهم نَجِّ المسـتضعفين مـن المؤمنـين ، اللهـم اشـدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها سنين كسِنِيْ يوسف)) انتهى .

وتتمـةُ الآيـات : ﴿ **فَـأُولئِكَ عَسَـى الله أَن يعْفُـوَ عَنْهُـم وَكَـانَ الله عَفُـوّاً غَفُوراً** ﴾ [النساء : ٩٩] أي : يتجاوز عنهم بفضله وإحسانه ، و﴿ **عسـى** ﴾ وإن كان للإطماع فهو من الله تعالى واجبٌ ؛ لأَنَّ الكريم إذا أطمع أنجز .

س٧٥ - مَا سَبَبُ نُزُولِ هَاتَيْنِ الآيَتين ؟

سببُ نزولِ الآيةِ الأولى[١] : أَنَّ قوماً من أهلِ مكة أسلَموا ، وتخلَّفوا عن الهجرة مَعَ رسول الله ﷺ ، وافتُتِنَ بعضهم ، وشَهِدُوا مَعَ المشركين حربَ يومِ بدر ، (فقُتِلُوا مع الكفار)[٢]، فأبى الله قَبول عُذْرِهِمْ ، فَجَازاهم جهنَّم[٣] .

وسببُ نزولِ الآية الثانية : أَنَّ قوماً من المسلمين كانوا بمكةَ لم يُهاجروا ، فناداهم الله باسمِ الإيمانِ[٤] ، وحضَّهُمْ على الهجرة.

---

(١) اقتصر صاحب المتن على سبب نزولِ الآيةِ الثانيةِ دون الأولى ، وعزاه إلى البغَوي .

(٢) زيادة من تفسير البغوي والخازن ١ : ٣٨٧ .

(٣) روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (٤٣٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين ، يكثِّرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ ، يأتي السهم فَيُرْمَى به ، فيُصِيبُ أحدهم فيقتله ، أو يُضْرَبُ فيُقْتَل ، فأنزل الله : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ...** ﴾ الآية .

(٤) فأفاد أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر ، لكنه عاص بتركها ، فهو مؤمن ناقص الإيمان ، عاص من عصاة الموحدين المؤمنين "حاشية ابن قاسم ص : ٨٥" .

س٧٦ – ما الدليل على بقاءِ الهجرة في الحديث ؟

قوله ﷺ : "لا تنقطعُ الهجرةُ حَتَّى تنقطعَ التَّوْبَةُ ، ولا تنقطعُ التوبةُ حَتَّى تطلُعَ الشمسُ من مغربها"(١) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١ : ١٩٢ ، وأبو داود (٢٤٧٩) في الجهاد ، من حديثِ معاويةَ بن أبي سفيان رضي الله عنه .

وروى النَّسائي٧ : ١٤٦ في كتاب البيعة (٤١٧٢) من حديثِ عبد الله بن واقد السَّعدي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تنقطعُ الهجرةُ ماقوتِلَ الكفَّار » أي : ما دام في الدنيا دارُ كفرٍ ، فالهجرةُ واجبةٌ منها على مَن أسلم ، وخُشِيَ عليه أن يُفْتَن عن دينه .

وأما قوله ﷺ : "لا هِجرةَ بعد الفتح" أي : فتح مكة ، رواه البخاري (٢٨٢٥) في كتابِ الجهاد ، ومسلم (١٣٥٣) في الإمارة من حديثِ ابن عباس .

قال الخطابي : "كانت الهِجرةُ فرضاً أول الإسلام على من أسلم ؛ لقلَّةِ المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلمَّا فتح الله مكةَ دخلَ الناسُ في دين الله أفواجاً ، فسقط فرضُ الهجرةِ إلى المدينة ، وبقي فرضُ الجهاد والنِّيَّة على من قام به أو نزل به عدو" .

وروى البخاري في كتاب "مناقب الأنصار" باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه (٣٩٠٠) عن عطاء بن أبي رباح قال : زُرْتُ عائشةَ مع عبيد بن عُمير الليثي ، فسألناها عن الهجرةِ فقالت : لا هجرةَ اليوم ، كان المؤمنون يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله تعالى ، وإلى رسوله مخافةَ أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، واليوم يعبد ربه حيثُ شاءَ ، ولكن جهادٌ ونِيَّة" .

قال الحافظ في "الفتح" ٧ : ٢٧٠ : "أشارت عائشةُ إلى بيان مشروعيَّة الهجرة ، وَأَنَّ سببها خوف الفتنة ، والحكم يدورُ مع علَّتِهِ ، فَمُقْتَضاه أَنَّ من قدر على=

س٧٧ – ما الَّذِي أُمِرَ ﷺ بِهِ بعد أن اسْتَقَرَّ بالمدينة ؟

أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ من الزكـاةِ[١] ، والصـومِ[٢] ، والحـجِّ[٣]،

=عبادة الله في أيِّ مَوضعٍ اتفق لم تجب عليه الهجرة منه ، وإلا وَجَبَتْ ، ومن ثَمَّ قال الماوردِيُّ : إذا قَدَرَ على إظهارِ الدين في بلدٍ من بلادِ الكفر فقد صارت البلد به دارَ إسلام ، فالإقامةُ فيها أفضل من الرحلة منها ؛ لِما يُتَرَجَّى من دخول غيره في الإسلام" انتهى .

(١) فرضت الزكاة في مكة المكرمة مطلقة أولاً ، وفي السنة الثانية من الهجرة حُدِّدَت الأنواع التي تجب فيها ، ومقدار النصاب في كُلٍّ . قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٣ : ٢٦٦ : "اختلف في أول فرض الزكاة ، فذهب الأكثرون إلى أنه قد وقع بعد الهجرة في السنة الثانية قبل فرض رمضان ، وادعى ابن خزيمة في صحيحه أن فرضها كان قبل الهجرة ، واحتج بقول جعفر للنجاشي : "ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام" . ويحمل على أنه كان يأمر بذلك في الجملة ، ولا يلزم أن يكون المراد هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول" ثم قال : "ومما يدل على أن فرض الزكاة وقع بعد الهجرة : اتفاقهم على أن صيام رمضان إنما فرض بعد الهجرة ؛ لأن الآية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف" .

(٢) فرض صيام رمضان في شعبان من السنة الثانية للهجرة ، فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسعة رمضانات .

(٣) اختلف في تحديد الزمن الذي شرع فيه الحج ، والمشهور أنه سنة ست ؛ لقوله تعالى ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، فإنها نزلت بالحديبية ، وكانت سنة ست . وقيل : إنه فرض سنة خمس ؛ لأن في حديث ضِمَام : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، قال : ((صدق)) . رواه مسلم في الإيمان (١٢) . وكان قدوم ضِمَام سنة خمس ، وقيل : إن قدومه سنة تسع . (هداية الناسك لابن جماعة ١ : ١٧٩ – ١٨٠) . =

والأذانِ(١) ، والجهاد(٢)، (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

= وقال طائفة من أهل العلم : إنه تأخر نزول فرضه إلى السنة التاسعة ، وصححه القاضي عياض والقرطبي ، وصَوَّبَهُ ابن القيم فقال في "زاد المعاد" ٢ : ١٠١ : "إن الحج فرض سنة تسع ، وإن آية فرضه وهي قوله تعالى ﴿ **و لله على الناس حِجُّ البيت** ﴾ نزلت عام الوفود ، أواخر سنة تسع ، وأنه ﷺ لم يؤخر الحج بعد فرضه عامًا واحداً ، وهذا هو اللائق بهديه وحاله ﷺ .

وكذا مما يحتج فيه لهذا القول أن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود سنة تسع ، وفيها ناظر أهل الكتاب ودعاهم إلى التوحيد والمباهلة ، وصالحهم على أداء الجزية ، والجزية إنما نزلت عام تبوك سنة تسع ، وفيها نزلت آية ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ [التوبة : ٢٨] ، ونزول هذه الآيات والمناداة بها إنما كان سنة تسع ، وبعث الصِّدِّيقَ رضي الله عنه يؤذن بذلك في موسم الحج ، وأردفه بعلي رضي الله عنه ، وحج رسول الله ﷺ بعد الهجرة حجة واحدة فقط سنة عشر .

(١) شرع الأذان بالمدينة في السنة الأولى من الهجرة على الأصح ، للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك . وقيل : إن الأذان شرع في السنة الثانية من الهجرة . وقيل : إنه شرع بمكة قبل الهجرة ، وهو بعيد لمعارضته للأحاديث الصحيحة .

(٢) وقد كان الجهاد قبل الهجرة غير مأذون فيه ؛ لأن النبيَّ ﷺ أُمر أول الأمر بالتبليغ والإنذار ، والصبر على أذى الكفار ، والصفح والإعراض عن المشركين . ثم أذن الله بعد الهجرة للمسلمين في القتال إذا ابتدأهم الكفار بالقتال ، وكان ذلك في آخر السنة الأولى من الهجرة . وذلك في قوله تعالى : ﴿ **أُذِنَ للّذين يُقَاتَلُون بأنّهم ظُلِمُوا** ﴾ [الحج : ٣٩] ، ثم شرع الله الابتداء بالقتال على الإطلاق بقوله : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالاً** ﴾ [التوبة : ٤١] ، وقوله : ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة** ﴾ [التوبة : ٣٦] . وتسمى هذه الآية : آية السيف . وقيل : هي قوله تعالى : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ [التوبة : ٥] .

وغير ذَلِكَ من شرائع الإسلام)[1] .

س٧٨ – كم أخذ على هَذَا ﷺ ؟

أخذَ على هَذَا عشرَ سنين ، وتوفي صلاةُ الله وسلامُه عليه[2]،

---

(١) سقطت من الأصل .

(٢) وكان ابتداء مرضه ﷺ في أواخر شهر صفر ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا في المشهور ، وخطب الناس في ابتداء مرضه كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : ((إن عبدًا خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الحياة الدنيا ماشاء ، وبين ما عنده ، فاختار ما عنده)) .

وكان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من مرضه : وجع رأسه مع حمى اشتدت به ﷺ ، ولم يُقبض ﷺ حتى خُيِّر مرة أخرى بين الدنيا والآخرة .

وكانت وفاته ﷺ في يوم الإثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول ، وكان قد كشف الستر ذلك اليوم والناس في صلاة الصبح خلف أبي بكر ، فَهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا من فرحهم برؤيته ﷺ حين نظروا إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ، وظنوا أنه يخرج إلى الصلاة ، فأشار إليهم : أن مكانكم ، ثم أرخى الستر ، وتوفي من ذلك اليوم عند ارتفاع الضحى في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هاجر إليها .

ولما توفي ﷺ اضطرب المسلمون ؛ فمنهم من دُهِشَ فخُولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكُلِّيَّة ، وقال : إنما بُعِثَ إليه كما بُعِثَ إلى موسى . وكان من هؤلاء عمر ، وبلغ الخبر أبا بكر ، فأقبل مسرعًا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله=

ودينُهُ باقٍ[1] .

=ﷺ مُسَجًّى ، فكشف عن وجهه الثوب ، وأَكَبَّ عليه ، وقَبَّل وَجْهَهُ مِرارًا وهو يبكي ، وهو يقول : وانبياه ! واخليلاه ! واصفياه! وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات واللهِ رسول الله ﷺ .

ثم دخل المسجد وعمر يكلم الناس ، وهم مجتمعون عليه ، فتكلم أبو بكر وتشهَّد وحمد الله ، فأقبل الناس إليه ، وتركوا عمر ، فقال : من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لايموت ، وتلا : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِن مَّاتَ أَو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ﴾ فاستيقن الناس كلهم بموته ، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل أن يتلوها أبو بكر ، فتلقاها الناس منه ، فما يُسمَع أحد إلا يتلوها .

روى البخاري (٤٤٦٢) عن أنس ﷺ : لما دُفِنَ رسول الله ﷺ قالت فاطمة عليها السلام : "كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب" ؟

قال أنس ﷺ : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، وما نفضنا أيدينا عن رسول الله ﷺ ، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . "لطائف المعارف" ، لابن رجب الحنبلي ص : ١٩١ - ٢١٦ .

(١) لأن رسالته ﷺ هي الرسالة الخاتمة العامة الباقية الخالدة ، وليست لأقوام معينين ، ولا لأزمنة خاصة . ولذلك تكفل الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم فقال ﷻ : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر : ٩] ، وهذا الحفظ يستلزم حفظ بيان هذا القرآن الكريم وهو السنة المطهرة ، قال تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه** ﴾ [القيامة : ١٧-١٩] . وقد أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يُبيِّن للناس ما نزل إليهم فقال : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ [النحل : ٤٤] . =

وهذا دينه : لا خَيْرَ إلاَّ دلَّ الأُمَّةَ عليه ، ولا شَرَّ إلاَّ حذَّرَها منه.

س٧٩ – ما الخيرُ الَّذِي دلَّ الأُمَّةَ عليه ؟ وما الشَّرُّ الَّذِي حذَّرَها عنه؟

الخيرُ الَّذِي دلَّ الأمَّةَ عليه: التوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ ا للهُ ويَرْضاه.

والشَّرُّ الَّذِي حذَّرَها عنه : الشِّرْكُ ، وجميعُ ما يكرهُ ا للهُ وَيَأْبَاه.

س٨٠ – هل بعثَهُ ا للهُ لقَبيلةٍ مَخْصُوصَةٍ أم لجميعِ الناس ؟

بَعَثَهُ ا للهُ إلى كَافَّةِ النَّاسِ ، وافترضَ طاعته على جَميعِ الثَّقَلَينِ : الجنِّ والإنس .

س٨١ – ما الدليل على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ يا أيُّها النَّاسُ إنِّي رَسُولُ ا للهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً** ﴾(١) [من سورةِ الأعراف ، الآية: ١٥٨] .

=وهذا الحفظ يستلزم أيضًا بقاء حملة الكتاب والسنة الذين يبلِّغون ذلك للأمة إلى يوم الدين ، كما جاء في الحديث الصحيح المتواتر عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : سمعت رسول ا لله ﷺ يقول : ((لايزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر ا لله وهم ظاهرون)) رواه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٩٢١).

وروى البخاري (٧٤٦٠) وغيره عن معاوية ﷺ قال : سمعت رسول ا لله ﷺ يقول : ((لاتزال طائفة من أمتي قائمة ، لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم حتى يأتيهم أمر ا لله وهم على ذلك)) .

(١) وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلاَّ كافَّةً للنَّاسِ بشيراً ونذيرا** ﴾ [سبأ : ٢٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وما أرْسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، =

وقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وإذْ صَرَفْنَا إليكَ نَفَراً من الجِنِّ﴾[1] [من سورة الأحقاف ، الآية : ٢٩] .

س٨٢ – هل أكملَ الله بهِ الدين أو كمُلَ بعده ؟

نعم ، أكمل الله بهِ الدين حَتَّى لا يُحتاجَ لشيءٍ من الدين بعده .

=وقال سُبْحَانَهُ : ﴿ **تباركَ الَّذِي نـزَّلَ الفرقانَ على عبده ليكونَ للعالَمين نذيرا** ﴾ [الفرقان : ١] ، وقال ﷻ : ﴿ **وأوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنذِرَكُمْ به ومن بلغ** ﴾ [الأنعام : ١٩] ، فهذه الآيات الكريمة صريحةٌ في عُمومِ رسالته ﷺ .

وفي الصحيحين والسنن عن جابرٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "أُعطِيتُ خمساً لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قبلي : كان كُلُّ نبيٍّ يُبعَثُ إلى قومه خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى كُلِّ أحمرَ وأسود)) . قال ابن الأثير في "جامع الأصول" ٨ : ٥٢٩ :"أراد بالأحمرِ والأسود جميعَ العالم ، فالأَسْودُ : معروفٌ ، وهم الحُبُوشُ والزُّنُوجُ وغيرهم ، والأَحْمَرُ : هو الأبيض ، والعرب تسَمِّي الأبيض أحمر" ا. هـ.

(١) قد ثَبتَ بلوغُ دعوته ﷺ إلى الجنِّ ، عن طريق توافدِهِم عليه واستماعهم إليه ﷺ ، وعن طريق ذهابه ﷺ وقراءته عليهم القرآن .

فيدخل في عموم بعثته إلى الناس كافَّة : الجِنُّ . قال الحافظ في "الفتح" : "وثبت التصريح بذلك في حديث : ((وكان النَّبيُّ يُبعثُ إلى قومِهِ ، وبُعِثْتُ إلى الإنسِ والجن" فيما أخرجه البَزَّار اهـ .

س٨٣ - ما الدليلُ على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عليكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكُمُ الإسلامَ دينا ﴾[1] [المائدة : ٣] .

---

(١) نَزَلَتْ هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة ، والنبيُّ ﷺ واقفٌ بعرفات ، وذلك في حَجَّةِ الوداع سنة عشرٍ من الهجرة .

روى البخاري في كتاب الإيمان (٤٥) ومسلمٌ في أول التفسير (٣٠١٧) عن طارق بن شهاب قال : جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين : آيةٌ في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا نزلت -معشرَ اليهود- لاتَّخذْنا ذَلِكَ اليوم عيداً ، قال : فأيُّ آيةٍ ؟ قال : ﴿ **اليومَ أَكْمَلتُ لَكُم دينكُم وأتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً** ﴾ فقال عمر : "إني لأعلم اليومَ الَّذِي نَزَلَتْ فيه ، والمكان الَّذِي نَزَلَتْ فيه ، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفاتٍ في يوم الجمعة" ، أشارَ عمر رضي الله عنه إلى أَنَّ ذَلِكَ اليوم يوم عيدٍ لنا .

ورُوِيَ أَنَّه لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية بكَى عمر ، فقال له النبي ﷺ : ما يُبكيكَ يا عمر ؟ فقال : أبْكاني أنَّا كُنَّا في زيادةٍ من ديننا ، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيءٌ إلاَّ نقص ، قال : صدقت ، فكانت هذه الآية نعيَ رسول الله ﷺ عاشَ بعدها واحدًا وثمانين يوماً ، ومات ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرةَ ليلة من ربيعٍ الأول سنة إحدى عشرةَ من الهجرة .

وقوله تعالى : ﴿ **اليومَ أكملتُ لكم دينَكم** ﴾ يعني : بالفرائض والسُّنَنِ والحدود والأحكام والحلال والحرام ، ولم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرامٌ ولا شيءٌ من الفرائض ، وإكمالُ الدين لهذه الأُمَّةِ يقتضي أنه لا يزول ولا يُنْسَخ ، وَأَنَّ شريعتهم باقيةٌ إلى يومِ القيامة ، والشرائع السابقة النازلة =

س٨٤ - ما الدليلُ على مَوْتِهِ ﷺ ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إنَّكَ ميِّتٌ وَإنَّهُمْ ميِّتون ثُمَّ إنَّكُمْ يَـومَ القيامـةِ عند ربِّكُمْ تختصِمون﴾(١) [من سورةِ الزمر ، الآيتان : ٣٠-٣١] .

=من عند الله كانت كاملـةً في وقـتِ التّعبُّدِ فيهـا ، ولكـن كمالها إلى وقـتٍ مخصوصٍ ، أما هذه الشريعة فهي آخرُ الشَّرائعِ ، وكَمَالُهَا باق إلى يوم القيامـة ﴿ وَأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي ﴾ بإكمال الدين والشريعةِ ؛ لأَنَّهُ لا نعمةَ أتم مـن الإسلام ﴿ وَرَضِيتُ لكم الإسلامَ ديناً ﴾ يعني : اخـترتُ لكـم الإسـلام دينـاً من بينِ الأديان ، بالصِّفَةِ التي هو اليوم بها ، وهي نهايةُ الكمـال ، وأنتـم الآن عليه ، فالزموه ولا تفارقوه "تفسير الخازن" ١ : ٤٢٨-٤٢٩ .

(١) فالموت مكتوب على كلِّ حَيٍّ من الأنبيـاء والرسـل وغـيرهم . قـال تعـالى لنبيـه ﷺ : ﴿ إنّـكَ مَيّـتٌ ﴾ أي : ستموت ﴿ وإنّهـم ميّتون ﴾ أي : سـيموتون ، وذلك أنهم كانوا يتربَّصون برسول الله ﷺ موته ، فأخبر أنَّ الموتَ يعُمُّهُمْ ، فـلا معنى للتربُّصِ ، وشَماتةِ الفاني بالفاني . وعن قتـادة : نعى إلى نبيِّـهِ ﷺ نفسـه ، ونَعَى إليكم أنفسكم ، أي : إنك وإيَّاهم وإن كنتم أحياءً فإنَّكُمْ في عِـدادِ الموتـى ﴿ ثمَّ إنكم عندَ ربِّكُمْ تختصِمون ﴾ أي : المحِقّ والمُبْطِل ، والظَّالم والمظلوم .

وقد ترجم البخاري في صحيحـه هـذه الآيـة في آخـر كتـاب المغـازي (٧٨) : باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، وقول الله تعالى : ﴿ إنَّكَ مَيِّت وَإنَّهُمْ مَيِّتُـونَ ، ثُمَّ إنَّكُمْ يومَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠-٣١] .

وقـال سبحانه : ﴿ وَمَـا جَعَلْنَـا لِبَشَـرٍ مِـنْ قَبْلِـكَ الخُلْـدَ ، أَفَإن مِـتَّ فَهُـمُ الخَـالِدُونَ ، كُـلُّ نَفْـسٍ ذَائِقَـةُ المَوتِ ، وَنَبْلُوكُـم بالشَّـرِّ وَالخَيرِ فِتْنَـة وَإلَيْنَـا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤ - ٣٥] . =

= وقال تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا ، وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

قال الحافظ في "الفتح" ٧ : ٧٥٢ : "وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة : أن أبا بكر مَرَّ بعمر وهو يقول : ما مات رسول الله ﷺ ، ولايموت حتى يقتل الله المنافقين ، وكانوا أظهروا الاستبشار ، ورفعوا رؤوسهم ، فقال : أيها الرجل ، إن رسول الله ﷺ قد مات ، ألم تسمع الله تعالى يقول : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ ، وقال تعالى ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ ، ثم أتى المنبر فصعد ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، فذكر خطبته .

ثم قال الحافظ ٧ : ٧٥٣ : "وفي الحديث قوة جأش أبي بكر وكثرة علمه ، وقد وافقه على ذلك العباس والمغيرة وابن أم مكتوم ، وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك . فيُؤخذ منه أن الأقل عددًا في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثر" انتهى .

وهو ﷺ - وإن مات - حَيٌّ في قبره حياة برزخية أعلى وأكمل من حياة الشهداء المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **ولاتحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ، بل أحياء عند ربهم يُرْزَقُون** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . والأنبياء أفضل من الشهداء ، والشهداء أحياء عند ربهم ، فدَلَّ ذلك على حياتهم عليهم السلام .

قال العلامة ابن القيم في كتاب "الروح" ص ١٢٠ نقلاً عن أبي عبد الله القرطبي : "صحَّ عن النبي ﷺ أن الأرض لاتأكل أجساد الأنبياء ، وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس ، وفي السماء ، وخصوصًا بموسى .

وقد أخبرنا بأنه : "ما من مسلم يسلم عليه إلا ردَّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام" رواه أبو داود (٢٠٤١) ، ورواته ثقات . إلى غير ذلك =

س٨٥ – هل يُبْعَثُ النَّاسُ بعد مَوْتِهِمْ أم لا ؟

نعم يُبعَثون ، لقوله تعالى : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾[1] [من سورةِ طه ، الآية : ٥٥] .

=مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غُيِّبوا عنا ، بحيث لاندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة ، فإنهم أحياء موجودون ولانراهم" .

وقال أيضًا ص ١٣٩ : "ومعلوم بالضرورة أن جسده ﷺ في الأرض طري مطري ، وقد سأله الصحابة : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ ؟ – أي : بَلِيتَ – فقال ﷺ : ((إن الله حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)) رواه أبو داود (١٠٤٧) انتهى .

قال الحافظ في "الفتح" ٦ : ٥٦١ : وقد جمع البيهقي كتابًا لطيفًا في "حياة الأنبياء في قبورهم" ، أورد فيه حديث أنس : ((الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)) ، وذكر الحافظ طرقه عند البيهقي وعند غيره ، وقال : "صححه البيهقي" انتهى .

وهي حياة أخروية لاتشبه الحياة الدنيا ، والله تعالى أعلم .

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **منها** ﴾ أي : من الأرض ﴿ **خلقْناكم** ﴾ أي : خلقْنا أباكم آدم ، أو لأنَّ النطفةَ من الأغذية وهي من الأرض ﴿ **وفيها نُعيدكم** ﴾ عند الموت والدَّفْنِ ﴿ **ومنها نُخْرجكم** ﴾ عند البعث ﴿ **تارةً أُخْرى** ﴾ مرَّةً أخرى ، والمراد بإخراجهم : أنَّه يؤلِّفُ أجزاءَهم المُتَفَرِّقَة المُخْتَلِطَة بالتراب ويردُّهم كما كانوا أحياءً .

وقوله تعالى : ﴿ وَا للهُ أنبَتَكُم مِّـنَ الأرضِ نَباتـا ثُـمَّ يُعيدُكُـمْ فيها وَيُخرِجُكُمْ إخْرَاجا ﴾(١) [من سورةِ نوح ، الآيتان : ١٧-١٨] .

س٨٦ – هل النَّاسُ مُحاسَبون وَمَجْزِيُّونَ بأَعْمَالِهم بعد البَعْثِ أم لا ؟

نعـم مُحَاسَـبونَ ومَجْزِيُّـونَ بأعمـالِهم ، بدليـلِ قولـه تعـالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلوا وَيَجْـزِيَ الَّذِيـنَ أَحْسَـنوا بالحُسْنى﴾(٢) [من سورةِ النجم ، الآية: ٣١] .

س٨٧ – ما حكمُ مَن كذَّبَ بالبعث ؟

حكمُهُ أنه كافرٌ ، بدليل قوله تعالى : ﴿ زَعَـمَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا أن لَّن يُّبْعَثوا قُلْ بَلَـى ورَبِّـي لَتُبْعَثُـنَّ ثُـمَّ لَتُنَبَّـؤُنَّ بِمـا عمِلتُـم وَذَلِكَ عَلَى ا للهِ يسير ﴾(٣) [من سورَةِ التغابن ، الآية : ٧] .

---

(١) قوله تعالى : ﴿ وا لله أنبتكم من الأرض نباتًا ﴾ أراد مبـدأ خلـق آدم ، وأصـل خلقه من الأرض ، والناس كلهم من ولده ﴿ نباتًا ﴾ فنبتُّم نباتًا عجيبًـا بقـدرة ا لله تعالى ، ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ أي : في الأرض بعد الموت ، ﴿ ويخرجكم ﴾ منها يوم البعث ﴿ إخراجًا ﴾ حقًا لا محالة بوقوعه .

(٢) قوله عَزَّ وَجَلّ : ﴿ ليجزِيَ الَّذِينَ أساؤُوا بِما عمِلوا ﴾ بسبب مـا عمِلـوا مـن السوء ، فيُجازي كُلَّ واحدٍ بمَـا يستحقه ﴿ ويجـزِيَ الَّذِيـنَ أحسَـنوا ﴾ أي : وحَّدُوا ربَّهُمْ وأطاعوه ﴿ بالحُسَنى ﴾ أي : بالمثُوبةِ الحسنى ، وهي الجنَّة .

(٣) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كفـروا ﴾ أي : أهـل مكـة ، والزَّعـم : حكايـةُ قولٍ يكون مَظِنَّةً للكذِب ، ولهذا جاء في القرآن في كُلِّ موضـعٍ ذمُّ القـائلين بـه=

=﴿ **أن لّن يُبعَثُوا** ﴾ أنهم لن يُبعَثـوا بعـد المـوت ﴿ **قُـلْ** ﴾ أي : قُـلْ لهـم يـا رسول الله ﴿ **بلَى وربِّي لَتُبْعَثُنّ** ﴾ أي : يومَ القيامـة ، وأَكّـدَ الإخبـار بـاليمين ﴿ **ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ** ﴾ أي : لَتُخبَرُنَّ ﴿ **بِما عملتم وذلـك** ﴾ أي : البعـث ﴿ **علـى الله يسير** ﴾ أي : هيِّن .

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقـوع المعـاد في ثلاثـة مواضع :

الأول : في سورة يونس في قوله تعالى : ﴿ **ويسـتنبئونك : أَحَقٌّ هُـو ؟ قـل : إي وربي إنّه لحقٌّ وما أنتم بمعجزين** ﴾ [يونس : ٥٣] .

الثـاني : في سـورة سبأ في قولـه تعـالى : ﴿ **وقـال الذيـن كفــروا : لاتأتينـا الساعة ، قل : بلى وربي لتأتِيَنّكُم** ﴾ [سبأ : ٣] .

الثالث : في سورة التغابن في قوله تعالى : ﴿ **زعم الذين كفروا أن لـن يبعثـوا ، قل : بلى وربي لتُبْعَثُنَّ ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير** ﴾ [التغابن : ٧] .

كما أقسم الله تعالى في مواضـع كثـيرة علـى وقـوع البعـث ، كقولـه تعـالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو ليَجْمَعَنّكُم إلى يوم القيامة لاريب فيه** ﴾ [النساء : ٨٦] .

فإنكار البعـث : يتضمـن إنكـار علـم الله تعـالى وقدرتـه وحكمتـه ، وإنكـاره تكذيب لظاهر الآيات القرآنية الصريحة في إثبات البعث ، وتكذيب لمـا اتفقـت عليه دعوة الرسل ، ونزلت به الكتب السماوية .

قال القاضي عياض في "الشفا" ٢ : ١٠٦٧ : "وكذلك نقطـع علـى كفـر مـن قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآبـاد في الأشـخاص ، وتعذيبهـا أو تنعيمهـا فيها ، بحسب زكائها وخبثها . وكذلك مـن أنكـر البعـث والحسـاب ... فهـو كافر بإجماع ؛ للنصِّ عليه ، وإجماع الأمة على نقله متواترًا" انتهى .

س٨٨ – بأيِّ شيءٍ أَرْسَلَ ا الله الرُّسُل ؟

أرسلهُمُ بالبِشارةِ لِمَنْ وحَّدَ ا الله بالجنَّةِ ، وبالنِّذارةِ لِمَنْ أشـركَ با للهِ بعذابِ النَّار .

س٨٩ – ما الدليل على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ ومُنذِريـنَ لئَـلاَّ يكـونَ للنَّـاسِ عَلَى ا اللهِ حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُل** ﴾(١) [النساء ، الآية : ١٦٥] .

س٩٠ – مَن أوَّلُ الرُّسل ؟

نوحٌ عليه السلام .

---

(١) قوله تعالى : ﴿ **رُسُلاً** ﴾ أي : أرسلنا رُسُلاً ﴿ **مبشِّـرين** ﴾ مَـن أطـاعَني واتَّبَـعَ أمري وصـدَّقَ رسُلِي بـالثواب الجزيـل في الجنـة ﴿ **ومُنذِريـن** ﴾ مَـن عصَـاني وخالفَ أمري وكذَّبَ رسُلي بالعذابِ الأليم في النار ﴿ **لِئلاَّ يكونَ للنَّاسِ على ا اللهِ حُجَّةٌ بعـد الرُّسُـل** ﴾ أي : لِئـلاَّ يحتـج النـاسُ علـى ا الله في تـركِ التوحيـد والطاعة بعدم بعثة الرسل فيقولوا : ما أرسلتَ إلينا رسولاً ، ومـا أنزلـت علينـا كتاباً ، فا للهُ سُبْحَانَهُ لا يعذِّبُ الخلقَ قبـل بعثـةِ الرسـل ، كمـا قـال سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا** ﴾ [الإسراء : ١٥] .

روى البخاري (٥٢٢٠) ومسـلمٌ (٢٧٦٠) عـن المغـيرةِ بـن شـعبةَ قـال ﷺ : ((ولا أحـد أحـبَّ إليـه العُـذْرُ مـن ا الله ، ومـن أجــل ذَلِـكَ بَعَـثَ المنذِريـن والمبشِّرين)) .

س٩١ – ما الدليلُ على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَّالنَّبِيِّينَ مِن بعدِه ﴾(١) [النساء ، الآية : ١٦٣] .

---

(١) قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ إنَّا أوحيْنا إليك ﴾ جوابٌ لأهلِ الكتابِ عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزِّلَ عليهم كتاباً من السماء جملةً واحدةً ، فأجابَ الله عَزَّ وَجَلّ عن سؤالهم بهذه الآية ، والمعنى : إنَّكُمْ يا معشرَ يهود تُقِرُّونَ بنبوَّةِ نوحٍ وبجميعِ الأنبياءِ المذكورين في هذه الآية ، وهم اثنا عشر نَبِيّاً ، فأنتم معترفونَ بهؤلاء الأنبياء ، وما أنزل الله على أحدٍ من هؤلاءِ المذكورين كتاباً جملةً واحدةً مثل ما أنزل الله على موسى ، فلمَّا لم يكن عدمُ إنزالِ الكتاب جملةً واحدةً على أحدِ هؤلاء الأنبياء قادِحاً في نبوته ، فكذلك لم يكن إنزالُ القرآن جملةً واحدةً على محمدٍ ﷺ قادِحاً في نبوته .

﴿ كما أوحيْنا إلى نوحٍ ﴾ وإنما بدأ الله عَزَّ وَجَلّ بذِكْرِ نوحٍ عليه السلام ؛ لأَنَّهُ أولُ رسولٍ من أولي العزم ، وكان أولَ مَن عُذِّبَتْ أُمَّتُهُ لردِّهِمْ دعوتَه ، وأُهْلِكَ أهلُ الأرضِ بِدُعائِهِ ، وكان أطْوَلَ الأنبياء عمُراً ، وصبرَ على أذَى قومه طولَ عمره .

ومما يدلُّ على أنه أول الرسل إلى أهل الأرض ، ما جاء في صحيح البخاري (٣٣٤٠) من حديث الشفاعة ، وطلب الناس من بعض الرسل أن يشفعوا لهم ليريحوهم من طول الموقف : ((فيأتون نوحًا ، فيقولون : يانوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسَمَّاك الله عبدًا شكورًا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل)) .

فكون نوح عليه السلام أوَّلَ الرسل إلى أهل الأرض محمول على أنه أول الرسل=

=من أولي العزم ، أو أول الرسل من أصحاب الرسالات الكبرى ذات الشمول الواسع ، أو أنه أول رسول بعد الطوفان ؛ لأنه بعد الطوفان لم يبق على وجه الأرض إلا قوم نوح ، فكانت رسالته عامة لأهل الأرض إذ ذاك وهم قومه .

ومن المعلوم : أن آدم أبا البشر هو أول نبي بعثه الله إلى أولاده ، فعلمهم دين الله ، وجاءت أجيال بعدهم على الإيمان والتوحيد ، ثم طرأ عليهم الشرك والكفر ، فبعث الله نوحًا عليه السلام نبيًا ورسولاً ليدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده .

روى الحافظ ابن حبان في صحيحه ١٤ : ٦٩ (٦١٩٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال : يارسول الله ، أنبي كان آدم ؟ قال : نعم ، مكلّم ، قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة قرون .

قال ابن كثير : وسند هذا الحديث على شرط مسلم ولم يخرجه .

وفي مستدرك الحاكم ٢ : ٤٨٠ (٣٦٥٤) عن ابن عباس قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلُّهم على شريعة من الحق .

والمراد بالقرن : الجيل من الناس أو الأمة فيهم ، وهذه القرون العشرة قد كانت على الإسلام الذي تلقوه عن أبيهم آدم عليه السلام ؛ إذ هو نَبيٌّ مُكَلَّم ، وقد بَلَّغَ بَنِيه رِسَالَة ربه ، ومنهاج دِينِه ، فهو رسول الله إليهم ؛ إذ هم أمة ، ويدخلون في عموم قول الله عز وجل : ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر : ٢٤] . وعموم قوله سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل : ٣٦] .

ومما يدل على بعثة الرسل والنبيين قبل نوح عليه السلام قوله تعالى : ﴿ **وقَوْمَ نُوحٍ لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابًا أليماً** ﴾ [الفرقان : ٣٧] . فقول الله سبحانه : ﴿ **لما كَذَّبُوا الرسل** ﴾ يدل ظاهره على وجود رسل تواردوا على جماعات من الناس كانوا في آخر الأمر هم قوم نوح.=

س٩٢ - هل بَقِيَتْ أمَّةٌ لَم يَبْعَثِ الله لها رَسُولاً يأمرُهُمْ بعبادةِ الله واجْتِنَابِ الطَّاغُوت ؟

لَمْ تبقَ أمَّةٌ إلاَّ بعث إليها رسولاً (يأمرهم بعبادةِ الله وحده ، وينهاهم عن عبادةِ الطاغوت)[1] بدليل قوله تعالى: ﴿ **ولقدْ بعَثْنا في كلِّ أُمَّةٍ رَّسولاً أنِ اعبُدوا الله وَاجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ**﴾[2] .

س٩٣ - ما هو الطَّاغُوتُ ؟

هُوَ ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حَدَّهُ من معبودٍ ، أو مَتْبُوعٍ ، أو مُطَاعٍ[3].

= فلا تعارض بين هذه الدلالات، وبين ما استدل به المصنف أن نوحًا أول الرسل، وبين حديث الشفاعة السابق ذكره ، فالأنبياء والمرسلون قبل نوح عليه السلام لم يكن لهم صفة رسالة كبرى ذات شمول واسع كنوح الذي جاء بعد ذلك ، فكان أول الرسل من أولي العزم ، وأول الرسل أصحاب الرسالات الكبرى" . وينظر : "نوح عليه السلام وقومه في القرآن" ، للأستاذ الميداني ص ٣٥٥-٣٥٩ .

(١) زيادة من الأصل .

(٢) قوله عَزَّ وَجَلّ : ﴿ **ولقد بَعَثنا في كُلِّ أمَّةِ رسولا** ﴾ أي : كما بعثنا فيكم محمَّداً ﷺ رسولاً ﴿ **أنِ اعبُدُوا الله**﴾ أي : وحِّدوه ﴿ **واجْتنِبوا الطَّاغوت** ﴾ وهو اسمُ كُلِّ معبودٍ من دونِ الله .

(٣) قال الإمام الطبري في "جامع البيان" ٥ : ٤١٦-٤١٩ : "اختلف أهلُ التأويلِ في معنى الطاغوت . =

س٩٤ - كم عدد الطَّواغيت ؟

كثيرون ورؤوسهم خمسة(١) :

= ١ - فقال بعضهم : هو الشيطان .
٢ - وقال آخَرون : الطاغوتُ هو السَّاحر .
٣ - وقال آخَرون : بل الطاغوت هو الكاهن .
ثُمَّ قال بعد أن ذَكَرَ مَن قال ذَلِكَ من السلف : "والصوابُ من القولِ عندي في الطاغوتِ : أنه كُلُّ ذي طُغْيانٍ على الله ، فعُبِدَ مِن دونه ، إمَّا بقهرٍ لمن عبَدَهُ ، وإما بطاعةٍ ممن عبده له ، إنساناً كان ذَلِكَ المعبود ، أو شيطاناً ، أو وَثَناً ، أو صنَماً ، أو كائناً ما كان من شيء .
وأرى أَنَّ أصل "الطَّاغوت" : الطَّغَووت ، من قولِ القائل : "طغا فلانٌ يطغو" إذ عدا قدْره ، فتجاوزَ حدَّه ، كـ : "الجبروت" من التجبُّر ، و "الخَلَبوت" من "الخلْب" (وهو المخادع الكذوب) ، ونحو ذَلِكَ من الأسماء التي تأتي على تقدير "فعَلوت" بزيادةِ الواو والتاء ، ثُمَّ نُقِلَتْ لامُهُ -أعني لام "الطَّغَووت"- فجُعلَتْ له عيناً ، وحُوِّلَت عينُهُ فجُعلت مكان لامِهِ ، كما قيل : جَذَبَ وَجَبَذَ ، وجَاذَبَ وجَابَذَ ، وصَاعِقَةِ وصَاقِعَة ، وما أشبه ذَلِكَ من الأسماء التي على هذا المثال" انتهى .

(١) قال ابن القيم في "طريق الهجرتين" ص٥٦٤ : "رؤساء الكفر وأئمته ودعاته : الذين كفروا وصَدُّوا عباد الله عن الإيمان ، وعن الدخول في دينه رغبة ورهبة ، فهؤلاء عذابهم مضاعف ، ولهم عذابان : عذاب بالكفر ، وعذاب بصدِّ الناس عن الدخول في الإيمان .
قال الله تعالى : ﴿ **الذين كفروا وصَدُّواعن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق**=

١ – إبليس لعنه الله(١) .

= **العذاب**﴾ [النحل : ٨٨] . فأحد العذابين بكفرهم، والعذاب الآخر بصدهم عن سبيل الله .

وقد استقرَّت حكمة الله وعدله أن يجعل على الداعي إلى الضلال مثل آثام من اتبعه واستجاب له ، ولارَيْبَ أن عذاب هذا يتضاعف بحسب من اتبعه وضَلَّ به . والمقصود : أنهم استحقوا أشدَّ العذاب ؛ لغِلَظِ كُفْرِهم ، وصدهم عن سبيل الله ، وعقوبتهم من آمن بالله . فليس عذاب الرؤساء في النار كعذاب أتباعهم ، ولهذا كان في كتاب النبي ﷺ لهرقل : ((فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين)) وهم الأتباع .

ولهذا كان عدو الله إبليس أَشَدَّ أهل النار عذابًا ، وهو أول من يُكْسَى حلة من النار ؛ لأنه إمام كل كفر وشرك وشر ، فما عُصِيَ الله إلا على يديه وبسببه ، ثم الأمثل فالأمثل من نُوَّابِهِ في الأرض ودعاته" انتهى .

(١) قال الطبَري في تفسيره ١ : ٥٠٩ "إبليس (إفعيل) ، من الإبْلاس ، وهو الإياس من الخَير والنَّدمُ والحزن ، عن ابن عباسٍ قال : إبليس أَبْلَسَهُ الله من الخير كلِّه ، وجَعَلَه شَيطاناً رجيماً عقوبةً لمعصيته ، وكما قال الله جلَّ ثناؤه : ﴿ **فَإِذَا هُمْ مُبلِسون** ﴾ [الأنعام : ٤٤] يعني : أَنَّهم آيسون من الخير ، نادِمون حزناً" انتهى .

وقد تكرر ذِكْرُهُ بهذا اللفظ في (١١) موضعاً من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صدَّقَ عليهم إبليسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوه إلاَّ فريقاً من المؤمِنِين** ﴾ [سبأ : ٢٠] .

وورد ذِكرُهُ بلفظ الشيطان في (٧٠) موضعاً من القرآن الكريم ، وقد بيَّن الله سُبْحَانَهُ لنا عداوته فقال : ﴿ **إنَّ الشَّيطانَ للإنسان عدُوٌّ مبين** ﴾ [يوسف : ٥] ، وأَمَرَنا بمُعاداته بقوله : ﴿ **إنَّ الشَّيطان لكم عدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عدُوّا** ﴾ [فاطر : ٦] ، وحذَّرَنَا من عبادته : ﴿ **أَلَمْ أعهدْ إليكم يا بَني آدمَ ألاَّ تعبُدوا الشَّيطانَ إنه**=

٢ – ومَن عُبِدَ وهو راضٍ(١) .

=**لكم عدُوٌّ مبين ﴾** [يس : ٦٠] .

قال الراغب في "المفردات" ص ٤٥٤ : "الشيطان : النونُ فيه أصليةٌ وهو من شَطَنَ أي : تَبَاعَدَ ، وقيل : بل النون فيه زائدةٌ من شاط يشيط : احترقَ غضباً ، فالشيطانُ مخلوقٌ من نارٍ ، ولكونه من ذَلِكَ اختصَّ بِفَرْطِ القوَّةِ الغضَبيَّةِ والحميَّةِ الذَّميمة ، وامتَنَعَ من السجودِ لآدم" انتهى .

(١) قوله : (وهو راض) قيدٌ لإخراج مَنْ عُبِدَ من دون الله سبحانه ، وهو كارهٌ غَير رَاضٍ ، كعُزَير وعِيسَى ، والملائكة عليهم السلام .

قال الله سبحانه في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ **وإذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ : أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَينِ مِنْ دُون اللهِ ؟ قَالَ : سُبْحَانَكَ ! مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بحَقٍّ ، إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا في نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا في نَفْسِكَ إنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَن اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُم** ﴾ [المائدة : ١١٦-١١٧] .

وقال الله سبحانه في شأن الملائكة عليهم السلام : ﴿ **ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك ! أَنْتَ وَلِيُّنَا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجنَّ أَكْثَرُهُمْ بهم مؤمنون** ﴾ [سبأ : ٤٠-٤١] .

وخاطب الله سبحانه المشركين بقوله : ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جَهَنَّم** – أي : حطبها ووقودها – **أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة** – أي : الأصنام – **ما وردوها وكل فيها خالدون** ﴾ ، ثم قال سبحانه : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ سَبَقَت لَهُم منَّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ، لايَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٢] .

قال أكثر المفسرين : عنى بذلك كل من عُبِدَ من دون الله ، وهو لله عز وجل طَائِعٌ ، ولعبادة من يعبده من دون الله كَارِهٌ .

٣ – ومَن دعا الناسَ إلى عبادةِ نفسه[١] .

٤ – ومَن ادَّعَى شيئاً من علمِ الغيب[٢] .

---

(١) كفرعون الذي قال لقومه : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ [النازعات : ٢٤] ، وقال : ﴿ **ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ [القصص : ٣٨] ، وقال : ﴿ **ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾ [غافر : ٢٩] .
قال ابن القيم في "طريق الهجرتين" ص ٥٦٥ : "ولهذا كان فرعون وقومه في أشد العذاب ، كما قال سبحانه في حقهم : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيًا ، وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ** ﴾ [غافر : ٤٦] .
وهذا تنبيه على أن فرعون نفسه في الأَشَدِّ من ذلك ؛ لأنهم إنما دخلوا أشد العذاب تبعًا له ، فإنه هو الذي استخفَّهم فأطاعوه ، وغرَّهم فاتَّبعوه . ولهذا كان يوم القيامة إمامهم وفرطهم – الذي يتقدَّمهم – في هذا الورد . قال تعالى : ﴿ **يَقْدُمُ قومه يومَ القيامة فأوردهم النار** ﴾ [هود : ٩٨] . انتهى .
وصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال : ((من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل أوزار من تبعه ، لاينقص من أوزارهم شيئًا)) .

(٢) كالكاهنِ الَّذِي يدَّعِي علمَ الغيب ، والإخبارَ عن الأحوال الماضية ، وكذلك العرَّاف والمنجِّم الذي يخبر بالأحوال المستقبلة ؛ لأنَّ الغيب مما استاثر ا لله تعالى بعلمه ، فلا يعلمه إلاَّ هو سُبْحَانَهُ ، ومن ارتضى من رسول يُعَلِّمُه منه ما يشاء وَفْقَ الحكمةِ الإلهية ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ لا يعلمُ من في السَّموات والأرضِ الغيبَ إلاَّ ا للهُ** ﴾ [النمل : ٦٥] ، ﴿ **وعندَهُ مفاتِحُ الغيبِ لا يعلمُها إلاَّ هو** ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، وقَالَ تَعَالَى لرسولِهِ الكريم ﷺ : ﴿ **قُلْ لا أملِكُ لنفسي نفعاً ولا ضَرّاً إلاَّ ما شاءَ ا للهُ ولو كُنْتُ أَعْلَمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مسَّنِيَ السُّوء إنْ أنا إلاَّ نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يؤمنون** ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ،=

=وقال سُبْحَانَهُ : ﴿ **عالِمُ الغيبِ فلا يُظْهِرُ على غيبه أحداً ، إلاّ من ارْتَضَى من رسول** ﴾ [الجن : ٢٦-٢٧] وقال تعالى : ﴿ **وما كان ا لله لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيبِ ولكنَّ ا لله يَجْتَبي من رسُلِهِ من يشاء** ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

فلا سبيلَ إلى علم الغيب إلاّ بإخبار ا لله تعالى ، ولا يصل إلى علمه عن ا لله تعالى أحدٌ غير الأنبياء ، والمراد بالعلم : الجزم الّذِي لا يتطرَّق إليه شكٌّ ولا خطأ .

روى أحمد ٢ : ٥ والبخاري (٩٩٢) عن ابن عمر أَنَّ رسول ا لله ﷺ قال : "مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاّ ا لله تعالى : لا يعلم أحدٌ ما يكون في غدٍ إلاّ ا لله تعالى ، ولا يعلمُ أحدٌ ما يكون في الأرحامِ إلاّ ا لله تعالى ، ولا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعةُ إلاّ ا لله تعالى ، ولا تَدْري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إلاّ ا لله تعالى ، ولا يَدْري أحدٌ متى يجيء المطرُ إلاّ ا لله تعالى" .

وهؤلاء الخمس هُنَّ مفاتيح الغيب ، لا على معنى أَنَّ الغيبَ محصورٌ فيهنَّ ، فقد صرَّحَ القرآن بغيرهن في مواطن كثيرة ، مثل معرفة حقيقة الروح ، وتفصيل بَدْءِ الخلق : ﴿ **مَا أَشْهَدتُهُمْ خلقَ السَّموات والأرضَ ولا خلقَ أنفسهم** ﴾ [الكهف : ٥١] ، وتفصيل النشأةِ الآخرة : ﴿ **ونُنشِئَكُمْ فيما لا تعلمون** ﴾ [الواقعة : ٦١] إلى غير ذلك .

أمَّا مَا تَذْكُرُهُ هيئاتُ الأرصادِ الجوِّيةِ من احتمالاتِ سقوط الأمطار ، والمدِّ والجزر ، ومايَتعَلَّق بذلك ، فلا تَدْخُلُ في الغيب ؛ لأنَّها مبنيَّةٌ على أمورٍ مُشَاهَدةٍ ، تترتَّبُ عليها آثَارُهَا وَفْقَ سُنَنِ ا لله تعالى .

ومما يُذْكَرُ هنا أيضاً أَنَّ قوله تعالى : ﴿ **ويعلمُ ما في الأرحام** ﴾ [لقمان : ٣٤] لا يَقْتَصِرُ على معرفةِ الجنين في الرَّحِمِ أذَكَرٌ أم أُنثى ؛ لأنَّ (ما) من ألفاظ العموم ، فهي تشملُ الذكورة والأنوثة ، والصحةَ والمرض ، والقوَّةَ والضعف ، والذكاء والغباء ، والسعادةَ والشقاء ... إلى غير ذَلِكَ مما لا يعلمه إلاّ ا لله وحده .

٥ – ومَن حكَمَ بغيرِ ما أنزلَ الله[١] .

(١) وقد سمى الله تعالى الحكم بغير شرعه طاغوتًا ، فقال سبحانه : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنْزِلَ إليكَ وما أنزل من قَبْلِك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمِرُوا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلَّهم ضلالاً بعيدًا** ﴾ [النساء : ٦٠] .

وعبادة الله سبحانه تقتضي إفراده ﷻ بالتحليل والتحريم ، وإفراده بالطاعة والانقياد لشرعه .

قال سبحانه : ﴿ **اتَّخَذُوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيحَ ابن مريم ، وما أُمِرُوا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عَمَّا يشركون** ﴾ [التوبة : ٣١] .

روى الترمذي (٣٠٩٥) عن عدي بن حاتم قال : أتيتُ النبيَ ﷺ وهو يقرأ سورة براءة ﴿ **اتّخذوا أحبارهم ...** ﴾ فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : ((بلى ، إنهم حَرَّمُوا عليهم الحلال ، وأَحَلُّوا لهم الحرام ، فاتَّبَعُوهم ، فذلك عبادتهم إيَّاهم)) .

وقد بَيَّن سبحانه منزلة تحكيم شرع الله تعالى من الإيمان ، قال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فَرُدُّوهُ إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقال ﷻ : ﴿ **إنما كان قولَ المؤمنينَ إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكُمَ بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ [النور : ٥١] .

وقال عز من قائل : ﴿ **وما كان لمؤمنٍ ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمرهم ، ومن يعصِ اللهَ ورسولَهُ فقد ضل ضلالاً مبينًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

=

=وهذه الآيات المحكمات غنية عن أيِّ شرح وتفسير ، فهي واضحة الدلالة على أن الإذعان لحكم الله ورسوله جزء لا يتجزأ من الإيمان ، وقد أقسم الله سبحانه على نفي الإيمان عن كل من لم يُحَكِّم رسول الله ﷺ مع الرضا والقبول والتسليم . فقال سبحانه : ﴿ **فلا وربِّك لايؤمنون حتى يحكِّمُوك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقد سمى الله تعالى الذين يحكمون بغير شرعه كفارًا وظالمين وفاسقين . فقال سبحانه : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [المائدة : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ [المائدة : ٤٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [المائدة : ٤٧] .

وهذه الآيات نزلت في أهل التوراة والإنجيل كما تدل على ذلك أسباب النزول ، والسياق نفسه ، ولكن خواتيم الآيات ﴿ **ومن لم يحكم** ... ﴾ جاءت بصيغة العموم ، فالعبرة بعموم اللفظ ، ولايجوز قصر أحكامها على غير المسلمين من أهل الكتاب .

ومما يجدر التنبيه إليه ضرورة التفريق بين من لم يحكم بما أنزل الله وينحرف أو يجور في بعض الأحكام والأمور الجزئية ؛ بحكم الضعف أو اتباع الهوى ، فلا يجوز المسارعة إلى تكفيره .

قال القرطبي في تفسيره ٦ : ١٩ : "إن حكم به - أي : بغير ما أنزل الله - هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين" .

وهذا كما قال ابن عباس : "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ، إنه ليس بكفر ينقل عن الملة ، كفر دون كفر" أخرجه الحاكم ٢ : ٣١٣ ، وقال : صحيح الإسناد .=

= وقال عطاء : "كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق" .
وأما من رفض تحكيم شرع ا لله وقدَّم عليه أحكام البشر وقوانينهم فقد كفر كما جاء في رواية لابن عباس : "من جحد ما أنزل ا لله فقد كفر" وهو اختيار ابن جرير في تفسيره ٦ : ١٤٩ .
قال ابن الجوزي في "زاد المسير" ٢ : ٣٦٦ : "وفصل الخطاب : أن من لم يحكم بما أنزل ا لله جاحدًا له ، وهو يعلم أن ا لله أنزله - كما فعلت اليهود - فهو كافر ، ومن لم يحكم به مَيْلاً إلى الهوى من غير جحود ، فهو ظالم وفاسق" انتهى .
على أن اتصاف الإنسان بالظلم والفسوق ليس هينًا يستخف به ، بل الظلم والفسوق من أَشَدِّ ما يحذره المسلم ، كيف لا ، وقد قال سبحانه : ﴿ **وا لله لايحب الظالمين** ﴾ [آل عمران : ٥٧] ، و ﴿ **إن ا لله لايحب الظالمين** ﴾ [المائدة : ٥١] ، و ﴿ **إنه لايفلح الظالمون** ﴾ [يوسف : ٢٣] و ﴿ **إن ا لله لايهدي القوم الفاسقين** ﴾ [المنافقون : ٦] ، و ﴿ **بئس الاسمُ الفسوق بعد الإيمان** ﴾ [الحجرات : ١١] .
والحكم بغير ما أنزل ا لله ليس فسق ساعة ، ولاظلم يوم ، بل ظلم وفسق مستمر دائم بدوام الحكم بغير ما أنزل ا لله .
ولا بد من التذكير أيضًا بأن الكفر والفسق والظلم ينقسم إلى قسمين : كفر وفسق وظلم يُخرج من الملة ، وكل ذلك يعود إلى الاستحلال القلبي ، وآخر لا يخرج من الملة يعود إلى الاستحلال العملي .
ويلحق بالجحود : إذا فَضَّل حكم الطاغوت على حكم ا لله تعالى ، أو سنَّ تشريعًا يناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، أو استخَفَّ واستهان بحكم ا لله تعالى ، فهو كفر مُخرج من الملة ، قال تعالى :﴿... **قُلْ أَبا للهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِؤُونَ ، لاتَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُم** ﴾ [التوبة : ٦٥-٦٦] ،=

س٩٥ – ما الدليلُ على ذلك ؟

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لا إِكْراهَ في الدِّينِ قَدْ تبيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فمن يَّكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤْمِن بـا للهِ فقـدِ اسْتَمْسَكَ بـالعُروَةِ الوُثقَى لا انفِصَامَ لَهَا وا للهُ سميعٌ عَليم ﴾[1] [البقرة ، الآية : ٢٥٦].

=وكذلك من ساوى بين الحكم الإلهي والحكم الوضعي ، واعتقد التماثل بينهما ، فذلك كفر مخرج من الملة ؛ لأنه تسوية بين حكم ا لله وحكم البشر . وا لله تعالى أعلم .

(١) قوله تعالى : ﴿ **لا إكراهَ في الدين** ﴾ أي : لا إكراهَ في الدين لأحدٍ ممن حلَّ قبولُ الجزية منه بأدائه الجزيةَ ورضاه بحكمِ الإسلام ، وأما عَبَدَةُ الأوثان من مشركي العرب ، والمرتد عن دينه الحقِّ إلى الكفر فلا يُقْبَلُ منه إلاَّ الإسلام أو القتل ، ﴿ **قدْ تبيَّن الرُّشْدُ من الغيِّ** ﴾ أي : قد ظَهَرَ ووضح وتميَّزَ الحقُّ من الباطل ، والإيمانُ من الكفر ، والهُدَى من الضلالةِ ، فلا تُكرِهوا من أهل الكتابين ومَنْ أبَحْتُ لكم أخذَ الجزيةِ منه أحداً على دينكم الحق ، فَإنَّ من حادَ عن الرَّشادِ بعد استبانته له ، فإلى رَبِّه أمرُهُ ، وهو وليُّ عقوبته في معادِهِ .

﴿ **فمن يكفر بالطَّاغوت** ﴾ أي : فمن يَجْحَدْ رُبوبيَّة كُلِّ معبودٍ من دون ا لله فيكفر به ﴿ **ويؤمن با لله** ﴾ ويصدِّقُ با لله أنه إلَهُهُ وَرَبُّه ومعبوده ﴿ **فقد اسْتَمْسَكَ بالعُروَةِ الوُثْقَى** ﴾ أي : فقد تمسَّكَ واعتصم بالعِقْدِ الوثيق المحكم ، قال سعيد بن جبير : قوله : ﴿ **فقد استَمْسَكَ بالعروةِ الوُثْقَى** ﴾ قال : لاَ إلَهَ إلاَّ ا لله .

وقوله سُبْحَانَهُ : ﴿ **لا انْفِصَامَ لها** ﴾ أي : لا انقطاعَ لها حتى تؤديه إلى الجنة ، والمعنى : أنَّ المُتَمَسِّكَ بالدِّين الصحيح الَّذِي هو دينُ الإسلام كالمتمسِّكِ بالشيءِ الوثيق الَّذِي لا يمكن كسره ولا انقطاعه ﴿ **وا لله سميعٌ** ﴾ إيمان=

وهذا هو معنى : (لا إله إلاَّ ا لله) .

وفي الحديث : "رأسُ الأمر الإسلامُ ، وعمودُهُ الصَّلاةُ ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجهادُ في سبيل ا لله"[1] .

=المؤمن با لله وحده ، الكافر بالطاغوت ، عند إقراره بوحدانية ا لله ، وتَبَرُّئِهِ من الأندادِ والأوثانِ من دون ا لله ﴿عليم﴾ بما عَزَمَ عليه مِن توحيدِ ا لله ، وإخلاصِ ربوبيته قلبُه ، وما انطوى عليه من البراءَةِ من الآلهةِ والأصنام والطواغيت ضميرُهُ ، لا ينكتم عنه سِرٌّ ، ولا يخفى عليه أمر ، حتى يجازي كلاً يوم القيامة بما نطق به لسانه ، وأضمرته نفسه ، إنْ خيراً فخير ، وإنْ شرّاً فشر" "تفسير الطبري" ٤١٤-٤٢٤ باختصار .

(١) رواه أحمد ٥ : ٢٣٠ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٤٥ ، والترمذي (٢٦١٦) في كتاب الإيمان ، وابن ماجه (٣٩٧٩) في كتاب الفتن من حديثِ معاذ بن جبل رضي الله عنه .

قال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ٢ : ١٤٥ "أخبر النبي ﷺ عن ثلاثةِ أشياء : رأسِ الأمر ، وعموده ، وذِرْوَة سَنَامِهِ .

فأمَّا رأسُ الأمر ، ويعني بالأمر : الدِّين الَّذِي بُعِثَ به وهو الإسلام ، وقد جاء في تفسيره في روايةٍ للإمام أحمد ٥ : ٢٣٠ من روايةِ شهر بن حوشب ، عن ابن غَنْم ، عن معاذ مرفوعاً : ((أَنَّ رأسَ هذا الأمر أن تشهد أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ ا لله وحده لا شريك له ، وَأَنَّ محمداً عبده ورسوله)) ، فمن لم يُقِرَّ بالشَّهادتين ظاهراً وباطناً ، فليس من الإسلام في شيء .

وأمَّا قِوامُ الدين الَّذِي يقوم به الدِّين كما يقوم الفُسْطَاطُ على عموده ، فهو الصلاة ، وفي الرواية الأخرى : ((وإقام الصلاةِ وإيتاء الزكاة)) .

وأما ذِروةُ سَنامه -وهو أعلى ما فيه وأرفعه- فهو الجهادُ ، وهذا يدلُّ على أنه أفضلُ الأعمال بعد الفرائض . =

والله ورسولُهُ أعلم .

(تمت)

= وفي الصحيحين عن أبي ذرٍّ قال : قلتُ : يارسول الله ، أَيُّ العمل أفضل ؟ قال : ((إيمانٌ بالله وجهادٌ في سبيله)) ، رواه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٤٨) .
وفيهما عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : ((أفضلُ الأعمال : إيمانٌ بالله ، ثُمَّ جهادٌ في سبيل الله)) ، رواه البخاري (٢٦) و (١٥١٩) ومسلم (٨٣) والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ جداً" اهـ .
وقال ابن رجب أيضًا في شرح حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ((بني الإسلام على خمس ...)) ١ : ٢٥٢ : "ولم يذكر الجهاد في حديث ابن عمر ، مع أنَّ الجهاد أفضل الأعمال ، وفي حديث معاذ : ((وذروة سنامه الجهاد)) ، وذروة سنامه : أعلى شيء فيه ، ولكنه ليس من دعائمه وأركانه التي بني عليها ؛ وذلك لوجهين :
أحدهما : أن الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء ، ليس بفرض عين بخلاف هذه الأركان .
والثاني : أن الجهاد لايستمر فعله إلى آخر الدهر ، بل إذا نزل عيسى عليه السلام ، ولم يبق حينئذ ملة غير ملة الإسلام ، فحينئذ تضع الحرب أَوْزَارَهَا ويُسْتَغْنَى عن الجهاد ، بخلاف هذه الأركان ، فإنَّها واجبة على المؤمنين إلى أن يأتي أمر الله وهم على ذلك ، والله أعلم" . انتهى .
انتهيت من خدمة هذه الرسالة والتعليق عليها بعون الله وفضله في عدة مجالس ، كان آخرها صباح يوم السبت ١٨ رجب الفرد ١٤١٩هـ ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا .

تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول

نظمها
الشيخ عمر بن إبراهيم البري المدني
المولود سنة ١٣٠٩ والمتوفى سنة ١٣٧٨
رحمه الله تعالى

اعتنى بها
مجد بن أحمد مكي

دار البشائر الإسلامية
دار نور المكتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْــدُ للهِ عَلَـى التَّوحِيـدِ ... بِـلا تَوَقُّـفٍ وَلا تَرْدِيـدِ

نَحْمَـدُهُ وَلا إِلَـهَ غَيـرُهُ ... وَكُـلُّ شَـيءٍ خَيـرُهُ وَمَيـرُهُ[1]

ثُـمَّ صَـلاةُ اللهِ بِالتَّسْلِيمِ ... عَلَى النَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ الكَرِيمِ

مُحَمَّـدِ الدَّاعِـي إِلَـى تَوحِيـدِهِ ... وَعَبْـدِهِ المُرْسَـلِ فِي عَبِيـدِهِ

وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الأَخْيَـارِ ... فَـإِنَّهُمْ مِـنْ خِيـرَةِ الأَبْـرَارِ

المسائل الأربع

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ يَا أَخِي مَا قَدْ وَجَبْ ... عَلَيكَ مِنْ تَعْلِيمِهِ كَيْلا تُصَبْ

بِسُخْطِ رَبِّكَ الَّذِي أَنْشَاكَا ... كَيْلا تَكُونَ مُشْرِكاً لِذَاكَا[2]

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيكَ أَرْبَعَهْ ... مَسَائِلٌ تَحْوِي بِهِنَّ مَنْفَعَهْ

أَوَّلُهَا: العِلْمُ وَذَا فِي المَعْرِفَهْ ... للهِ وَالنَّبِيِّ وَالدِّينِ مَعَهْ

أَعْنِي بِهِ الإِسْلامَ بِالأَدِلَّةِ ... فَمِلَّةُ الإِسْلامِ خَيرُ مِلَّةِ

وَثَنِّ بَعْدَهُ بِأَنْ تَعْمَلَ بِهْ ... تَكُنْ بِذَاكَ كَامِلاً ثُمَّ انْتَبِهْ

---

(١) **مَيرُهُ** : من الميرة ، وهي الطعام الذي يمتاره الإنسان مما يُجلب للبيع ، قال تعالى ﴿ **ونمير أهلنا** ﴾ [يوسف : ٦٥] .

(٢) **السَّخَطُ والسُّخْطُ** : الغضب الشديد المقتضي للعقوبة .

وَاصْبِرْ عَلَى الأَذَى وَتِلْكَ الرَّابِعَهْ فِيهِ تَكُنْ ذَا مُهْجَةٍ مُطَاوِعَهْ(٣)
فَالعِلْـمُ قَبْلَ القَـولِ ثُمَّ العَمَـلِ دَلِيلُـهُ مِنَ الكِتَـابِ مُنْجَلِي(٤)

۞ ۞ ۞

(٣) **المُهْجَة** : دم القلب ، والروح .

(٤) **مُنْجَلِي** : أي ظاهر واضح لاخفاء فيه .

المسائل الثلاث

فَوَاجِبٌ عَلَيكَ يَا ذَا المُسْلِمُ
أَو إنْ تَكُنْ مُسْلِمَةً يَسْتَلْزِمُ

تَعَلُّمُ الثَّلاثَةِ المَسَائِلِ
وَعَمَلٌ بِهِنَّ لا كَالجَاهِلِ

فَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ حِينَ خَلَقَنَا
بِأَمْرِهِ وَسَوْقِهِ لِرِزْقِنَا

مَا تَرَكَ الخَلْقَ جَمِيعاً هَمَلا
بَلْ أَرْسَلَ الرُّسْلَ لَهُمْ بَينَ المَلا(٥)

وَنَحْنُ مِنْ أُمَّةِ خَيرِ مُرْسَلِ
مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ المُفَضَّلِ

فَمَنْ أَطَاعَهُ لَهُ الجِنَانُ
وَمَنْ عَصَى فَحَظُّهُ النِّيرَانُ

وَذَا جَمِيعُهُ مِنَ الكِتَابِ
دَلِيلُهُ هُدِيتَ لِلصَّوَابِ

وَاللهُ لا يَرْضَى بِأَنْ يُشْرَكَ فِي
عِبَادَةٍ مَعْهُ بِشَانٍ يَقْتَفِي(٦)

لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِي
وَلَو يَكُونُ مُرْسَلاً قَدِ اجْتُبِي(٧)

---

(٥) **هملاً** : أي مهملين متروكين سدى . **والملأ** : جماعة يجتمعون على رأي ، فيملؤون العيون رواء ومنظرًا ، والنفوس بهاء وجلالاً ."المفردات" ص٧٧٦ . والملأ : أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدّموهم ، الذين يرجع إلى قولهم (النهاية ٤: ٣٥١) .

(٦) **يقتفي** : أي يتبع ويقتدي به . " وقد تكرر ذكر القفو والاقتفاء اسمًا وفعلاً ومصدرًا ، يقال : قفوته ، وقفيته ، واقتفيته : إذا تبعته واقتديت به" (النهاية ٤: ٩٥) .

(٧) **اجْتُبِي** : من الاجتباء ، وهو الاختيار والاصطفاء ، قال تعالى ﴿ **يجتبي من رسله من يشاء** ﴾ [آل عمران : ١٧٩] . "واجتباء الله العبد : تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد ، كما قال تعالى :=

فَـالجُزْءُ مِـنْ عِبَـادَةٍ لِمَـا سِـوَاهْ كُفْـرٌ مُخَـالِفٌ لِمَـا فِيـهِ رِضَـاهْ
فَـإِنْ تَكُـنْ بِطَاعَـةِ الرَّسُـول مُتَّصِفـاً بِوَصْفِهَـا الجَمِيـل
مُوَحِّـداً للهِ لا يَجُـوزُ لَـكَ المُـوَالاةُ لِمَـنْ يَحُـوزُ(٨)
عَـدَاوَةَ اللهِ مَـعَ الرَّسُـول مُحَـادِداً مُنَـابِذَ المَعْقُـول(٩)
وَلَو يَكُـونُ مِنْـكَ ذَا قَرَابَهْ فَاتْلُ الكِتَـابَ تَعْلَمَنْ صَوَابَهْ(١٠)

۞ ۞ ۞

=﴿ **وكذلك يجتبيك ربك** ﴾ [يوسف : ٦] ، و ﴿ **فاجتباه ربه فجعله من الصالحين** ﴾ [القلم : ٥٠] ، وقال ﷻ : ﴿ **يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من أناب** ﴾ [الشورى : ١٣] ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** ﴾ [ص : ٤٦] . (المفردات : ١٨٦-١٨٧) .

(٨) **يحوز** : من الحوز ، وهو الجمع وضم الشيء . (القاموس ، ص٦٥٥) .

(٩) **محاددًا** : المحادة ، المعاداة والمخالفة والمنازعة ، وهي مفاعلة من الحد ، كأن كل واحد منهما تجاوز حده إلى الآخر . (النهاية ١ : ٣٥٣) .

ومنابذ : النَّبذ ، طرحك الشيء أمامك أو وراءك ، أو عام . (القاموس ، ص ٤٣٢) .

(١٠) قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾ [التوبة : ٢٣] .

وقال سبحانه : ﴿ **لاتجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

إنَّ الحَنِيفِيَّـــــةَ خَـــــيرُ مِلَّــــــةِ   مِلَّـــةُ إِبْـــرَامَ حَلِيـــفِ الخُلَّـــةِ(١١)

---

(١١) **الحنيفية** : أصل الحنف الميل ، والحنيف : هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه ، والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام . وفي الحديث : ((بعثت بالحنيفية السمحة)) . (النهاية ١ : ٤٥١) . **إبرام** : أي إبراهيم عليه السلام ، وقرأ ابن عامر وحده : ﴿ إبراهام ﴾ بالألف في ثلاثة وثلاثين موضعًا . (وينظر : التلخيص لأبي معشر الطبري ، ص ٢١٣-٢١٤) . ولا توجد قراءة كما أوردها المؤلف ، وهي تنطق هكذا (إبرام) باللغة العبرية ، والله تعالى أعلم . **حليف** : من الحلف والمحالفة : وهو العهد بين القوم والمعاهدة والمعاقدة على التعاضد والتساعد ، جعلت للملازمة التي تكون بمعاهدة ، وفلان حلف كرم ، وحليف كرم ، والأحلاف جمع حليف (المفردات : ص ٢٥٢) . **الخلة** : قال ابن الأثير في (النهاية) : "الخلة بالضم : الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله : أي في باطنه ، والخليل : الصديق ، وإنما قال ذلك ؛ لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى ، فليس فيها لغيره متسع ، ولايشركه من محاب الدنيا والآخرة ، وهذه حال شريفة لاينالها أحد بكسب واجتهاد ، فإن الطباع غالبة ، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده ، مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه " انتهى .

وقال الراغب في (المفردات ، ص ٢٩١) : " والخلة : المودة ؛ لأنها تتخلل النفس ، كقوله :

قد تخلَّلت مسلك الروح مني   وبه سُمي الخليل خليلاً" انتهى .

أَنْ تَعْبُـدَ اللهَ مُوَحِّـداً لَـهُ ... وَمُخْلِـصَ الطَّاعَـةِ لا تُمَـوِّهُ[١٢]

بِـذَاكَ أَمْـرُ اللهِ فِي العِبَـادِ ... قَدْ جَاءَ يَحْدُوهُـمْ إِلَى السَّدَادِ[١٣]

وَخَلْقُنَا لَهَـا أَتَى بِالحَصْـرِ ... ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ ﴾ فَاتْلُ تَدْرِ

❁ ❁ ❁

---

(١٢) **تموّه** : قال أبو هلال العسكري في (الفروق اللغوية ، ص : ٢١٣) : التمويه هو تغطية الصواب ، وتصوير الخطأ بغير صورته ، وأصله طلاء الحديد والصُّفر بالذهب والفضة ليوهم أنه ذهب وفضة ، ويكون التمويه في الكلام وغيره . تقول : كلام مموَّه : إذا لم تبين حقائقه ، وحلي مموَّه إذا لم يعين جنسه" انتهى .

(١٣) **السداد** : الاستقامة والصواب من القول والفعل (القاموس) .

الأصول الثلاثة

ثَلاثَــةٌ أُصُــولُ هَــذا الدِّيــنِ   مَعْرِفَــةُ العَبْــدِ مَــعَ اليَقِــينِ(١٤)
للهِ وَالرَّسُــولِ تَتْلُــو دِينَــهُ   مُثْبَتــاً بِعِلْمِــهِ يَقِينَــهُ(١٥)

الأصل الأول

معرفة العبد ربّه

مَعْرِفَــةُ اللهِ عَلَيــكَ فَــرْضُ   وَجَهْلُهَــا ظُلْــمٌ وَكُفْــرٌ مَحْــضُ(١٦)
فَــرَبُّكَ اللهُ الَّــذِي رَبَّاكَــا   وَالعَالَمِيــنَ نِعْمَــةً أَعْطَاكَــا

---

(١٤) **اليقين** : من صفة العلم ، وهو فوق المعرفة والدراسة وأخواتها . يقال : علم يقين ، ولايقال : معرفة يقين ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم (المفردات ، ص٨٩٢) .

(١٥) **تتلو** : أي تتبع . **مثبتًا** : من الثبات وهو ضد الزوال ، ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة ، فيقال : فلان ثابت عندي ، ونبوة النبي ﷺ ثابتة . وقوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا** ﴾ [إبراهيم : ٢٧] أي : يقويهم بالحجج القوية . (المفردات : ١٧١) .
أو مثبِّتًا : من التثبيت ، يقال ثبّته ، أي قويته . قال الله تعالى : ﴿ **ولولا أن ثبتناك** ﴾ [الإسراء : ٧٤] ، وقال : ﴿ **وثبت أقدامنا** ﴾ [البقرة : ٢٥٠] .

(١٦) **محض** : أي خالص .

فَـــإنْ عَرَفْـــتَ ذَاكَ فَـــالمَعْبُودُ ... اللهُ لا غَـــيرُ وَلا جَحُـــودُ(17)

وَكُـــلُّ مَـــنْ سِـــوَاهُ حَقًّـــا عَـــالَمُ ... وَأَنْـــتَ مِنْهَـــا وَاحِـــدٌ مُـــلازَمُ(18)

عَرَفْتَـــهُ بِـــالخَلْقِ وَالآيَـــاتِ ... وَكَـــمْ تَـــرَى فِيـــهِ مِـــنَ الإِثْبَـــاتِ

فَالأَمْرُ وَالخَلْقُ لَـــهُ قَـــدْ حُصِـــرَا ... وَلا جِـــدَالَ فِيهِمَـــا وَلا مِـــرَا(19)

---

(17) **الجحود** : نفي ما في القلب إثباته ، وإثبات ما في القلب نفيه . يقال : جحد جحودًا وجحْدًا ، قال ﷻ : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** ﴾ [النمل : 14]. وقال ﷻ : ﴿ **بآياتنا يجحدون** ﴾ [الأعراف : 51] . (المفردات ، ص 187) .

(18) **ملازَم** : هو في اللغة : الملازمة للشيء والدوام عليه ، ولزوم الشيء : طول مكثه ، ومنه يقال : لزمه يلزمه لزومًا ، والإلزام ضربان : إلزام بالتسخير من الله تعالى ، أو من الإنسان . وإلزام بالحكم والأمر . (المفردات ، ص740) .

(19) قال تعالى : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ [الأعراف : 54] . والخلق أصله : التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء . قال تعالى : ﴿ **خلق السموات والأرض** ﴾ أي : أبدعهما ، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء ، نحو : ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق** ﴾ [الزمر : 6]. وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى . ولهذا قال في الفصل الذي بينه تعالى وبين غيره : ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون** ﴾ [النحل : 17] . (المفردات : 296) . **والأمر** : الشأن ، وجمعه أمور ، والأمر الذي هو مصدر أمرته : إذا كلّفته أن يفعل شيئًا ، وجمعه أوامر ، والتّكليف بالشيء يشمل الإتيان والترك ، وهو لفظ عام يشمل : الاعتقاد والأقوال والأفعال جميعًا . والعلاقة بينهما هي علاقة لزوم وترتُّب ، فقضية الأمر فرع قضية الخلق ، وتقع منها موقع النتيجة من مقدماتها ، وترتُّب الأمر على الخلق=

وَاعْلَمْ فَعِلْمُ المَرْءِ حَقّاً يَنْفَعُهْ ... يُنْقِذُهُ مِنْ جَهْلِهِ بَلْ يَرفَعُهْ

أَنْوَاعَ مَا أُمِرْتَهُ يَا ذَا الفَتَى ... مِنَ العِبَادَاتِ بِنَظْمِي قَدْ أَتَى

إِسْلامُنَا الإِيمَانُ وَالإِحْسَانُ ... كَذَا الدُّعَا وَالخَوفُ وَالتُّكْلانُ[20]

كَذَا إِنَابَةٌ خُشُوعٌ رَغْبَهْ ... كَذَا رَجَاءٌ ، خَشْيَةٌ ، وَرَهْبَهْ

مَعَ اسْتِعَاذَةٍ وَالاِسْتِعَانَهْ ... وَالذَّبْحِ وَالنَّذْرِ مَعَ اسْتِغَاثَهْ

فَإِنْ صَرَفْتَ وَاحِداً لِغَيرِهِ ... فَقَدْ صُرِفْتَ يَا فَتَى عَنْ خَيرِهِ

وَكُنتَ كَافِراً وَكُنْتَ مُشْرِكَا ... فَاحْرِصْ رَعَاكَ اللهُ أَنْ لا تُشْرِكَا

۞ ۞ ۞

=حقيقة شرعية وعقلية مسلّمة ؛ لأن من يملك له أن يحكم في ملكه بما شاء . والله سبحانه الذي خلق الكون وأبدعه ، له وحده الملك ، وله سبحانه الأمر وتشريع الشرائع والأحكام التي تنظم حياة الناس . **مرا** : الامتراء والممارة : المحاجة فيما فيه مرية . والمرية : التردد في الأمر ، وهو أخص من الشك . قال تعالى : ﴿ **فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرًا** ﴾ [الكهف : ٢٢] ، وأصله من : مريت الناقة ، إذا مسحت ضرعها للحلب . (المفردات ، ص ٢٢) .

وفي (النهاية ٤ : ٣٢٢) : المراء : الجدال ، والتماري ، والمماراة : المجادلة على مذهب الشك والريبة . ويقال للمناظرة : مماراة ؛ لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه ، كما يمتري الحالب اللبن من الضَّرع . انتهى.

(٢٠) **التكلان** : أي التوكل . يقال : تكل عليه ، لغة في اتكل (القاموس ، ص ١٢٥٤) .

الأصل الثاني

معرفة العبد دينهُ

مَعْرِفَــــةُ الإِسْـــلامِ بِالأَدِلَّـــةِ تُدْرِكُهَـا فَكُـنْ لَهَـا ذَا خُلَّـةِ[21]
بِـــأَنْ تَــرَى مُسْتَسْـــلِماً للهِ مُوَحِّـــداً وَلا تَكُــنْ بِـــاللاهِي
كَــذَا لَــهُ تَنْقَــادُ بِالطَّاعَـــاتِ مُلازِمـــاً فِيهَـــا وَذَا ثَبَــاتِ
مُخَلِّصــاً نَفْسَــكَ مِنْ شِـرْكٍ كَـذَا وَذَاكَ مَعْنَـــاهُ الحَقِيقِـــي فَخُـذَا

✡ ✡ ✡

(٢١) **الخلة** بالضم : الصداقة والمحبة ، كما تقدم ، والخلة بـالفتح : الحاجـة والفقـر والخصاصة والخصلة : جمع خلال ، والمراد بها هنـا أن تكـون مصاحبًـا لهـا أو متصفًا بها .

مراتب دين الإسلام

وَهْـوَ أَتَـى عَلَـى ثَلاثَـةٍ رُتَـبْ　　إِسْلامٌ إيمَانٌ وَإِحْسَانٌ حَسَبْ[22]
وَكُـلُّ رُتْبَـةٍ لَهَـا أَرْكَـانُ　　تُبْنَـى بِهَا وَهَكَـذَا البَيَـانُ

١ - الإسلام

أَرْكَـانُ إِسْـلامٍ أَتَتْـكَ خَمْسَـهْ　　فَعِلْمُهَا احْـذَرْ يَـا أَخِي لا تَنْسَـهْ
فَوَاحِـدٌ مِنْهَـا الشَّـهَادَتَان　　كَـذَا الصَّـلاةُ يَـا أُخَـيَّ الإِتْقَـان
كَـذَاكَ إِيتَـاءُ الـزَّكَـاةِ عَـدَّهْ　　وَصَـومُ رَمَضَـانَ أَتَـاكَ بَعْـدَهْ
وَحَـجُّ بَيـتِ اللهِ فِي التَّتْمِيـمِ　　لِلمُسْـتَطِيعِ فَخُـذَنْ تَعْلِيمِـي

۞ ۞ ۞

---

(٢٢) **رُتَب** : الرتبة والمرتبة : المنزلة الرفيعة ، وهي مفعلة من رتب : إذا انتصب قائمًا ، والمراتب جمعها . **حسب** : من الحساب ، وهو استعمال العدد ، يقال : حسب بفتح السين وكسرها وضمها ، وحسب يستعمل في معنى الكفاية : ﴿ **حسبنا الله** ﴾ أي : كافينا .

٢ - الإيمان

وَالرُّتْبَـةُ الثَّانِيَـةُ الإِيمَـانُ ... إِقْـرَارُهُ أَنْ يَلْفِـظَ اللِّسَـانُ
مَـعَ اعْتِقَـادٍ دَاخِـلَ الجَنَـانِ ... وَعَمَـلٍ بِكَـامِلِ الأَرْكَـانِ[٢٣]
يَزِيـدُ بِالطَّاعَـاتِ مِـنْ إِنْسَـانِ ... وَنَـاقِصٌ تَلْقَـاهُ بِالعِصْيَـانِ
شُـعَبُهُ بِضْـعٌ وَسَـبْعُونَ أَتَـتْ ... أَفْضَلُهَـا التَّشْـهِيدُ لِلَّهِ ثَبَـتْ
إِمَاطَـةُ الأَذَى كَـذَا أَدْنَاهَـا ... وَكُـلُّ ذَا ذُو ثِقَـةٍ رَوَاهَـا
مِـنْ مُسْـلِمٍ كَـذَا أَبُـو دَاوُدِ ... كَـذَا النَّسَـائِي وَهُـوَ فِي العَدِيـدِ
كَـذَا ابـنُ مَاجَـهْ حَكَمُـوا بِالصِّحَّـةِ ... فَنِعْـمَ مَـا أَتَـوا بِـهِ مِـنْ نِعْمَـةِ[٢٤]

---

(٢٣) **الجنان** : القلب . من الاجتنان وهو السَّتر . وبه سمي الجن ؛ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار ، ومنه سمي الجنين ؛ لاستتاره في بطن أمه .

(٢٤) حديث : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة ...)) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٨) ، ومسلم ١ : ٦٣ (٣٥) ، وأبو داود ٤ : ٢١٩ (٤٦٧٦) ، والترمذي ٥ : ١٠ (٢٦١٤) ، والنسائي ٨ : ١١٠ (٥٠٠٤) ، وابن ماجه ١ : ٢٢ (٥٧) ، ورواه البخاري في صحيحه (٩) بلفظ : ((الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان)) .

وقد اعتنى الأئمة بهذا الحديث ، واعتبروه أصلاً ؛ لإدخال الطاعات في الإيمان ، وأفردوا في ذلك بعض المصنفات ، ومن أغزرها فوائد كتاب : "المنهاج في شعب الإيمان" للإمام أبي عبد الله الحليمي ، وحذا حذوه الإمام البيهقي في كتابه الجليل الحفيل : "الجامع لشعب الإيمان" مع عنايته بالأسانيد .
وللحافظ أبي حاتم بن حبان كتاب "وصف الإيمان وشعبه" عدَّ فيه =

وَسِـــتَّةٌ أَرْكَانُـــهُ قَـــد ثَبَتَـــتْ وَكُلُّهَـا مِـنَ الكِتَـابِ قَـدْ أَتَـتْ
إِيمَانُنَـــــا بِـــــــاللهِ ذَاكَ الأَوَّلُ وَفِـــي الكِتَـابِ ذِكْـرُهُ مُفَصَّـــلُ
مَلائِـــكٌ كَـذَاكَ ثُـــمَّ الكُتُـــبُ وَالأَنْبِيَـــاءُ كُلُّهَـــا تُرَتَّـــبُ
وَاليَـــومُ يَـــومُ الآخِـــرِ المَوعُـــودُ وَقَـــدَرٌ يَضُمُّـــهُ التَّعْدِيـــدُ
لِخَـــيرِهِ وَشَـــرِّهِ كُـــلٌّ أَتَـــى مِـنْ عِنْـدِ رَبٍّ فِي الكِتَـابِ ثَبَتَـا
فَاقْرَأْ مِـنَ النِّسَـا وَلَيـسَ الـبِرَّ إِقْـتَرَبَتْ كَـذَاكَ تَلْقَى القَـدَرَا[٢٥]

=تسعًا وسبعين شعبة من شعب الإيمان . وممن اعتنى بحصر شعب الإيمان الإمام اللالكائي في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" وعد اثنتين وسبعين شعبة من شعب الإيمان ٥ : ٩١١ - ٩٤٠ .

(٢٥) أي دليل أركان الإيمان ما جاء في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمَنُوا آمِنُوا با لله ورسوله والكتاب الذي نَزَّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾ [النساء : ١٣٦] .

ودليله أيضًا آية : ﴿ **ليس البر** ﴾ في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن با لله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

ودليل القدر ما جاء في سورة القمر والتي مطلعها قوله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، وفيها قوله تعالى : ﴿ **إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر** ﴾ [القمر : ٤٩] .

٣ - الإحسان

وَالرُّتْبَةُ الثَّالِثَةُ الإِحْسَانُ مَرتَبَةُ الأَبْرَارِ يَا إِنْسَانُ
أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهْ عَلَيكَ فِي تَتْمِيمِهِ مِمَّنْ رَوَاهْ
وَذَاكَ رُكْنٌ وَاحِدٌ لَهُ فَقَطْ دَلِيلُهُ مِنَ الكِتَابِ مُلْتَقَطْ[٢٦]

۞ ۞ ۞

(٢٦) في قوله تعالى : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [النحل : ١٢٨] . وقال سبحانه : ﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ [لقمان : ٢٢] .

الأصل الثالث

معرفة العبد نبيَّه ﷺ

مَعْرِفَــةُ النَّبِــيِّ حَقّــاً تَــلْزَمُ ... إِذْ مِنْـهُ تَـرْوِي الدِّيـنَ يَـا ذَا المُسْـلِمُ
مُحَمَّـــدٍ ذَاكَ ابْـــنُ عَبْـــدِ اللهِ ... فَالنَّسَـــبُ الشَّـــرِيفُ فِي الأَفْـــوَاهِ
مِنْ هَاشِـمٍ وَمِنْ قُرَيْشٍ فِي الحَسَـبْ ... وَهْيَ مِنَ العُرْبِ الكِرَامِ تَنْتَسَبْ(٢٧)
وَالعُـــرْبُ ذُرِّيَّـــةُ إِسْـــمَاعِيل ... ابْـــنِ الَّـــذِي سُـــمِّيَ بِـــالخَلِيل
وَعُمْـــرُهُ سِـــتُّونَ فَالزِّيَـــادَهْ ... ثَلاثَـــةٌ أُعْطِـــي بِهَـــا مُـــرَادَهْ
مُنَبَّـــأً مِـــنْ بَعْـــدِ أَرْبَعِـــينَ ... وَمُرْسَـــلٌ فِي فَـــاضِلِ السِّـــنِينَ
نُبِّــئَ بِــاقْرَأْ بِاسْــمِ ثُــمَّ أُرْسِــلا ... بِسُـــورَةِ المُدَّثِّـــرِ الَّتِـــي تَـــلا
وَمَكَّـــةٌ بَلَـــدُهُ المُكَـــرَّمُ ... وَفِيـــهِ بَيْـــتُ اللهِ ثُـــمَّ الحَـــرَمُ
بَعَثَـــهُ اللهُ لَنَـــا يَدْعُونَـــا ... بِـــأَنْ نَـــرَى التَّوْحِيـــدَ فِينَـــا دِينَـــا
وَمُنْـــذِراً لَنَـــا لِئَـــلَّا نُشْـــرِكَا ... فَـاتْلُ الكِتَـابَ تَلْـقَ فِيـهُ سُـؤْلَكَا(٢٨)
عَشْـــرُ سِـــنِينَ ثُـــمَّ بَعْدَهَـــا عُـــرِجْ ... بِـــهِ إِلَـــى السَّـــمَاءِ كَيْمَـــا يَبْتَهِـــجْ
وَفُرِضَـــتْ فِيهَـــا الصَّـــلاةُ خَمْسَـــا ... أَتَـــى بِهَـــا الجِـــنَّ مَعـــاً وَالإِنْسَـــا

---

(٢٧) **الحَسَب** : الشرف بالآباء وما يَعُدُّ الناس من مفاخرهم .

(٢٨) في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر** ﴾ [المدثر : ١ – ٥] .

بِمَكَّـةَ أَتَـى بِهَـا أَعْوَامَـا ثَلاَثَـةً وَبَعْدَهَـا إِلْزَامَـا

أَمَـرَهُ الـرَّبُّ إِلَـى المَدِينَـهْ بِهِجْـرَةٍ يَنْشُـرُ فِيهَـا دِينَـهْ

وَحُكْـمُ هَـذِي الهِجْـرَةِ المَذْكُـورُ لِيَـوم حَشْـرٍ فَهْمُـهُ يَـدُورُ

مِـنْ بَلَـدِ الشِّـرْكِ إِلَـى الإِسْـلاَمِ يَبْقَـى كَـذَا حُكْمـاً عَلَـى الـدَّوَامِ

دَلِيلُـهُ السُّـنَّةُ وَالكِتَـابُ فَـلاَ تَكُـنْ فِي أَمْـرِهِ تَرْتَـابُ

وَبَعْدَمَـا اسْـتَقَرَّ وَسْـطَ طَابَـهْ وَتُمِّمَـتْ مِنْـهُ لَـهُ الإِجَابَـهْ

أَخَـذَ فِي بَقِيَّـةِ الشَّـرَائِعِ يَنْشُـرُهَا بَـيْنَ الـوَرَى للطَّـائِعِ

كَـذَاكَ لِلعَـاصِي يَعُـمُّ حُكْمُهَـا قَدْ جَـاءَ فِي الكِتَـابِ فِينَـا رَسْـمُهَا

مِثْـلُ الـزَّكَـاةِ وَكَـذَا الصِّيَـامُ وَالحَـجُّ وَالجِهَـادُ وَالإِعْـلاَمُ(٢٩)

وَالأَمْـرُ بِـالمَعْرُوفِ وَالنَّهْـيُ كَـذَا عَـنْ مُنكَـرٍ وَغَـيرَ ذَلِـكَ خُـذَا

مِمَّـا بَقِـيْ مِـنْ شِـرْعَةِ الإِسْـلاَمِ عَشْـرُ سِـنِينَ وَهْـوَ فِيهَـا سَـامِي(٣٠)

ثُـمَّ أَجَـابَ دَاعِـيَ الكَرِيـمِ وَدِينُـهُ بَـاقٍ بِـلاَ تَكْلِيـمِ(٣١)

---

(٢٩) **الإعلام** : الأذان .

(٣٠) **سامي** : من السموِّ ، وهو الارتفاع والعلو .

(٣١) **التكليم** : من الكَلْم ، وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين ؛ فالكلام : مدرك بحاسة السمع ، والكلم : بحاسة البصر . وكَلَمْتُهُ : جرحته جراحة بان تأثيرها (المفردات : ٧٢٢) .

وَدِينُـــهُ لا خَـــيرَ إلاَّ دَلَّنَـــا عَلَيـــهِ في ذَا إنسَـــنَا وَجِنَّنَـــا
وَدِينُـــهُ لا شَـــرَّ إلاَّ حَـــذرَا عَنـــهُ وَكَـانَ الخَـيرُ فِيمَـا أَخْـبرَا
وَكُلُّـــهُ في قَبْضَـــةِ التَّوحِيـــدِ فِيـــهِ رِضَـــا اللهِ عَلَـــى العَبِيـــدِ
وَالشَّـــرُّ مَجْمُـــوعٌ بِأَيْدِي الشِّـــرْكِ يَكْرَهُـــهُ اللهُ بِغَـــيرِ شَـــكّ

۞ ۞ ۞

وَاعْلَـــمْ بِـــأَنَّ اللهَ حَقّـــاً أَوْجَبَـــا طَاعَـــةَ ذَاكَ المُصْطَفَـــى وَالمُجْتَبَـــى
عَلَـــى جَمِيـــعِ الثَّقَلَيْـــنِ طُـــرَّا مِـــنْ جِنِّهَـــا وَإِنْسِـــهَا قُـــلْ جَـــبْرَا(٣٢)
وَكَمَّـــلَ اللهُ بِـــهِ الدِّيـــنَ لَنَـــا وَزَالَ عَنَّـــا كُـــلُّ شِـــرْكٍ وَعَنَـــا(٣٣)
وَمَـــاتَ وَالدَّلِيـــلُ في القُـــرْآنِ مُفَصَّـــلٌ في غَايَـــةِ البَيَـــانِ(٣٤)
وَالنَّاسُ يُبْعَثُـــونَ بَعْـــدَ المَـــوْتِ مُحَاسَـــبُونَ مَـــا لِـــذَا مِـــنْ فَـــوتِ
جَزَاؤُهُـــمْ إزَاءَ أَعْمَـــالٍ لَهُـــمْ مَنْ أَحْسَنُوا الحُسْنَى حَقِيقاً حَظُّهُمْ(٣٥)

---

(٣٢) **الثقلان** : هما الجن والإنس . **طرًا** : أي جميعًا ، وهو منصوب على المصدر أو الحال . (النهاية ٣ : ١١٩) .

(٣٣) **عنا** : أي القهر والغلبة والخضوع ، وهو من عنا يعنو إذا ذل وخضع .

(٣٤) قال تعالى : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ [الزمر : ٣٠-٣١] . وقال سبحانه : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [الأنبياء : ٣٤-٣٥].

(٣٥) قال الله تعالى : ﴿ **لله ما في السموات وما في الأرض ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ [النجم : ٣١] .

وَمَــنْ أَسَــاءَ فَالعِقَــابُ قِسْــمُهْ | بِعَمَـــلٍ مِنْـــهُ وَذَاكَ إِثْمُـــهُ (٣٦)
وَالبَعْـثُ مَــنْ يُنكِـرُهُ فَقَـدْ كَفَـرْ | فَـاتْلُ القُـرَانَ وَأَجِـلْ فِيـهِ النَّظَـرْ (٣٧)
وَأَرْسَــلَ اللهُ جَمِيــعَ الرُّسُــلِ | مُبَشِّــرِينَ مُنذِرِيــنَ كُمَّــلِ (٣٨)
كَـي لا يَكُـونَ حُجَّـةٌ يُدْلِـي بِهَـا | النَّـاسُ يَـومَ الحَشْـرِ كُـنْ مُنْتَبِهَـا (٣٩)
أَوَّلُهُـمْ نُــوحٌ وَعُقْبَـاهُمْ هُـدَى | مُحَمَّــدٌ نَبِيُّنَــا مَــنْ وَحَّــدَا (٤٠)
صَلَّـى عَلَـى الجَمِيعِ جَبَّـارُ السَّـمَا | وَآلِهِــمْ وَصَحْبِهِــمْ وَسَــلَّمَا
وَكُلُّهُــمْ دَاعٍ إِلَــى التَّوْحِيــدِ | فِي أُمَّــةٍ لَــهُ بِــلا تَرْدِيــدِ
للهِ وَحْـــدَهُ وَذَاكَ الدِّيـــنُ | دَعْوَتُهُــمْ لِمَــنْ بِــهِ يَدِيــنُ (٤١)

---

(٣٦) **قِسْمُهُ** : أي نصيبه .

(٣٧) قال تعالى : ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل : بلى وربي لتبعثن ، ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير** ﴾ [التغابن : ٧] .

(٣٨) قال تعالى : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ [النساء : ١٦٥] . وقال سبحانه : ﴿ **وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين** ﴾ [الكهف : ٥٦] .

(٣٩) **يدلي بها** : يتوصل بها . وأدلى بحجته : أحضرها .

(٤٠) **عقباهم** : أي آخرهم . ومن أسماء النبي ﷺ : ((العاقب)) ؛ لأنه آخر الأنبياء ﷺ . والعاقب والعقوب : الذي يخلف من كان قبله في الخير .

(٤١) **يدين** : يخضع ويطيع .

وكُلُّهُمْ نَاهٍ عَنِ الطَّاغوتِ كَيلا يَكُونَ الأَمْرُ بِالتَّفْويتِ[42]

مُفْضٍ إِلى الشِّرْكِ وَقَدْ أُمِرْنَا بِالكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ إِذْ بُلِّغْنَا

وَإِنْ تُرِدْ مَعْنَاهُ فَاعْرِفْهُ فَمَا تَجَاوَزَ العَبْدُ بِهِ الحَدَّ عَمَى

وَذَاكَ مِنْ مَعْبُودٍ او مَتْبُوعِ أَو مِنْ مُطَاعٍ زَلَّ عَنْ تَشْرِيعِ

إِنَّ الطَّوَاغِيتَ كَثِيرٌ عَدُّهَا وَخَمْسَةٌ رُؤُوسُهُمْ تَحُدُّهَا

إِبْلِيسُ أَوَّلُهُمْ عَلَيهِ اللَّعْنَهْ وَيلٌ لِمَنْ يَتْبَعُهُ وَالمِحْنَهْ

وَمَنْ مِنَ الخَلْقِ تَرَاهُ يَعْمَدُ بِأَنْ يَكُونَ كَالإِلَهِ يُعْبَدُ

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلى عِبَادَتِهْ كَمِثْلِ مَنْ قَدْ زَلَّ فِي إِرَادَتِهْ

وَالمُدَّعِي فِي النَّاسِ عِلْمَ الغَيبِ وَلَيسَ يَخْشَى فِي الوَرَى مِنْ عَيبِ[43]

وَالحَاكِمُ الغَاوِي بِغَيرِ المُنْزَلِ كَمِّلْ بِهِ خَمْسَتَهُمْ وَأَجْمِلِ

---

(٤٢) **التفويت** : من الفَوْت ، وهو بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه ، أو من الافتيات : وهو أن يفعل الإنسان الشيء من دون ائتمار مَن حَقُّه أن يؤتمر فيه .

(٤٣) **الورى** : الخلق . قال أبو هلال العسكري في (الفروق اللغوية ، ص ٢٢٧) : الفرق بين الناس والورى ، أن قولنا : الناس يقع على الأحياء والأموات ، والورى : الأحياء منهم دون الأموات ، وأصله من ورى الزند يرى ، إذا أظهر النار ، فسمي الورى ورىً لظهوره على وجه الأرض . ويقال : الناس الماضون ، ولايقال : الورى الماضون" انتهى .

دَلِيلُـــهُ آيَـــةُ ﴿لا إِكْـــرَاهَ﴾ تَمّمْـهُ تَفْهَـمْ يَـا أَخِـي مَعْنَاهَـا[٤٤]
مَعْنَـــاهُ : لا إِلَـــهَ إِلا اللهُ وَكُـــلُّ ذَا فِي ضِمْنِـــهِ تَلْقَـــاهُ

۞ ۞ ۞

وَاعْلَـمْ أُخَـيَّ أَنَّ رَأْسَ الأَمْـرِ مِـنْ رَبِّنَـا الإِسْـلامُ فَـافْهَمْ تَـدْرِ
كَـذَا عَمُـودُهُ الصَّـلاةُ مِنَّـا فَـاتْلُ الحَدِيـثَ يَـا أُخَـيَّ تَهْنَـا
وَذِرْوَةُ السَّـنَامِ لِلإِسْـلامِ جِهَادُنَـا للهِ فِي الأَنَـامِ
لِمَقْصِـدِ الإِعْـلاءِ لِلتَّوحِيـدِ وَهَكَـذَا الأَمْـرُ بِـلا تَفْنِيـدِ[٤٥]
وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى التَّمَـامِ كَفَـى بِـذَاكَ نِعْمَـةَ الإِسْـلامِ

۞ ۞ ۞

---

(٤٤) قال الله تعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با لله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .
قال الراغب في (المفردات ، ص ٣٢٣) : "الدين : يعني الطاعة ؛ فإن ذلك لايكون في الحقيقة إلا بالإخلاص ، والإخلاص لايتأتى فيه الإكراه ، وقيل : إن ذلك مختص بأهل الكتاب الباذلين للجزية" انتهى .

(٤٥) **تفنيد** : الفَنَد ، الخطأ في القول والرأي ، والكذب . وفَنَّده تفنيدًا : كذبه ، وعَجَّزَه ، وخطَّأ رأيه ، كأفنده . (القاموس ، ص ٣٩٢) .

المصادر والمراجع

١ – **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** ، للأمير علي بن بلبان ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ .

٢ – **الأعلام** ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ .

٣ – **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري** ، للخطابي ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ .

٤ – **أعلام من أرض النبوة** ، لأنس كتبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ .

٥ – **التحرير والتنوير من التفسير** ، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣) ، الدار التونسية للنشر . تونس ١٩٨٤ .

٦ – **تحفة المحبين والأصحاب** ، للأنصاري ، تونس ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ .

٧ – **تراجم المؤلفين التونسيين** ، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي .

٨ – **الترغيب والترهيب** . للمنذري ، نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر .

❀ **تفسير الخازن** = لباب التأويل .

❀ **تفسير الطبري** = جامع البيان .

❀ **تفسير القاسمي** = محاسن التأويل .

❀ **تفسير القرطبي** = الجامع لأحكام القرآن .

❀ **تفسير النسفي** = مدارك التنزيل .

٩ - **تفسير عبد الحميد بن باديس** ، دار الفكر ، بيروت .

١٠ - **تفسير القرآن العظيم** ، لابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ .

١١ - **تفسير المعوذتين** ، لابن القيم ، دار الحديث ، القاهرة .

١٢ - **جامع الأصول** ، لابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩ .

١٣ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، للطبري ، تحقيق محمود شاكر ، توزيع دار التراث بمكة .

١٤ - **جامع العلوم والحكم** ، لابن رجب ، تحقيق إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ .

١٥ - **الجامع لأحكام القرآن** ، للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٧.

١٦ - **حاشية الأصول الثلاثة** ، لعبد الرحمن بن قاسم الحنبلي النجدي ، الرياض ، ١٤٠٤ .

١٧ - **حول تفسير سورة الحجرات** ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة الفلاح ، حلب ، الطعبة الأولى ، ١٤١٣ .

١٨ - **حول تفسير سورة الفاتحة** ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة الفلاح ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ .

١٩ - **حياة الأنبياء في قبورهم** ، للبيهقي ، علّق عليه : محمد بن محمد الخانجي البوسنوي ، مطبعة التضامن ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٩ .

٢٠ - **الدُّرَّة الثَّمينة في النحو** ، لمحمد الطيب الأنصاري ، المطبعة الماجدية بمكة المكرمة ، ١٣٥٤ .

٢١ - **ديوان عمر بن إبراهيم بري** ، تحقيق محمد العيد الخطراوي ، دار التراث بالمدينة المنورة ، ١٤٠٦ .

٢٢ - **الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات** ، لأبي عمرو الداني ، دار ابن الجوزي ، ١٤١٩ .

٢٣ - **الروح** ، لابن القيم ، تحقيق يوسف البديوي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤١٩ .

٢٤ - **روضة الطالبين وعمدة المفتين** ، للنووي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥ .

٢٥ - **زاد المسير في علم التفسير** ، لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٨٤ .

٢٦ - **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، لابن القيم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢ .

٢٧ - **سلاح المؤمن في الدعاء والذكر** ، لابن الإمام ، تحقيق محيي الدين مستو ، دار ابن كثير ، بيروت ١٤١٤ .

٢٨ - **سنن الترمذي** ، تحقيق أحمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٩ - **سنن أبي داود** ، تحقيق محمد عوامة ، الدار المكية ودار القبلة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ .

٣٠ - **السنن الكبرى للبيهقي** ، دار الفكر ، بيروت .

٣١ - **سنن ابن ماجه** ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٢ .

٣٢ - **سنن النسائي** ، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .

٣٣ - **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** ، للالكائي ، تحقيق أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٣ .

٣٤ - **شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم** ، لابن رجب الحنبلي ، المكتبة الدولية ، الرياض ، ١٤٠٢ .

٣٥ - **شرح صحيح مسلم** ، للنووي ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٧ .

٣٦ - **شرح العقيدة الطحاوية** ، لابن أبي العز الحنفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٨ .

٣٧ - **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، للقاضي عياض ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣٨ - **صحيح البخاري** ، طبعة مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، ١٤١٤هـ .

٣٩ - **صحيح مسلم** ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٤ .

٤٠ - **صفوة البيان لمعاني القرآن** ، لحسنين محمد مخلوف ، مؤسسة زايد ابن سلطان آل نهيان ، ١٤١٨ .

٤١ - **صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط** ، لابن الصلاح ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨ .

٤٢ - **طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، لابن القيم ، تقريب صالح الشامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ .

٤٣ - **العبودية** ، لابن تيمية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٧ .

٤٤ - **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، لابن حجر ، المطبعة السلفية ، دار الريان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ .

٤٥ - **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، لابن رجب الحنبلي ، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ .

٤٦ - **الفروق اللغوية** ، لأبي هلال العسكري ، مصورة دار الكتب العلمية .

٤٧ - **القاموس المحيط** ، للفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٤٨ - **اللآلئ الكمينة شرح الدرة الثمينة** ، لمحمد الطيب الأنصاري ، مطبعة المدني بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٠ .

٤٩ - **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي ، المعروف بالخازن ، مصورة دار الفكر ، بيروت .

٥٠ - **لسان العرب** ، لابن منظور ، طبعة دار صادر ، بيروت .

٥١ - **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق ياسين السواس ، دار ابن كثير ، بيروت .

٥٢ - **مجلة المنهل** ، مقالات الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، ومحمد سعيد دفتردار .

٥٣ - **محاسن التأويل** ، لجمال الدين القاسمي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ .

٥٤ - **المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز** ، لابن عطية ، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية ، ١٤٠٣ .

٥٥ - **المحلى** ، لابن حزم ، مكتبة الجمهورية ، القاهرة .

٥٦ - **المختار من كنوز السنة** ، للدكتور محمد عبد الله دراز ، إدارة إحياء التراث بقطر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ .

٥٧ - **مدارج السالكين** ، لابن القيم ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٥ .

٥٨ - **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، للنسفي ، مطبوع بهامش الخازن ، مصورة دار الفكر .

٥٩ - **المستدرك على الصحيحين** ، للحاكم ، مصورة دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ .

٦٠ - **مسند أبي يعلى** ، تحقيق حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٤.

٦١ - **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، دار صادر ، بيروت .

٦٢ - **معالم السنن** ، للخطابي ، منشورات المكتبة العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ .

٦٣ - **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ، للونشريسي ، مطبوعات وزارة الأوقاف في المغرب ، ١٤٠١ .

٦٤ - **مفردات ألفاظ القرآن** ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان داوودي ، دار القلم بدمشق ، ١٤١٨ .

٦٥ - **المقدمات الممهدات** ، لابن رشد الجد ، تحقيق محمد الحجي ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨ .

٦٦ - **الموطأ** ، للإمام مالك بن أنس ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العربية ، مصر .

٦٧ - **ندوة الإثنينية** ، المجلد التاسع ، الناشر: عبد المقصود خوجة ، جدة .

٦٨ - **نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية** ، لمحمد منير آغا الدمشقي ، مكتبة الشافعي ، الرياض .

٦٩ - **النهاية في غريب الحديث** ، لابن الأثير ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ .

٧٠ - **نواقض الإيمان القولية والعملية** ، لعبد العزيز العبد اللطيف ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٥ .

٧١ - **نوح وقومه في القرآن** ، لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٠.

٧٢ - **نور الاقتباس** ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد ناصر العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٠.

٧٣ - **هداية الناسك إلى المذاهب الأربعة في المناسك** ، لابن جماعة ، تحقيق نور الدين عتر ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٤ .

الفهرس الإجمالي

الفهرس التفصيلي